المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية

متشابه المعاني في شعر امرئ القيس
دراسة في الفروق والسياق

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
تخصص البلاغة والنقد

إعداد الطالب
جابر بن محمد الأحمري
42880307

إشراف سعادة
الأستاذ الدكتور/دخيل الله بن محمد الصحفي

العام الدراسي 1431هـ

ملخص البحث

عنوان الدراسة/ متشابه المعاني في شعر امرئ القيس - دراسة في الفروق والسياق.

إعداد الطالب /جابر بن محمد الأحمري الدرجة العلمية / الماجستير

تهدف الدراسة إلى إيجاد نوع من التكامل في الدراسات البلاغية ,حيث تقوم بنقل دراسة المتشابه البلاغي في القرآن ,إلى دراسة المتشابه البلاغي في الإبداع الشعري ,و ينقسم المتشابه الشعري إلى قسمين:متشابه الألفاظ , ومتشابه المعاني,وإن كان قد وجدت أبحاث في القسم الأول ,فإن هذا العمل هو الأول من نوعه في القسم الثاني,حيث لم يسبق بدراسة كهذه الدراسة .

خطة الدراسة / جاءت هذه الدراسة في قسمين :نظري وتطبيقي,عنون القسم الأول بـ(متشابه المعاني المفهوم والتأصيل) ,وعالج في فصلين قضية المتشابه نظريّاً,حيث قُدم الفصل الأول معنوناً بـ/المفهوم:وفيه مبحث ناقش عنوان الدراسة وحدودها وكل ما يتعلق بالتعريف بها,خاصة موضوع المتشابه,وموضوع المعاني ودلالاتها عند العلماء,وقضية السياق وأثرها في توجيه دلالات النصوص .

وفي الفصل الثاني المعنون بـ/التأصيل من القسم نفسه:ناقشت الرسالة أربع قضايا علمية في أربعة مباحث:الأول /جذور المتشابه في التراث الإبداعي والعلمي عند العرب,ونقّب البحث عن وجود هذه الظاهرة عند أكثر من شاعر,في عصور وأغراض مختلفات؛للتدليل على حقيقة وجودها,ثم نقّب أيضاً عن إشارات العلماء لهذه الظاهرة منذ أن وجدت تلك الإشارات حتى العصر الحديث مبرزاًً جهود السابقين والمعاصرين في هذا الأمر.

الثاني /(المتشابه والتكرار والتصرف والاقتدار): بين البحث الفرق بين هذه المصطلحات ,وبيّن آراء العلماء فيها,وناقش وجه اتصالها بالمتشابه من عدمه.

وثالثها/(المتشابه والسرقات) ,ناقش هذا المبحث ما أطلق عليه مسمى(السرقة الشخصية), ودلل على أن المراد بهذا المصطلح هو عينه المتشابه ,وناقش مقولة أسبقية النقاد الغربيين في الإشارة إلى هذا الأمر,وطرح تعليلاته وبراهينه التي توصل إليها في هذا الشأن.

ورابعها/(المتشابه والتناص),يهدف هذا المبحث إلى التأكيد على أن جزءاً من هذا المصطلح موجود في الدراسات العربية القديمة, وأنه ليس بجديد ما طرحت تسميته على أنه (تناص ذاتي) في حين أنه معروف عند العلماء بالمتشابه,واقترحت الدراسة تفعيل هذا المصطلح العربي الأصيل.

وتحت القسم التطبيقي في الدراسة المعنون بـ(متشابه المعاني في شعر الشاعر)يوجد فصلان :

أما الفصل الأول/ فعنوانه (متشابه المعاني في الغزل) وطُرح في هذا الفصل عدد من أبيات الشعر مع مشابهاتها وحللت تحليلاً بلاغياً موازناً يعتمد تلمّس الفروق بين الشبيهين من خلال السياق,مرجحاً المعاني والدلالات الأقرب والأوفق كلٌّ بدليله ,مع مناقشة القضايا الفنية بلاغياً ونقديّاً عند ورودها.

والفصل الثاني/ عنوانه (متشابه المعاني في وصف الفرس) ويضمّ عدداً من الأبيات في هذا الموضوع ودرست على نسق دراسة الفصل السابق.

ثم خاتمة البحث التي تضمنت ما توصل إليه البحث من نتائج,من أهمها/تأكيد أسبقية النقاد العرب في الكشف عن موضوع المتشابه,والتأكيد على ضرورة تفعيل السياق للكشف عن دلالات النصوص,والإفادة من المتشابه وتحليلاته في تحديد زمن قول النص,والترجيح والنفي والتدليل على بعض التأويلات من حيث الصحة وعدمها من خلال المتشابه,وغيرها من النتائج.

ثم ثبت المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

Abstract
Translation of the Thesis' Summary

Semantic Analogous in the Poetry of Imry 'Ulqays:
A Study on Context and Differences.
Jaber Alahmari

Master’s Degree.
This study aims at providing an integral contribution in rhetorical studies. It transfers the study of rhetorical analogous from the Quran into the field of poetry. Poetic analogous is divided into two types: phonation analogue and semantic analogue. As there are many studies in the first type, this study is the first study in the second type.

This study is divided into two parts: theoretical part and applied part. The theoretical part includes two chapters. The first chapter discusses the study's topic and the related definitions in both fields of semantics and contexts.
The second chapter under the theoretical part discusses four points. First, the roots of the analogous in the creative and scientific Arabic literature. The study looks for this phenomenon in many poets in different ages and for different objects to prove the existence of this phenomenon. It also shows the indications of the scholars regarding this phenomenon since its existence until the modern age, and it shows the contributions of the former and the modern scholars in this field.

Second, the *analogous, repetition, disposal, and ability.* The study shows the differences between these terms, the scholars' views on these terms, and the relation to the study of analogous.
Third, the analogous and plagiarism. The study discusses the issue of *self plagiarism* and proves that the issue of self plagiarism is the same as the issue of analogous and whether the other critics are the first to refer to this issue.
Fourth, the analogous and intertextuality. The study discuses *intertextuality* and asserts that part of the term is found in the old Arabic studies. It also indicates that *intertextuality* is not a new term and has been known as the analogous among scholars.

The applied part of the study consists of two chapters. The first and the second chapters under this part present the analogous in a number of poetic

texts analyzed rhetorically, and depending on their contexts, the differences between them are shown.
The results of the present study suggest the precedence of the Arab critics in exploring the issue of the analogous, the necessity of context in revealing the connotations of texts, and the utility of studying the analogous in identifying text's age and finding its correct meaning.

اللّهم

سَدِّدْ...

وأعِنْ...

وتقبّلْ.

إهـــــــداء

- إلى والدي الكريمين برّاً وإكراماً...

- إلى أهل بيتي حباً ووفاءً...

- إلى قارئ هذه الكلمات...

مقدمة

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه , كما يحب ربنا ويرضى , والصلاة والسلام على نبيّنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد:

فلا شك أنّ من أهم ما يشغل فكر الدارس أن يحصِّل موضوعاً لم تطرِّقه الأقلام, وقلَّما سكبت فيه المحابر, ويظلّ هذا هاجساً ملحّاً عليه طيلة فترة دراسته المنهجية ، وتراه يسعى فيها أن يتلقّط من أساتذته ما يذيعونه من موضوعات درس ومشاريع بحث, خاصة في مبدأ خطواته على هذا الدرب ، وكان قد أوصاني شيخي د/ محمد أبو موسى بقراءة كتابه الجديد آنذاك - (الشعر الجاهلي) - فقرأته وعجبت أنه كتب قريباً من مئتي صفحة في شعر امرئ القيس الذي كتبت فيه قبله آلاف الأقلام و كأنّه أحس بهذا فقال لي : لو لم أجد فيه جديداً ما كتبت فيه و أنا في هذه السن العالية .

وقعت مني هذه الكلمة موقعها,و ما زلت أذكر وجْبتها إلى هذه الساعة ، و حينها أدركت أن البحث الجادّ مهما اكتنفته الصعاب منتج بعون الله ، ومن هنا بدأت رحلة البحث عن موضوعي بصحبة مرشدي الأستاذ الدكتور / دخيل الله الصحفي حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه في هذا البحث.

وكان من أهم ما جذبني وشدّ انتباهي إلى هذا البحث أنه ربْط مهم بين الدراسات البلاغية في القرآن وبين الدراسات البلاغية في الأدب والإبداع ، وهذا الربط يُعدّ باباً من أبواب البحث كان ينبغي الولوج إليه, وكان هذا البحث سعياً حثيثاً نحو تطبيق نظرية التكامل بين تطبيقات وعلوم الدرس البلاغي بعضها مع بعض,والإفادة بالذات من علوم الدرس البلاغي القرآني في أبحاث الدرس البلاغي الإبداعي, آخذةً هذه الدراسة على عاتقها هذا الحمل, راجية أن تؤسس لمشاريع أبحاث أخرى تنهج هذا النهج ,وتسير على هذا الدرب ,حتى تتشكل مجموعة من الأبحاث في هذا الدرس تتيح للمشتغلين بهذا العلم إمكانية تحليلها والنظر فيها عن كثب ,ثم استخراج الصفات المائزة في شعر كل شاعر, و إنتاج أي أديب,ثم قد تعمّم هذه التجربة وتوسع لدى شعراء تجمعهم صفات مشتركة,أو سياقات متقاربة,في إقليم واحد ,أو عصر واحدٍ,في غرض شعري واحد ,أو عدة أغراض, كل ذلك قائم على الدرس البلاغي النقدي الموازن, الذي يرصد الملامح ويرسم المعالم .

ولا شك أن نقل البحث في المتشابه من الدرس البلاغي القرآني إلى الدرس البلاغي الإبداعي يحتاج إلى صبر وروح مغامرة, و إفادة تامة من منجزات الأول

حتى تستثمر أحسن استثمار في الثاني ,وهذا كله منوط عمله بالدراسات التي ينتظر منها أن تؤسس لمثل هذا العمل تأسيساً ناجحاً يجعل الإقبال عليه مطلباً في حدّ ذاته .

والذي مكّن لهذا القول في نفسي هو أنّ دراسة المتشابه في القرآن الكريم كانت دراسةً قيّمةً ومفيدة , وقد آتت أُكُلَها حين كشفت وبينت وجهاً من وجوه إعجاز القرآن ,بل إنها أكدت أمر الإعجاز من خلال ردها على من زعم من الملحدين والجاحدين أنّ هذا التشابه يعدّ منقصة في بلاغة آي الذكر الحكيم – تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيرا – , ومن هنا فإن التفاتة العلماء إلى ظاهرة المتشابه في القرآن قد يكون أظهر سبب لها ما رأوه من هجمة الملحدين والمشككين الجاحدين على ثوابت الأمة ,وقرآنها بالأخصّ,فأخذوا يردون على هذه الافتراءات وتلك المزاعم من خلال البحث في المتشابه ,الأمر الذي أفاد من عدة جهات أهمها في ظني ثلاثة:

الأول : الرد المفحم على المشككين والملحدين في القرآن,ببيان ما قصُرت عن فهم كنهه أفهامهم, وإيضاح ما كبت عن إدراك سرّه أحلامهم.

الثاني : إعلان وتأكيد وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم,بل والتطبيق العلمي العملي على هذا الوجه, فكان أن استخلصوا من ذلك المطعن المزعوم وجهاً من وجوه الإعجاز والسّموّ في القرآن.

الثالث : بعث وتحريك التعليلات والتوجيهات البلاغية والسياقية ,واستثمارها أحسن استثمار في بيان إعجاز القرآن من هذه الناحية.

كل ذلك قام به وعليه رجال من العلماء ألّفوا في متشابه القرآن مؤلفات رائعة في خطّ سير معروف , سوف يأتي الحديث عنه إن شاء الله.

ولما سبق , فإن الجهد المبذول في هذا المجال المهم كان ينبغي أن يقابله جهدٌ آخر في مجال الإبداع البشري, جهدٌ لا يُبحث فيه عن وجه الإعجاز , ولا يبحث فيه عن الأمر الذي يقطع الأطماع والقُدَر ,كما فيما سبق,وإنما يبحث فيه عن وجه تجويد فني ,وتفرّد إبداعي,فيما هو في إمكان البشر , وفي حدود الوسع والطاقة الإنسانية.

حيث يمكن من خلال ذلك النوع من الدرس تصحيح بعض الأحكام المعمّمة الجائرة, وتصويب بعض التأويلات الخاطئة ,وكذلك التدليل على التعليلات الصائبة,ويمكن كذلك – من خلاله - استثمار البلاغة استثماراً مبدعاً متجدّداً ,وأيضاً لا يُغفل عن فضيلة تطبيق الموازنة الناقدة المثمرة ,وغير هذا كثير مما يعود بالنفع على الدرس البلاغي في هذا الجانب , كل ذلك كان سبباً في وجود هذه الدراسة.

أما هذا البحث فقد وقع الاختيار فيه على شعر امرئ القيس لعدة أسباب, منها كونه المقدّم عند كثير من أهل العلم بالشعر على غيره ، ولظهور هذه الظاهرة في شعره أكثر من شعر غيره, وهذا لا يعني عدم وجودها عند الآخرين, ولكنها في

شعره أظهر ,ولأنها بالتأكيد باب لم يطرقه أحد من قبل فيما يخص المعاني ,أما فيما يخص الألفاظ فإن هذا البحث يُعدّ إكمالاً للدائرة التي شرع في رسمها بعض الأساتذة الباحثين ، وقد اعتمدت في اختيار المتشابهات على أمور منها أن تكون الأبيات المتشابهة موثوقة النسبة إلى امرئ القيس ؛ لرغبتي في أن تخرج النتائج سليمة من الخلل و الاضطراب ,لا يتطرق إليها الاحتمال,واعتمدت في هذا الجانب على روايتي المفضّل و الأصمعي المحققتين في ديوانه الذي أخرجه الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، وكذالك آثرت أن تكون الأبيات المدروسة متشابهة في كلّيتها أو أغلبيتها ,وأعرضت عن كل ما كان التشابه في بعض أشطره ، وكذلك حرصت على أن يكون حجم المتشابهات المدروسة واحداً ، فلم أدرس بيتاً وسع الشاعر القول في قريب من معناه ولكن في بيتين أو ثلاثة ، فصار في مقابل كل بيت مدروس بيت آخر ، وإن كانا اثنين ففي مقابلهما مثلهما أيضاً,وكذلك لم أدرس ما كان من المتشابه في قصيدة واحدة ؛لاتحاد سياقهما.

وأخيراً فقد بقيت بعض المتشابهات التي لم أستطع وضعها في فصول خاصة بها لقلة المادة الشعرية فيها ولم أستطع ضمها إلى غيرها لمخالفتها لها في الغرض .

منهجية الدراسة:

أما فيما يخص القسم الأول من الدراسة فقد جاء فيه تحديد و تأصيل لبعض المسائل النظرية, وقد انتُحي فيه المنحى التاريخي التتبعي وطرحت عدة مسائل في البلاغة , والنقد القديم , و النقد الحديث , في دراسة مؤصّلة ومحلّلة وناقدة .

وسارت هذه الدراسة في قسمها الثاني على المنهج التحليلي الموازن ، فقد كانت تحلل المادة المدروسة بلاغياً , متتبعةً الفروق بين كل شبيه وشبيهه الآخر ، راصدة كل ذلك ورابطة له بسياقه, ثم توازن بين إمكانات كل بيت وشبيهه متطرقةً ما أمكن إلى جوانبه ومسائله النقدية والفنية .

خطة البحث:

وأما فيما يخص هذه الرسالة من تبويب وتقسيم فقد جاءت هذه الرسالة في قسمين :

(نظري) و (تطبيقي) , يشتمل كل واحد منهما على فصلين :

أما فيما يخص القسم الأول فقد عنون بـ(متشابه المعاني :المفهوم , والتأصيل), وقد حاولت فيه معالجة الموضوع من جانبه النظري ، ولذلك أسباب منها :

- كي لا يكون الدخول إلى قسم التطبيق دخولا فجّاً, فكان وجود القسم النظري المعرِّف ,المحدد, الموضح للمعالم والسمات ضرورة لا مناص منها .
- أضف إلى هذا أنه لم تسبق دراسة موضوع المتشابه في المعاني في الإبداع الشعري ولعل هذا هو العمل الأول على صعيد أبحاث الماجستير و الدكتوراة , فكان حريّاً بأول بحث يطرق هذا الباب, ومطلوباً منه أن يعالج كل ما يمس هذا الموضوع نظرياً, ثم يتاح للآخرين فيما بعد أن يسيروا على هدى ونور من خلال التقديم الذي يقدِّمه ، ولا سيما أنه قد يوجد من يجادل في هذا الأمر مسبقاً في ناحيته النظرية , ولعل هذا القسم أن يجيب عن كل ما يعتمل في الأذهان حول هذه الدراسة .

وضم القسم الأول من الدراسة فصلين:

<u>أما الفصل الأول:</u>

فقد جاء معنوناً بـ(المفهوم).

وضم مبحثاً واحداً هو/ تعريف العنوان .

ونُوقش في هذا المبحث من هذا الفصل (عنوان الدراسة) ,حيث قمت بتعريف كلماته وتوضيح الدراسة وحدودها .

حيث إن هذا العنوان بهذا التركيب جديد في حقل الدراسات البلاغية في الشعر ، فكان من الضرورة – بمكان - أن يعرف ويبين الباحث مراده من كل كلمة في كلمات العنوان ليسير القارئ في قراءته فيما بعد على هدى ونور .

وحاول هذا المبحث أيضاً أن يجلّي معنى التشابه ,و أن يقسِّم ويؤصِّل استخدام العلماء السابقين لثاني كلمات العنوان (المعاني) ,ويبين الدلالة المرادة في هذه الدراسة ,ثم يبين مجال البحث من حيث قائل هذا الشعر ومحددات الدراسة ,ويبين أصول دراسة المتشابه في القرآن , واقترح تعريفاً للمتشابه في الشعر .

<u>وأما الفصل الثاني :</u>

فقد عنون بـ(التأصيل)

وضمّ أربعة مباحث على النحو الآتي :-

<u>المبحث الأول /</u> المتشابه في التراث الإبداعي والعلمي عند العرب .

حيث استعاض البحث عن ذكر الدراسات السابقة في مجاله , بمحاولة البحث والتأصيل لوجود هذه الفكرة عند فئتين يمسّهما الموضوع أكثر من غيرهما :

الأولى / فئة الشعراء

والأخرى / فئة العلماء .

وذلك للتدليل على أن هذه الفكرة ليست وليدة الساعة ,وليست مبنيةً على غير أساس , وإنما هي ثمرة من ثمار البحث العلمي,والتراكم المعرفي , وقد وجدت جذور هذه الظاهرة عند الشعراء , وأكّدها من بعدهم العلماء, كل ذلك مدعوم بتأصيل علمي تاريخي موثّق .

والجانب الإبداعي يتصل بالجانب العلمي اتصالاً وثيقاً فهو قبيله ,ولا يوجد الجانب العلمي إلا بعد وجود الجانب الإبداعي ، فهو الأساس الذي يكون التنظير مبنيّاً عليه, وكان الغرض من التطرق إلى هذا الجانب أمور منها :

- إكمال هذه الدائرة بالتقاء طرفيها ، ولو اكتفى بأحدهما لبقي نصف الدائرة الآخر مختفياً .
- التدليل على أن هذا الأمر المدروس يشكل ظاهرة عامة عند الشعراء وينفي فرضية احتكاره في شعر امرئ القيس وإن كثُر عنده .
- فتح أبواب من الدرس البلاغي الشعري عند بعض الشعراء لم يكن ينظر إلى أن لديهم ما يمكن تسميته بالمتشابه لفظياً كان أو معنوياً .

لذلك فقد حرص الباحث على الإتيان ببعض الأمثلة من دواوين بعض الشعراء تأكيداً على وجود هذه الظاهرة, وتأصيلاً لها,ثم تتبع الباحث إشارات العلماء إلى تلك الظاهرة في كتبهم ومصنّفاتهم ,منذ عهد الرواة إلى هذا العصر,وعرض لتطور تلك الظاهرة منذ أن كانت إشارات ولمحات حتى أصبحت أبحاثاً ودراسات .

المبحث الثاني / المتشابه والتكرار والتصرف والاقتدار .

يبحث هذا المبحث قضيةً بلاغية ، وكان لا بد من وجوده لأسباب منها :-

- أن هناك من يجعل المتشابه تكراراً ولا يفرق بينهما ويظنّهما واحداً وليسا كذلك .

- أن دراسة المتشابه على أنه تكرار تجعل الدراسة تدور في فلك علم البديع ,أو المعاني في أحسن الأحوال, وليس مراداً لها ذلك .

- كان لا بُدّ من التفرقة بين مصطلحات (التكرار ، والتصرف والاقتدار) التي وردت عند علماء البلاغة والبديع ,وبيان أنها لا يمكن أن تنطبق على المتشابه ؛لأنه لا يتطابق مع ما أرادوه من هذه المصطلحات عندما صاغوها وضربوا لها الأمثلة .

المبحث الثالث/ المتشابه والسرقات (السرقة الشخصية).

يبحث المبحث قضية نقدية قديمة ومهمة عند العرب ألا وهي السرقات الشعرية؛ولأن أحد أهمّ باحثينا وخاصة في موضوع السرقات الشعرية, قد تطرق (للسرقة الشخصية) وهي ما يمكن أن يطلق عليه المتشابه ، وصرح بأسبقية الغربيين إلى اكتشاف هذا الأمر وعرض بنقد ونقاد العرب, وأنهم لم يفطنوا إلى ما فطن له الغربيون ، كان على هذا المبحث أن يدلي بدلوه في هذه القضية وأن يثبت بالأدلة القطعية ما توصل إليه في هذا الشأن .

المبحث الرابع / المتشابه والتناص :

يبحث هذا المبحث قضية نقدية حديثة هي (التناص) ويناقش هذا المبحث ما سمي بـ(التناص الذاتي) وتلك التفريعات التي تفرعت عنه ، ويضعها بجانب مصطلح المتشابه في التراث العربي ,وبين البحث ما ظهر له في هذا الشأن , ودعا إلى تفلية هذا التراث كما يجب بحثا عن مكنوناته ,علّنا أن نفيد منها ؛ودعا أيضاً إلى استخدام مصطلح المتشابه بديلاً لمصطلح التناص ,لأنه حري بنا أن نفعّل هذا المصطلح العربي الأصيل ، ما دام أنه مطابق للمسمى , و موجود في تراثنا وتراث علمائنا.

وهنا ينتهي القسم الأول من الدراسة ويبدأ القسم الثاني وهو (التطبيقي) وعنون بـ(متشابه المعاني في شعر الشاعر)وفيه تمهيد وفصلان:

أما التمهيد / فبيّن في عجالة خط السير في التحليل والطريقة التي ستتبع في دراسة الأبيات المتشابهات في المعاني في الفصلين كليهما.

وأما الفصل الأول فعنوانه :

(متشابه المعاني في الغزل)

ودُرس في هذا الفصل أكثر من عشرين بيتاً من المتشابه, اعتمدت فيها الدراسة البلاغية النقدية الموازنة ، التي تعتمد على تلمّس ما بين الأبيات من فروق, وعلى فهم السياق وتفعيله في كل بيت من الأبيات المتشابهة ,وقد وردت مرتبةً في البحث حسب ورودها في الديوان .

وأما الفصل الثاني فعنوانه :

(متشابه المعاني في وصف الفرس)

ودُرس في هذا الفصل ما يقرب من العشرين بيتاً من المتشابه, اعتُمدت فيه طريقة الدراسة في الفصل السابق نفسها .

ثم الخاتمة وضمّت النتائج التي توصل إليها الباحث في هذا العمل .

ثم ثبت المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات .

وكان أصعب ما واجهني في هذه الدراسة أنّ جُلّ ما كان البحث يبحثه مفرّقٌ في الكتب ,ولم يكن هناك بحث سابق ,أو رسالة علميةٌ متقدمة قد مهّدت الطريق للبحث ,فبيّنت مصادره,وجمعت أشتاته, وأسست طرائقه ,وعرّفت بما يمكن أن يكون من نتائجه ,حيث كان من سيبحث فيه سيفيد من تجربة السابقين في الصواب والخطأ ,فينتهج سبيل الصواب ويسير عليه ,ويتنكّب طريق الخطأ ويتلافاه,ولكلّ هذا فأرجو الله أن يعفو عن النسيان و الخطأ,وأرجو من القارئ أن يغضّ عن الزلات والهفوات, وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب.

ويطيب لي هنا أن أقدم خالص امتناني ,وجميل شكري وعرفاني, لمن قدم لي يد المساعدة والنصح والمشورة, من أساتذتي وزملائي وإخواني ولكل من اهتم لأمري .

أما حزم النور المطوّقة بلآلئ الامتنان ، وطاقات الشكر المُلاثة بعمائم العرفان ، فهي مخبتةٌ عند من فتح لي قلبه وبيته ومكتبته ، مشرفي سعادة الأستاذ الدكتور / دخيل الله بن محمد الصحفي ، وفقه الله لكل خير في الدارين .

وكذلك أشكر هذه الجامعة المباركة التي أتاحت لي فرصة الدراسة فيها,والإفادة من مكتباتها العامرة.

ولن يفوتني أن أقدم شكري لعميدي الكلية السابق والحالي, و لرئيسي قسم الدراسات العليا كذلك ,ولأساتذتي وشيوخي في السنة المنهجية , ,بارك الله في علمهم ونفع بهم .

ثم يطيب لي أن أشكر الأستاذين المناقشين اللذين أنفقا أثمن ما يملكان من وقت وجهد للنظر في هذا العمل المتواضع ,الذي لا يعدو أن يكون عمل طالب علم يحاول أن يتلمس طريقه للوصول إلى مبتغاه,فإن أصاب فبتوفيق الله, والحمد لله ,وإن كان هناك من خطأ فحسبي أني عملت ما كان في طوقي, وما ألوت جهداً ,ولا ادخرت أمراً كان في وسعي,والله المستعان .

وأزكى الصلوات والتسليمات على نبيّنا محمد, وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

القسم النظري

"متشابه المعاني
المفهوم,والتأصيل
"

ويشتمل القسم الأول على فصلين:

الفصل الأول/المفهوم.

الفصل الثاني/التأصيل.

الفصل الأول

" المفهوم "

وفيه :

- المبحث الأول/ تعريف العنوان.

المبحث الأول

تعريف العنوان

- **المبحث الأول / تعريف العنوان**

عنوان الدراسة هو/

"متشابه المعاني في شعر امرئ القيس – دراسة في الفروق والسياق "

متشابه : اسم فاعل من التشابه , ووزنها (متفاعل) وصيغة التفاعل تدل على التشارك ,أي أن كل واحد من الشبيهين يشبه صاحبه, ويتشارك معه في هذا الشبه.
وحروفها الأصلية (الشين والباء والهاء) (شبه), قال ابن فارس : ((الشين والباء والهاء أصلٌ واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله ,لوناً ووصفاً..., والمشبّهات من الأمور المشكلات ,واشتبه الأمران إذا أشكلا)).(1)

وفي (لسان العرب) الشِبه والشَبَه والشبيه (2): المثل , وأشبه الشيء الشيء ماثله... , وتشابه الشيئان واشتبها:أشبه كل واحد منهما صاحبه ,والمشتبهات من الأمور المشكلات,والمتشابهات المتماثلات.
وأمور مشتبهة ومشبِّهة : أي أمور مشكله يشبه بعضها بعضاً... .
وشبّه عليه أي خلّط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره .
وفي اللسان أيضاً روى أبو العباس عن ابن الأعرابي:((شبّه الشيء إذا أشكل,وشبّه إذا ساوى بين شيء وشيء)) وسئل عن قوله تعالى : { وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً } [سورة البقرة : 25] فقال:((ليس من الاشتباه المشكل إنما هو من التشابه الذي هو بمعنى الاستواء.)) (3)
وقال الزمخشري في (أساس البلاغة): ((اشتبهت الأمور وتشابهت : التبست لإشباه بعضها بعضاً))(4)فكأنه جعلهما واحداً ولم يفرّق بينهما .
وقال عندما ذكر قوله تعالى : { وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ } [سورة الأنعام: 99] .
قال : ((اشتبه الشيئان وتشابها , كقولك : استويا وتساويا , والافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً)). (5)
وحديثه عن الآية مصداق كلامه في المعجم,وتثبيتٌ له, حيث لم يختلف في أحد الموضعين عن الآخر .
وفي قوله تعالى : {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء

---

(1) معجم مقاييس اللغة , لابن فارس ,تحقيق /عبد السلام هارون,ط دار الفكر,1399هـ, مادة (شبه),ج 3 ,ص243 .
(2) فرق أبو هلال العسكري بين (الشبه والشبيه) فجعل الشبه أعم من الشبيه فهو يستعمل في كل شيء, وقلما يستعمل الشبيه إلا في المتجانسين.
ينظر: الفروق اللغوية ،ط الثالثة دار الكتب العلمية ،بيروت ص 172 .
(3) لسان العرب ,لابن منظور,ط دار صادر ,الرابعة ,2005م,بيروت, مادة (شبه).
(4) أساس البلاغة ,للزمخشري, ط:دار الفكر ص320 , (مادة : شبه).
(5) الكشاف , للزمخشري , , ط الثانية دار المعرفة _بيروت_ 1426هـ , ص339.

تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ} [سورة آل عمران : 7] .

قال :((متشابهات: مشتبهات محتملات)) [1] ,فهما سواء يفسران بعضهما عنده.

وفي صحيح البخاري قال الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم- : ((الحلال بين والحرام بين, وبينهما مشبّهات[2]،لا يعلمها كثير من الناس ,فمن اتقى المشبّهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ,ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى ...)) الحديث [3],وقيل عن هذه المشبّهات أنها ((شُبِّهت بغيرها مما لم يتبين به حكمها على التعيين)) [4]

(1) السابق ص161.

(2) عرف المشتبه بأنه (كل ما ليس بواضح الحل الحرمة مما تعارضتة الأدلة وتنازعته النصوص، وتجاذبته المعاني والأوصاف.)

وقيل :(المشتبه ما أختلف في حله كالخيل والنبيذ)

وقيل :(ما اختلط فيه الحلال والحرام).

ينظر:كشاف اصطلاحات الفنون محمد علي التهانوي,ط: مكتبة لبنان ناشرون ,الأولى,1996م, جـ2 ص 1546

(3) الجامع الصحيح ، شرح وتحقيق /محب الدين الخطيب وآخران ،ط المطبعة السلفية ,ط الأولى ,سنة 1400هـ, جـ1ص 34.

(4) فتح الباري لابن حجر,تحقيق/عبد القادر شيبة الحمد,ط الأولى,ج1,ص:154,وفيه رواية (مشتبهات)والمعنى أنه اكتسبت الشبه من وجهين متعارضين,وفيه رواية أخرى هي (متشابهات),المرجع نفسه.

ولعلقمة الفحل [1]في قصيدته الشهيرة التي مطلعها :

طَحــا بِــكَ قَلــبٌ فــي الحِســانِ طَــروبُ **بُعَيدَ الشَبابِ عَصرَ حانَ مَشيبُ** [2]

بيت يقول فيه:

إِلَيــكَ - أَبَيــتَ اللَعــنَ - كــانَ وَجيفُهــا **بِمُشْــتَبِهاتٍ هَــولُهُنَّ مَهيــبُ** [3]

حيث فسّر الشارح المشتبهات بأنها :((طرق يشبه بعضها بعضاً ,فهي تشكل على من سار فيها)) [4],ويلاحظ في هذا التفسير أنّ الشبه جاء أولاً, ونتيجة له كان هناك الإشكال,فهو إنما جاء من بعده.

وقال ابن قتيبة:((وأصل التشابه أن يشبه اللفظُ اللفظَ في الظاهر و المعنيان مختلفان ...،ومنه يقال اشتبه عليّ الأمر،إذا أشبه غيره،فلم تكد تفرق بينهما...،وشبّهت عليّ إذا لبّست الحق بالباطل ...ثم قد يقال:لكل ما غمُض ودقّ متشابه،وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره ...ومثل المتشابه المشكل،وسمي مشكلاً:لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله)). [5]

---

(1) هو علقمة بن عبدة بن النعمان,لقب بالفحل لأنه خلف امرأ القيس على امرأته أم جندب بعد أن حكمت لعلقمة على امرئ القيس في القصة المشهورة.
ينظر:الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني,/شرح عبد أ .علي مهنا,ط الثانية, دار الفكر للنشر والتوزيع,بيروت ج21,ص:205.
والشعر والشعراء ابن قتيبة,تحقيق/أحمد محمد شاكر/ط دار الحديث ,القاهرة,1423هـ ج 1,ص:212.

(2) طحا: اتسع بك وذهب كل مذهب,طروب:كثير الطرب ,وتستخدم في الفرح والحزن وهي هنا للحزن,عصر حان مشيب:الزمن الذي حان فيه الشيب,وبعيد الشباب:أي بعد زمن الشباب بوقت قصير.
ديوان علقمة بن عبدة ,شرح سعيد مكارم,ط دار صادر, الأولى1996م,بيروت,ص21.

(3) أبيت اللعن :دعاء كان العرب يستعملونه في قديم الزمان,وجيفها :سيرها السريع,بمشتبهات:طرق يشبه بعضها بعضا فهي تشكل على من سار فيها,هولهن :فزعهن الشديد,مهيب: مخوف.
السابق ص:25.

(4) شرح الأشعار الستة الجاهلية, للوزير أبي بكر عاصم البطليوسي, تحقيق/ناصيف سليمان عواد ,سلسلة كتب التراث – الجمهورية العراقية,ط: دار الحرية للطباعة,1979م,ج1,ص540.
وينظر:أشعار الشعراء الستة الجاهليين,اختيار الأعلم الشنتمري , منشورات دار الآفاق الجديدة,ط الثانية 1401هـ ,بيروت,ص:146.

(5) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة,شرح /السيد أحمد صقر- ط الأولى المكتبة العلمية ,, بيروت- 1401هـ - ص 102.

وعقد باباً في كتاب المعرفة من (أدب الكاتب) سمّاه (نوادر من الكلام المشتبه) ,وهو يعني به: ما كان فيه إشكال من جهة اللفظ أو المعنى، ففي اللفظ يفرق بين كلمتي (الجمْع)و(الجُمّاع) في أن الأولى للمجتمعين والثانية للمتفرقين.
وفي المعنى يفرق بين (التقريظ)و(التأبين) في أن الأول منهما ما كان في مدح الرجل حياً،والثاني ما كان في مدحه ميتاً. (1)
وذكر ابن فارس في (الصاحبي) (المشتبه) على أنه المشكل الذي يصعب الوقوف على كنهه،ومعرفته على وجه الدقة . (2)
وقال المناوي: ((والشبه أن لايتميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى)).(3)

ونخلص من هذا إلى أنّ معاني التشابه ممّا نحن بصدده معنيان متقاربان وبينهما وجه اتصال،والمعنيان هما :
أولاً: معنى التماثل والتشاكل والمساواة .
وذلك في مثل قول القائل: هند تشبِّه أباها بحاتم.
ثانيا: معنى الإشكال والالتباس.
وذلك في مثل قول القائل:لم تشبِّه الأمور عليَّ، أي تخلطها وتلبّسها .
ووجه اتصال الثاني بالأول أن الأول سبب لوجود الثاني, فقوة (التماثل ، والمساواة ، والمشابهة)في الأول أدت إلى (الالتباس والإشكال والخلط) في الثاني, وعند النظر في الأمر يعلم أنه لا سبيل إلى المعنى الثاني إلا عن طريق المعنى الأول،فالثاني محتاج في وجوده للأوّل ولا عكس .
ومن هنا فجعلُهما أمراً واحداً قد يكون فيه ما فيه ،فلو كانا يفيدان المعنيين معاً لكان الكلام فيهما على غير هذا،ولكن وجود المعنى الأول يتم من دون وجود الثاني , ووجود الثاني لا يتم إلا بوجود الأوّل،حيث دلّ هذا على أنّ عدهما معنيين منفصلين أولى؛ لأنه لا يلزم من معنى التماثل والمساواة معنى الخلط و الالتباس ,ولكنه يلزم من الحصول على معنى الخلط والالتباس الحصول على معنى التماثل والتشابه،لأنه إنما يتمّ عن طريقه، وبه يتوصل إليه،وإن كان قد عممّ ابن قتيبة المعنى الثاني في كل

(1) ينظر أدب الكاتب لابن قتيبة ، ط 1425هـ -2004م, المكتبة العصرية، بيروت . ص 154 وما بعدها.
(2) ينظر :الصاحبي،لابن فارس تحقيق السيد أحمد صقر،ط :عيسى البابي الحلبي،القاهرة، ص 64 .
(3) التوقيف على مهمات التعاريف،للمناوي،تحقيق د/عبد الحميد صالح حمدان، ط الأولى،1410هـ عالم الكتب، ص 202 .

ما غمض, إلا أن هذا ربما كان في أوّلية القول ومبدئه حتى زمن ابن قتيبة الذي صرّح بأنه أصبح يطلق المتشابه على كل ما غمض ودقّ, وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره .

أما (المتشابه) في الاصطلاح ،فأول وروده في القرآن الكريم ،في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ }. [سورة آل عمران:7] .

وعندما يطلق (المتشابه) فإنه ينصرف إلى دلالته المرادة في القرآن الكريم من خلال الآية الكريمة السابقة ،وفيها يُشكّل (المتشابه) مصطلحاً خاصاً في الدراسات القرآنية يأتي مقابلاً (للمحكم), قال الزمخشري في تفسير الآية :((محكمات أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه ،متشابهات: مشتبهات محتملات)). (1)

والمحكم عند أهل الأصول :ما خلا المراد به عن التبديل والتغيير،أي التخصيص والتأويل والنسخ(2)...

أو هو اللفظ الذي ظهر المراد منه ولم يحتمل النسخ . (3)

أمّا(المتشابه) قبيل (المحكم) فقيل :هو ما لم يدرك. (4)

أو هو(المشكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل). (5)

أو هو((الغامض المشكل مما استأثر الله سبحانه بعلمه أو أنه مما التبس فهم المراد منه)) . (6)

---

(1) الكشاف ص 161 .

(2) التوقيف ص 299 .

(3) السابق نفسه .

(4) السابق ص 300 .

(5) السابق ص 295 .

(6) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، د/صالح بن عبد الله الشثري رسالة دكتوراه مطبوعة, ط :مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, 1425هـ ص 3 .

والمتشابه بهذا المعنى الاصطلاحي الذي سبق ليس مجال دراستي ولا بحثي،ومكانه في دراسات علوم القرآن والشريعة.

ثم إنّ العلماء جمعوا متشابهات القرآن ممّا كان منها من قبيل المعنى اللغوي الأول، أعني (المتماثلات والمتساويات) حتى يعرفها الحافظ فيأمن عند ذلك من الخلط والخطأ ,وكان هذا في أوّلية التصنيف في هذا العلم وبداياته ,ككتاب متشابه القرآن للكسائي [1]وغيره ,وفي مرحلة تالية ظهر من العلماء من يسعى إلى توجيه وتعليل وتحليل هذه الآيات المتشابهات, مُظهراً وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني من خلال هذا التشابه ,وهؤلاء العلماء هم الذين عُنُوا بالنكات والأسرار واللطائف البلاغية, سواء منهم من أفرد لهذا الباب كتاباً خاصاً به مثل كتاب : (درة التنزيل وغرة التاويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز) ,للخطيب الإسكافي [2],وكتاب (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) للكرماني . [3],أو ممن ضمّنوا تفسيراتهم بعض نظرات في هذا الأمر مثل :(تفسير الكشاف) للزمخشري,وكتاب (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروزا بادي [4]

ثم نشأ عن هذا الجمع - فيما بعد - دراسة وتفسير وتحليل تلك المتشابهات،وتسميتها بتسمية تخصّصها, وتميّزها عن المتشابه السابق , فسموه (المتشابه اللفظي) نسبة إلى اللفظ، والمراد به :
((الآيات التي تكررت في القرآن الكريم في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته،في ألفاظ متشابهه ...لغرض بلاغي أو لمعنى دقيق يُرادُ تقريرُه...)). [5]
ثم دُرِست هذه المصنفات وحُقِّقَت وحُلّلت في الدراسات العلمية الحديثة ,من مثل دراسة صالح الشثري وعنوانها ((المتشابه اللفظي في القرآن الكريم)), ودراسة عايض الحربي وعنوانها ((التوجيه البلاغي للمتشابه اللفظي عند الخطيب الإسكافي)). [6]

---

(1) تحقيق د/صبيح التميمي,منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي ,ط الأولى 1994م ,الجماهيرية العظمى ,طرابلس.
(2) منشورات دار الآفاق الجديدة ,ط الرابعة ,1401هـ,بيروت.
(3) دراسة وتحقيق /عبد القادر عطا ,ط دار الفضيلة.
(4) بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز,للفيروزابادي,تحقيق/محمد النجار,ط المكتبة العلمية ,بيروت.
(5) ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ، د/صالح الشثري ص 4 .
(6) رسالة ماجستير,مخطوطة,مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز ,قسم اللغة العربية,1428هـ,ينظر :ص20-23.

ودراسة فهد الشتوي وعنوانها (دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام). [1]

وعلى هذا فيمكن أن يصنف من أسهم في هذا العلم إلى ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى : لها فضل السبق والجمع والترتيب كالكسائي.

الطبقة الثانية : وجّهت وحلّلت وعلّلت, وينقسمون إلى قسمين:

أ- من ألفوا كتباً مستقلة في هذا الشأن كابن جماعة.

ب- من ضمّنوا تفاسيرهم بعضاً من هذا التوجيه والتعليل كالزمخشري.

الطبقة الثالثة : درست وحقّقت هذا التراث ,وهم الدراسون المحدثون .

وكان كل ذلك محصوراً في الدراسات البلاغية القرآنية,وكانت الرغبة واضحة جداً عند كل من تطرق لهذا النوع من الدرس وما كان قريباً منه, كانت الرغبة واضحةً عندهم في إرادتهم نقله إلى الجانب الإبداعي في دراسة الشعر,يقول د/محمد أبو موسى:((وحقل التفسير وعلوم القرآن غني بحقائق ذات صلة قوية بالدراسة الأدبية ,ولكنها غير منتفع بها؛لأننا لم ننقلها إلى هناك,والغريب أن كثيراً منا يدرسها في علوم القرآن ثم إذا بدأ يكتب ويفكر في الدراسة الأدبية تركها ولم يستصحبها معه)). [2]

وفي نتيجة من نتائج دراسة الحربي السابقة الذكرنجد قوله : إن((هذه الإشارات النقدية - المشار إليها- وإن كانت متعلقة بالنص القرآني إلا أن الباحث لا يرى وجهاً واحداً يقبله العقل في إبعادها عن نطاق الدراسة الأدبية...وإيجاد الحاجز بينهما أمر لا معنى له , ولا دليل عليه)). [3]

أما الإبداع و الشعر فعند التفتيش في كتب التراث فإنه يوجد في مصنفات العلماء بعض إشارات لهذا الأمر ,ثم وجد من ألّف فيه, فجمع ما وجده من المتشابه فقط,دون تحليل أو تعليل , في أمر يشبه المرحلة الأولى من مراحل وبدايات علم المتشابه في القرآن, والتي سبق الحديث عنها,وتنسب أوّلية هذا العمل إلى نجم الدين أبي ربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي المولود(عام 657هـ)والمتوفى في (عام 716هـ) الذي ألّف كتاباً أسماه:((موائد الحيس في فوائد امرئ القيس)) ,وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله.

---

(1) رسالة ماجستير مخطوطة,مقدمة لجامعة أم القرى ,قسم الكتاب والسنة,1426هـ.

(2) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري,د/محمد أبو موسى,ط الثانية 1408هـ,مكتبة وهبة,ص78.

(3) التوجيه البلاغي للمتشابه اللفظي عند الخطيب الإسكافي,ص202.

وختاماً فإنه ومن خلال العرض السابق للمتشابه وبالإفادة من العطاء السابق والمتقدم لعلماء المتشابه في القرآن الكريم فإنه يمكن أن يقترح تعريف لمتشابه الشعر يشمل نوعيه ,ويقال فيه:

هو ((أن يتشابه نصّان أو أكثر لشاعر واحد في اللفظ أو المعنى)).

فإن كان يغلب على التشابه أن يكون في اللفظ فهو متشابه لفظي في شعر الشاعر,وإن غلب على التشابه أن يكون في المعاني لا الألفاظ, فهو متشابه المعاني في شعر ذلك الشاعر, وعلى هذا الأخير بنيت هذه الدراسة.

ولأن البحث العلمي عطاء متراكم ,يعتمد فيه اللاحق على السابق,ويفيد فيه الخلف من السلف,فقد حاول هذا البحث أن يكون خطوةً إلى الأمام في هذا المجال,واختطى هذه الخطوة الجديدة التي عسى الله أن يبارك فيها,وأن يجعل التوفيق والنجاح حليفنا.

***

(المعاني)

والكلمة الثانية في عنوان البحث(المعاني).

وهي جمع معنى ,والمعنى لغة: المقصود,سواء قصد أو لا. (1)

ومعنى كل شيء محنته وحاله التي يصير إليها أمره,وروي أن : المعنى والتفسير والتأويل واحد.

وعنيت بالقول كذا:أردت,ومعنى كل كلام ومعناته ومعنيّته:مقصده.

وعنوان الكتاب مشتق فيما ذكروا من المعنى. (2)

وقال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية:((المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه)). (3)

أما المعاني اصطلاحاً فقد عرفت في كتاب التوقيف,بأنها: ((الصور الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ)),وقال أيضاً :((الصورة الحاصلة في العقل من حيث أنها تقصد باللفظ,تسمّى :معنى.)) (4)

وعرف الجرجاني (المعنوي) نسبة إلى المعنى بقوله:((هو الذي لا يكون للّسان فيه حظّ, وإنما هو معنى يعرف بالقلب)). (5)

والتعريفان السابقان لعلهما يتجهان نحو الدلالات والمعاني الإفرادية للأشياء , من حيث اختزانها في العقل ,ثم جعل الألفاظ علامات لها وعند إرادتها تستدعى تلك المعاني من خلال تلك الألفاظ.

والمعاني بعد هذا لها دلالات أخر كثيرة ,سيأتي الحديث عنها مفصّلاً إن شاء الله.

---

(1) كشاف اصطلاحات الفنون, ج2 ص1600.

(2) ينظر :لسان العرب :مادة (عنا) وقد فرق أبو هلال العسكري بين التفسير والتأويل,فأما التفسير فالإخبار عن إفراد آحاد الجملة,ووضع كل شيء منها موضعه,أو إفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل.

والتأويل: الإخبار بمعنى الكلام,أو الإخبار بغرض المتكلم بكلام,أو أنه استخراج معنى الكلام لا على ظاهره,بل على وجه يحتمل مجازا أو حقيقة, ومنه يقال : تأويل المتشابه.

وأصل التأويل في العربية من:ألت إلى الشيء أؤول إليه,إذا صرت إليه,قال تعالى : ((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ))(آل عمران:7).

ولم يقل تفسيره,لأنه أراد ما يؤول من المتشابه إلى المحكم.

ينظر:الفروق اللغوية ,لأبي هلال العسكري,ص70.

(3) الفروق اللغوية:ص(45.).

(4) التوقيف على مهمات التعاريف,للمناوي,ص309.

(5) التعريفات للجرجاني,ط الأولى دار المعرفة,1428هـ,ص201.

المعنى في التراث العربي (بلاغته ونقده)مسألة شائكة,أكبر من أن تحدّ بتعريف يكون في سطر أو سطرين, تنقطع من بعده الأسئلة ,وتنتفي به الحيرة , ومسألة المعنى هذه لها قسيم قلّما ينفك عنها هو اللفظ,وهما معا يضربان بجذورهما في عمق التراث العربي ,وبدايات التدوين البلاغي والنقدي.
وإن شئت فقل,أيضا أنهما يطلان بأفرع وغصون إلى هذا العصر في مظهر جديد سمي (بالشكل والمضمون) عند من يجعلهما الألفاظ والمعاني.
ولما تقدّم فإن التفاتة واحدة إلى منجزات المكتبة العربية(بلاغتها ونقدها) تنبئ بأهمية هذه القضية وبأحقيتها في التصدر والظهور, من خلال ما ألف فيها وحولها من كتب ودراسات,حاولت سبر أغوار المسألة والتنقل في ردهاتها علّها أن تظفر بما معرفته تُعدّ فتحاً علمياً جديداً ,قد يغيّر أو يطور.
وما أنا معني به هنا هو (المعنى) , ولذلك فإن حديثي سيكون منصبّاًّ عليه هو وليس على غيره,وأيضاً ليس عليه ومعه غيره.

وكنت على أن أكتب في دلالات المعنى عند العلماء القدامى, واستعمالاتها لديهم , منطلقاً من تحديد الدكتور /مصطفى ناصف لهذه الاستعمالات في كتابه(نظرية المعنى), والدكتور العماري أيضا في كتابه (قضية اللفظ والمعنى) ,فتقاطعت كثيراّ مع الآراء , ولم يسلم الكلام من التشتيت ,فآثرت أن أنطلق مبيناً دلالات المعنى ,باتجاه التراث العلمي العربي, ومقولات أهل العلم فيه قديماً وحديثاً بالإيعاز والتأصيل قدر المستطاع.

يستعمل (المعنى) وجمعها(المعاني) في التراث العربي بدلالات عدة, هي:

أولاً/ (المعاني الإفرادية) :

تطلق المعاني ويقصد بها((الدلالات والمعاني الإفرادية))للألفاظ.
فقد جعل الجاحظ أصناف الدلالات على المعاني خمسة,أولها اللفظ [(1)], فاللفظ دليل على المعنى.
وهذه الألفاظ هي المادة الأولى التي لا يقع فيها مزية أو فضل إلا بتضامها واجتماعها,قال الإمام عبد القاهر الجرجاني:((الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة

---

(1) البيان والتبيين,للجاحظ, تحقيق/عبد السلام هارون,ط دار الفكر,ج1 ص76.

لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها , ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد، وهذا علم شريف، وأصل عظيم)) [1].

وهناك من أقوال الشيخ ما هو أبين دلالة على هذا النوع من المعاني,فقد جعل الكلام على ضربين أولهما:((ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده)) [2]وهذا هو الذي بين يدينا,أعني بها الدلالات والمعاني الإفرادية للألفاظ,أما الضرب الآخر فكان مما اهتم به الشيخ ومن بعده البلاغيون وهو ((ضرب يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ,ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض)). [3]

وتكمن العلاقة بين هذين الضربين أن أحدهما موصل للآخر ,فالشيخ يجعل لتلك المعاني الإفرادية قيمة محدودة,تكمن في أنها وسيلة للوصول لنوع آخر من المعاني هو الذي يطلبه البلغاء,وهو الضرب الثاني,يقول :((فها هنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى،تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر.)) [4]

وخلاصة القول : إنه قد أقلّ العلماء الاحتفال بهذا النوع من المعاني ,لعدم وجود المزية البيانيّة فيه,خلا ما يطلب فيه من الدقّة والإصابة.

وهذا النوع من المعاني لم يذكره الدكتور ناصف من بين استعمالات العلماء القدامى للمعنى ؛ ربما لأن النقاد والبيانيين إنما يطلبون فيه الصحة والسداد , ويعنون بما هو أغنى جانباً منه في جهة البلاغة والبيان .

ثانياً / (الأغراض والمقاصد)

تطلق المعاني(ويراد بها الأغراض والمقاصد) وهذا الاستعمال شائع وكثير عند العلماء,وهو يتسع ويضيق.

ووجه اتساعه أنه قد يعظم ويكبر حتى يكون رديفاً (للغرض العام)و (مقاصد الشعر) من فخر وهجاء ومدح وسواها.

وقد يصغر ويضيق استعماله فيكون المراد به معنى الوصف بالشجاعة مثلاً أو حتى تشبيه الكريم بالبحر,والشجاع بالأسد, فهذا وما أشبهه غرض قد يطلق عليه معنى.

---

(1) دلائل الإعجاز,للإمام عبد القاهر الجرجاني,قراءة وتعليق/الأستاذ/محمود شاكر,ط الثالثة 1413هـ -1992م,مطبعة المدني بالقاهرة, ص539.

(2) السابق,ص262.

(3) السابق نفسه.

(4) السابق,ص:263.

فكما يكون (المدح) غرضاً عاماً,ويطلق عليه (معنى) فكذلك التشبيه بالأسد مثلاً ,يكون غرضاً أقل منه, ويطلق عليه (معنًى) أيضاً.

وعلى الأول نجد قول أبي هلال العسكري:((ولما كانت **أغراض** الشعراء كثيرة، **ومعانيهم** متشعبة جمّة، لا يبلغها الإحصاء كان من الوجه أن نذكر ما هو أكثر استعمالا، وأطول مدارسة له، وهو المدح، والهجاء، والوصف،والنسيب، والمراثي، والفخر))[1]

حيث تراه في النص السابق جعل المعاني مرادفة للأغراض,ومثل لها بأبواب الشعر التي ذكر,من مدح وهجاء...

وعلى الثاني نجد قول الإمام عبد القاهر:((لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها....: إن قولنا: المعنى في مثل هذا يراد به **الغرض**.والذي أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه، نحو: أن تقصد **تشبيه الرجل بالأسد** فتقول: زيد كالأسد، ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول: كأن زيداً الأسد. فتفيد تشبيهه أيضاً بالأسد)) [2]

وهنا ترى الإمام عبد القاهر يجعل المعنى هنا مراداً به (الغرض الجزئي)من تشبيه أو وصف بالشجاعة ,وغير ذلك.

واقرأ له في موضع بعده ليس ببعيد قوله:((ولا يغرنك قول الناس: قد أتى بالمعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه فأداه على وجهه، فإنه تسامح منهم. والمراد أنه أدى **الغرض**)) [3].

ثم تجد الإمام عبد القاهر يسمي المعنى الذي قال إن المراد به الغرض تسمية أخرى فيقول : **أصل المعنى** ((ألا ترى أن ليست المزية التي تجدها لقولك: كأن زيداً الأسد، على قولك: زيد كالأسد بشيء خارج عن التشبيه الذي هو أصل المعنى)) [4],فأصل المعنى عند الشيخ هو مرادف الغرض ,وما يريد المتكلم من كلامه من وصف بالشجاعة أو الكرم أو غيرها,وكل هذا معنى.

ثالثاً/ (المعاني الخلقية والفكرية)

---

(1) الصناعتين الكتابة والشعر,لأبي هلال العسكري,تحقيق/علي محمد البجاوي,ومحمد أبو الفضل إبراهيم,ط الأولى 1427هـ,2006م,المكتبة العصرية بيروت,:ص120.

(2) الدلائل:ص258.

(3) السابق ص261.

(4) السابق ص266.

تطلق المعاني ويراد بها(المعاني الخلقية والفكرية) وهذا الإطلاق يتوضح من خلال التقسيم الثالث من تقسيمات ابن قتيبة للشعر,حيث جعل الثالث من هذه التقسيمات (ما جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه)ومثّل له بقول لبيد بن ربيعة:

مـا عاتَـبَ الحُـرَّ الكَـريمَ كَنَفسِـهِ وَالمَـرءُ يُصـلِحُهُ الجَلـيسُ

ثم قال:((هذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق)). [1]

وهنا ترى ابن قتيبة قد استحسن المعنى مريداً ما في البيت من فلسفة, وحكمة خلقية.

وأيضاً ما كان في مثل ما رواه الجاحظ عن استحسان أبي عمرو الشيباني,لقول الشاعر:

لا تَحسَـبَنَّ المَـوتَ مَـوتَ البِلـى فَإِنَّمـا المَـوتُ سُـؤالُ الرِجـال
كِلاهُمـا مَـوتٌ وَلَكِـنَّ ذا أَفضَـع مِـن ذاكَ لِـذُلِّ السُـؤال

حيث قال بعدها:((وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى, والمعاني مطروحة في الطريق...)). [2]

والجاحظ((لم يرد بالمعاني المطروحة معاني الشعر القائمة,على الإيحاء والإثارة والتصوير,بل أراد بها المعاني العامة كالفضائل والمعاني الخلقية)). [3]

وفسّرها بهذا التفسير الشيخ (عبد القاهر),والنص الآتي له لصيق بالمسألة بل هو منها, وأظن الدكتور/بسيوني فيود أفادها منه في نصه السابق, في حين رأى الدكتور /أبو موسى أنها الأغراض والمقاصد كما سبق.

فقد شنّع الإمام عبد القاهر على من فضّل الشعر بمعناه الخلقي,دون أن يلتفت لما وراءها من الصنعة, والنظم,وذكر أن هناك جماعة يذهبون إلى أنه لا تجب مزية إلا من جانب المعنى,وحتى يكون فيما يدخل باب الحكمة والأدب,قال في هذا:((واعلم أنهم لم يبلغوا في إنكار هذا المذهب ما بلغوه إلا لأن الخطأ فيه عظيم، وأنه يفضي بصاحبه إلى أن ينكر الإعجاز، ويبطل التحدي من حيث لا يشعر, وذلك أنه إن كان العمل على ما يذهبون إليه من أن لا يجب فضل ومزية إلا من جانب المعنى، وحتى يكون قد قال حكمةً أو أدباً واستخرج معنى غريباً أو تشبيهاً نادراً فقد وجب اطّراح جميع ما قاله

---

(1) الشعر والشعراء, ابن قتيبة, ج1 ص 69.

(2) الحيوان,للجاحظ,تحقيق/عبد السلام هارون,ط الثانية ,مصطفى البابي الحلبي,1384هـ, ج3 ص 131.

(3) دراسات بلاغية,د/بسيوني فيود,ط مؤسسة المختار للنشر والتوزيع, الثانية,1426هـ.,ص34.

الناس في الفصاحة والبلاغة وفي شأن النظم والتأليف)). [1]

والمراد من هذا هو تأكيد وجود من يطلق المعنى ويريد به((الأفكار الفلسفية والخلقية خاصة)) على حدّ تعبير الدكتور/مصطفى ناصف. [2]

وقال الجاحظ في أن كثيراً ممن عرفهم يمجدون المعنى لما فيه من خلق وحكمة:((لا يقفون إلاّ ...على المعاني التي إذا صارت في الصدور عَمَرتها وأصلحتها من الفَساد القديم))ثم قال:((ولقد رأيت أبا عمرو الشيْبانيّ يكتب أشعاراً من أفواه جُلَسَائه، ليُدخِلَها في باب التحفُّظ والتذاكُر، ...ولولا أن أكون عيّاباً ,ثم للعلماء خاصة, لصورت لك في هذا الكتاب بعض ما سمعت من أبي عبيدة,ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة)) [3].

وارتأى د/ علي محمد العماري، أن الجاحظ يريد بالمعاني المطروحة في الطريق (المعاني الخاصة)،قال في هذا:((ذهب بعض الكاتبين إلى أن المراد بالمعنى عند الجاحظ هو المعنى العام قال:((وهذه المعاني الذي يقدر عليها الناس جميعاً،من مثل الامتداح بالشجاعة والكرم أو ما أشبه ذلك،وإنما ذهب إلى ذلك التفسير لينفي عن الجاحظ الغفلة أو الرأي الفطير)). [4]

ولكن الذي يمعن النظر في كلام الجاحظ في مواضع كثيرة من كتبه يجده يريد بالمعنى ((المعنى الخاص من تشبيه مصيب ,أو حكمة مسلمة أو معنى لطيف)). [5]

وقال أخيراً:(وهو: - أي الجاحظ - يريد بالمعاني التي قال إنها مطروحة في الطريق(المعاني الخاصة))[6].

ودليله أن المعنى الذي استحسنه أبو عمرو الشيباني,فدعا الجاحظ أن يتهكم به (معنى خاص) [7]

وعلى كل فقد فهم عبد القاهر من قول الجاحظ فهماً لعلّه الأقرب في قوله السابق :(واعلم أنهم لم يبلغوا...)إلى آخره., وعلى هذا الفهم بنى الدكتور بسيوني رأيه أيضاً.

وخلاصة القول:

---

(1) الدلائل: ص257.

(2) نظرية المعنى ,د/مصطفى ناصف,ط الثانية,دار الأندلس,1401هـ. ص38.

(3) البيان والتبيين,ج4,ص24.

(4) قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية,د/علي العماري ,ط الأولى 1420هـ-1999م,مكتبة وهبة,ص158.

(5) السابق,ص158-159.

(6) السابق,ص164.

(7) السابق:ص159.

أن هناك من يطلق المعاني ويريد بها المعاني الخلقية الفاضلة ,التي تحث على الآداب ومكارم الأخلاق ,مثل شعر الزهد والحكمة والوصايا,وكل ما كان على هذا النمط وتلك الشاكلة.

رابعاً: (المعاني المضمونية)

تطلق المعاني ويراد بها(شرح البيت), و(حل المنظوم) بمعناه, ويمكن أن يطلق عليها اسم(المعاني المضمونية),وهي التي وسمها الدكتور /مصطفى ناصف بقوله:((الفكرة النثرية العامة المتخلفة في شرح القصيدة أو نثرها)), تجد هذه الدلالة في مثل قول ابن قتيبة بعد أن ذكر الأبيات:

ولما قضينا من منىً كُلَّ حاجَة ... ومَسَّحَ بالأركان البيتِ من هُوَ ماسحُ
وشُدَّت عَلَى حدب المهارى رِحالنا ... ولا ينظر الغادِي الذي هُوَ رائِحُ
أَخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وَسالت بأعناق المَطيِّ الأباطِحُ

حيث قال بعدها :((هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيءٍ مخارج ومَطالع ومَقاطع، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى، واستلمنا الأركان، وعالينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح، ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأبطح.)) (1)

فأنت تراه استخدم المعنى في شرح فكرة الأبيات نثراً , وحلّ هذا النظم بحسب ما كان فيه من معان,وهذا الذي نحن بصدده شائع جداً في كتب شروح الشعر , ومن ذلك مثلاً قول التبريزي(2),في بيت امرئ القيس:

وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحرِ أرخى سُدولَه ... عَلَيَّ بِأنواعِ الهُمومِ لِيَبتَلي

فبعد أن فسّر كلماته قال:((ومعنى البيت أنه يخبر أن الليل قد طال عليه)). (3)

---

(1) الشعر والشعراء, ,ج1,ص67-68.

(2) هو يحي بن علي بن محمد بن الحسن,أبو زكريا ابن الخطيب التبريزي,وربما يقال له الخطيب وهو وهْم-وفي وفيات الأعيان قال عنه: المعروف بالخطيب-,كان أحد الأئمة فبي النحو واللغة والأدب حجة صدوقاً ثبتاً,ولد سنة واحد وعشرين وأربعمئة وتوفي سنة اثنين وخمسمئة للهجرة.

ينظر:معجم الأدباء, لياقوت الحموي,تحقيق د/إحسان عباس,ط دار الفكر,ج6,ص:2823.

وينظر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان,لابن خلكان ,تحقيق د/إحسان عباس,ط دار صادر ,1397هـ ,بيروت ,ج6,ص191.

(3) شرح القصائد العشر,للتبريزي,ط مؤسسة المعارف بيروت, 1423هـ, ص 43.

وهنا ترى أن المراد بالمعنى في هذا الكلام الفكرة النثرية التي حلّ بها نظم البيت.
ومثل هذا قول الوزير البطليوسي في قول امرئ القيس :

مكــر مفــر مقبــل مــدبر معــاً   كتــيس ضــباء الحلــب العــدوان

بعـد أن فسـر مفرداتـة قـال: ((ومعنـى البيـت أنـه أراد أن هـذا الفـرس قـد ضـمُر للجري،ونشاطه كنشاط الذكر من الظباء)). (1)

وهنا تلاحظ أن هذا المعنى هو مجرد شرحٍ وتفسيرٍ للبيت, أو هو حل المنظوم مختصراً.

ويستغني بعض الشراح عن كلمة ((المعنى أو معنى البيت)) بكلمة (يقول) ويريد بها معنى البيت الذي هو بصدد شرحه ,والتمثيل لهذا من التكلّف.

وعلى هذا تجد من العلماء من يتوجه بالنقد للشاعر على بيت قاله , وجد هذا العالم في معنى هذا البيت بعض الخطأ ,أو الاضطراب, أو الفساد,فيذكر المعنى ويريد به ما يحمله البيت, وهذا واضح جداً , فقد عقد أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين فصلاً في ((التنبيه على خطأ المعاني وصوابها ...)).(2)

وراح يعدد البيت والبيتين مما وقع فيها خطأ في المعنى ,فكان مما قال:
((ومن خطأ المعاني قول الأعشى:

ومـا رابَهـا مـن ريبـةٍ غيـرَ أنّهَـا   رأتْ لمَّتِـى شـابتْ وشـابتْ لـدَاتِيَا

وأيّ ريبة عند امرأة أعظم من الشيب))؟. (3)
وفي موضع تال قال:((ومن اضطراب المعنى قول امرئ القيس:

أراهـنّ لا يحبـبنَ مـنْ قـلَّ مالُـه   ولا من رأينَ الشَّيبَ فيه وقوَّسَا

وهن يبغضنه من قبْل التقويس ,فما معنى ذكر التقويس؟ فأما بغضهن لمن قوّس فجدير وليس ببديع)).(4)
وفي موضع آخر قال:((ومن فساد المعنى قول النابغة :

تحيـدُ عـن أسـتنٍ سـودٍ أسـافلُهُ   مشــى الإمــاء الغــوادي تحمِــلُ الحُزَمَــــــــــــا

(1) شرح الأشعار الستة الجاهلية، جـ1ص233 .
(2) الصناعتين ,لأبي هلال العسكري , ص65.
(3) السابق ص 77-78.
(4) السابق ص78.

وإنما تحملُ الإماء حزمَ الحطب عند رواحهنّ، فأما غدوهنَّ إلى الصحراء فإنهن مخفّات.)) [1].

خامساً/ (المعاني الخاصة)

تطلق كلمة (المعاني) ويراد بها(المعاني الخاصة) والتي قال عنها د/ناصف: (التصورات الغريبة والأشباه النادرة.)

وأفهم أن المراد بها مثل ما كان من قبيل قول عنترة [2]:

وَترى الذُباب بِها يغنّي وحده ... هزجاً كَفِعلِ الشارِبِ المُتَرَنِّمِ
غرداً يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذِراعِهِ ... قَدحَ المُكِبِّ عَلى الزِنادِ الأَجذَمِ [3]

فقد قال فيه أبو هلال العسكري:((فإنه ما نوزع في هذا المعنى على جودته, وقد رامه بعض المجيدين فافتضح.)) [4]

فإن هذا المعنى الذي جاء به عنترة معنى غريب, ولا تكاد تبصره البصائر,فمثل هذا إغراباً وخصوصية يسمى(معنى)أيضاً,ويلاحظ في هذا المسمّى بالمعنى الخاص أنه يتعلّق بالصورة,أي أن صورة الذباب وهو يحك ذراعه بذراعه تستدعي صورة بعيدة لا يتمكن من إيجادها كل أحد , وهي صورة الرجل الأجذم , وهو منكبٌّ على الزناد يريد قدحه .

واستخدم الإمام عبد القاهر (المعاني) بهذه الدلالة في قوله:((إنا نظرنا في المعاني التي يصفها العقلاء بأنها معان مستنبطة، ولطائف مستخرجة، ويجعلون لها اختصاصاً بقائل دون قائل، كمثل قولهم في معان أبيات من الشعر: إنه معنى لم يسبق إليه فلان، وأنه الذي فطن له واستخرجه، وأنه الذي غاص عليه بفكره، وأنه أبو عذره...)) وقال بعده إنك :((لا تنظر إلى شيء من المعاني الغريبة التي تختص بقائل دون قائل إلا وجدت الأصل فيه والأساس الإثبات والنفي...)) [5]

والذي يعنيني هنا أن المعاني قد تطلق ويراد بها الدلالة على ما كان غريباً نادراً ,كما وصف الإمام عبد القاهر .

---

(1) السابق ص78-79,وقد خُرّج بغير هذا ,ينظر :شرح الوزير البطليوسي ج1,ص:423.
(2) هو عنترة بن عمرو بن شداد ,أمه فارس من فرسان قومه وإنما ادعاه أبوه وانتسب إليه بعد كبره ,وله قصيدة شهيرة من المعلقات.
ينظر:الشعر والشعراء,ج1,ص:243.
(3) ديوان عنترة,تحقيق/ خليل شرف الدين,ط دار ومكتبة الهلال ,1997م.ص:56.
(4) الصناعتين ص200.
(5) الدلائل,ص543-544.

سادساً/ (الوجوه والفروق)أو(علم المعاني)

تطلق المعاني* ويراد بها النظم,- عند الإمام عبد القاهر-الذي هو علم معاني النحو ويريد بها (الخصوصيات والمزايا والوجوه والفروق) في الكلام, قال:((فإذا ثبت الآن أن لا شك ولا مرية في أن ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم، ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها معدنه ومعانه, وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواها، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غارٌّ نفسه بالكاذب من الطمع، ومسلم لها إلى الخدع)). [1]

وهي دلالة افترعها عبد القاهر قال :((واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها.)) [2]

ثم قال بعدها:((هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني

---

(1) الدلائل ص526.

(2) الدلائل ص81.

النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له)) [1],وإن كان لم يسمّها ,أو يحاول أن يسِمها بهذا المصطلح ,ويجعله علماً على ما أراد, ثم سارت هذه

الكلمة حتى وضع لها السكاكي حدّاً[2],وجاء من بعده الخطيب القزويني فوضع لها حدّاً سار فيمن بعده وهو قوله:((علم المعاني: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال.)) [3]

وأخيراً / ما الذي يريده البحث من هذه الاستعمالات وفي أي استخداماتها تدور كلمة (المعاني) ثاني كلمات العنوان؟

أقول إن المراد بالمعاني في هذا العنوان هو المعاني الخاصة المتشابهة ذوات النظم المختلف, سواء كانت مصوّرةً أم لم تكن كذلك.

وذلك لأنّ معنى بيت من الشعر أو قول من النثر,لا يستطيع ناقل أن ينقله كما قاله قائله ,إلاّ بنصه ,فإن نقله بنصه فقد قاله كما قاله صاحبه الأول ,وأخرجه كما أخرجه,أما إذا لم ينقل الكلام بنصه , فهو إنما ينقل عنه الغرض ,ومفهوم مراده ,وفحوى كلامه,وهذا يبين أن المعاني التي تؤثر في نفوس السامعين إنما تكون درجة تأثيرها حسب ما توخى المتكلم في كلامه من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير,وتخصيص وتقييد... إلى آخره,وهذا الأمر هو الذي لا يمكن لناقل الكلام بغير نصه أن يأتي به كما قاله صاحبه الأول.

---

(1) السابق ص82-83.

* تأتي كلمة المعاني موصوفة أحيانا بإحدى كلمتين إما (الأول)وإما(الثواني) وأول ما ظهرت عند الإمام عبد القاهر الجرجاني,وحاول من أتى بعده من العلماء,أن يفسروا المراد بكل واحد منهما عنده ,واختلفوا في ذلك اختلافا شديداً,وقلما يخلو كتاب مهم من كتب البلاغة القديمة والحديثة من ذكر هذه المسألة .

وتنظر في: مدخل إلى كتابي عبد القاهر,د/محمد أبو موسى ص83.

قضية اللفظ والمعنى,د/على محمد العماري,ص357.

استدراكات السعد على الخطيب في المطول,د/أحمد هنداوي هلال,ط الأولى 1422هـ -2001م ,مكتبة وهبة, ص51.

(2) عرفها بقوله:((علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره)) مفتاح العلوم,السكاكي,ط الثانية دار الكتب العلمية,بيروت,1407هـ,ص161.

(3) متن الإيضاح من كتاب البغية,عبد المتعال الصعيدي,ط مكتبة الآداب1417هـ,ج1 ص27.

فإنه ((لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر، أو فصل من النثر فتؤديه بعينه، وعلى خاصيته وصفته بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك، لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا أمر من الأمور. ولا يغرنك قول الناس: قد أتى بالمعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه فأداه على وجهه، فإنه تسامح منهم. والمراد أنه أدى الغرض، فأما أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل هاهنا إلا ما عقلته هناك، وحتى يكون حالهما في نفسك حال الصورتين المشتبهتين في عينك كالسوارين والشنفين ففي غاية الإحالة ,وظن يفضي بصاحبه إلى جهالة عظيمة)).(1)

وللإمام عبد القاهر كلام واضح في مثل ما أنا بصدده،فبعد أن ضرب أمثلة لشعراء قالوا في معنى واحد وقسمهم إلى قسمين (2):

1- قسم أتى بالمعنى غفلاً ساذجاً والآخر أخرجه في صوره تروق وتعجب مثل قول المتنبي:

إِذا اِعتَلَّ سَيفُ الدَولَةِ اِعتَلَّتِ الأَرضُ وَمَن فَوقَها وَالبَأسُ وَالكَرَمُ المَحضُ

مع قول البحتري:

ظَلِلنا نَعودُ المَجدَ مِن وَعكِكَ الّذي وَجَدتَ وَقُلنا اعتَلَّ عُضوٌ مِنَ المَجدِ

2- وقسم ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصور :

مثل قول بكر ابن النطاح :

فَلَو لَم يَكُن في كَفِّهِ غَيرُ روحِهِ لَجادَ بِها فَليَتَّقِ اللَهَ سائِلُه

مع قول المتنبي :

إِنَّكَ مِن مَعشَرٍ إِذا وَهَبوا ما دونَ أَعمارِهِم فَقَد بَخِلوا

ثم قال:

((فانظر الآن نظر من نفى الغفلة عن نفسه، فإنك ترى عياناً أن للمعنى في كل واحد من البيتين من جميع ذلك صورة وصفة غير صورته وصفته في البيت الآخر. وأن العلماء لم يريدوا حيث قالوا: إن المعنى في هذا هو المعنى في ذاك، أن الذي يعقل من هذا لا يخالف الذي يعقل من ذاك. وأن المعنى عائد عليك في البيت الثاني على

---

(1) الدلائل ص261.

(2) الدلائل ص 489-506.

هيئته وصفته التي كان عليها في البيت الأول، وأن لا فرق ولا فصل ولا تباين بوجه من الوجوه، وأن حكم البيتين مثلاً حكم الاسمين قد وضعا في اللغة لشيء واحد كالليث والأسد. ولكن قالوا ذلك على حسب ما يقوله العقلاء في الشيئين يجمعهما جنس واحد، ثم يفترقان بخواص ومزايا وصفات كالخاتم والخاتم، والشنف والشنف، والسوار والسوار، وسائر أصناف الحلي التي يجمعها جنس واحد، ثم يكون بينها الاختلاف الشديد في الصنعة والعمل.)) (1)

فأثبت الإمام اسم المعنى في بداية الحديث وبين أنه يوجد عند التدقيق اختلاف كبير بين الاثنين,وإن بدا أن ليس هناك من اختلاف.

حيث إنه من ((المحال عنده أن يكون معنى عبارتين واحدًا مهما بدا أنهما متشابهتان .)) (2).

ثم راح يضع اسماً لما يمكن به وضع اليد على هذا الاختلاف بين المعنيين في البيتين فقال:((صورة المعنى) (3)ثم علل اختياره اسم (الصورة) بقوله: ((واعلم أن قولنا: الصورة، إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا, فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان تبيُن إنسان من إنسان، وفرس من فرس، بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك, وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبين خاتم من خاتم، وسوار من سوار بذلك. ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك.)) (4)

ثم قال بعدها بأسطر - تاركاً اسم (صورة المعنى) ومستخدماً (المعنى)- :((واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر وكان التالي من الشاعرين يجيئك به معاداً على وجهه لم يحدث فيه شيئاً، ولم يغيّر له صفة لكان قول العلماء في شاعر: إنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد , وفي آخر: إنه أساء وقصر لغواً من القول من حيث كان محالاً أن يحسن أو يسيء في شيء لا يصنع به شيئاً...)). (5)

وهذا من الأدلة من قول الشيخ على أنه وإن كان هناك اتفاق في الغرض العام إلا أن لكل كلام معنى غير معنى الآخر ,وليس الحديث هنا عن أغراض الكلام وإنما معانيه الخاصة,وما يعقله السامعون منها.

---

(1) السابق ص 507.
(2) قضية اللفظ والمعنى,د/ العماري ص372.
(3) الدلائل ص: 507 .
(4) السابق ص:508 .
(5) السابق ص: 509 .

وما نحن فيه وما تعمل فيه هذه الدراسة- أيضاً- قريب جداً من قول الشيخ:((فلو أن قائلاً قال: رأيت الأسد، وقال آخر: لقيت الليث، لم يجز أن يقال في الثاني: أنه صور المعنى في غير صورته الأولى، ولا أن يقال: أبرزه في معرض سوى معرضه، ولا شيئاً من هذا الجنس.

وجملة الأمر أن صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن يشار بمعانيها إلى معان أخر.

واعلم أن هذا كذلك ما دام النظم واحداً، فأما إذا تغير النظم فلا بد حينئذ من أن يتغير المعنى)) (1)

وهو في نهاية الكلام يثبت أن المعنى يتغير بتغير النظم وهذا ما أدرسه,على أن هذا الذي بين يدي صنعة شاعر واحد لم يأخذ شيئاً من غيره,أضف إلى ذلك أنك لا تجد تطابقا بين كلمات البيتين المتشابهين في اللفظ فضلاً عن أن يكون هناك تطابق في النظم,الذي عليه المدار.

وقال د/أبو موسى مشيراً إلى المعاني وانبعاثها وعدم إمكان تطابقها :((انبثاق المعاني وانبعاثها في النفوس إنما تكون على هيئة خاصة وصور خاصة تتكاثر وتستفيض وتزخر كل نفس بما تزخر به منه وهي مع هذه الكثرة وهذا الفيض تتباعد أو تتقارب وتتشابه أو تتباين,ولكنها لا تتطابق أبداً...)).(2)

على أنه ينبغي أن يُعلم أنّ((المعاني التي نتكلم عنها هنا بهيآتها ونمنماتها وصورها غير التي يذكرها أهل العلم في باب إغارة الشعراء بعضهم على بعض,وأخذ بعضهم من بعض, لأنهم أرادوا أصل المعنى المخترع, أما هيأته و صورته فلا توجد إلا في اللفظ الذي نطق به الشاعر.)) (3)

وخلاصة الأمر أن هذه الدراسة تسير على الفكرة السابقة المؤكدة على أن المعاني تتباعد وتتشابه لكنها لا تتطابق ما دام هناك اختلاف في النظم واللفظ .

ومن تمام الحديث عن هذا,ومما هو قريب من الذي فيه الكلام, أن يُبيّن القول فيما إذا نظم أحدهم بيتاً على نسج ونظم بيت سابق ,ولم يغير إلا في الألفاظ أيكون قائل شعر؟

---

(1) السابق ص: 265.
(2) دراسة في البلاغة والشعر,د/محمد أبو موسى,ط وهبة,الأولى 1411هـ, ص72.
(3) السابق ص72.

تكلم في هذه المسألة الشيخ عبد القاهر وجلاها وجعل بيت الحطيئة :

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتهـــا   واقعد فإنـك أنـت الطـاعم الكاسـي

مثـالاً لمـا يمكن أن يصـنع شـاعر مـا - ليس صـاحب البيت - ببيت من الشعر,فينسخ بنيته,ونظمه,وما فيه من تـأليف, ولا يكلف نفسه سوى أن يغير ألفاظ البيت لتكون مثلاً :

ذر المفـــاخر لا تـــذهب لمطلبهـــا   واجلس فإنـك انـت الآكـل اللابـس

قال في هذه المسألة:((وما كان هذا سبيله كان بمعزل من أن يكون بـه اعتداد، وأن يدخل في قبيل ما يفاضل فيه بين عبارتين، بل لا يصح أن يجعل ذلك عبارة ثانيـة، ولا أن يجعل الذي يتعاطاه بمحل من يوصف بأنه أخذ معنى. ذلك لأنه لا يكون بـذلك صانعاً شيئاً يستحق أن يدعى من أجله واضع كلام ومستأنف عبارة، وقائل شعر. ذاك لأن بيت الحطيئة لم يكن كلاماً وشعراً من أجل معاني الألفاظ المفردة التي تراها فيه مجردة معراة من معاني النظم والتأليف)) (1)
ولكن ما القول الذي يمكن أن يقال عندما يصنع ذلك الشاعر نفسه قائل البيت الأول ؟ويصنعه في قصيدة أخرى له؟
بالتأكيد إن مزيداً من البحث عن سرّ هذا التشابه, وهذا التغيير الذي صنعه ببيتـه فـي المرة الثانيـة سوف يـدل علـى شـيء مـا, وسيكون مرجع وسبب الاختلاف السياق بعمومه,سواء سياق القصيدة , أو سياق الموقف,أو غيرهما , وكل أمرٍ أحاط بـه عنـد قولها سيكون سبباً من الأسباب التي دفعته للتغيير,ولعل البحث أن يخرج شيئاً من هذا. (2)

(في شعر امرئ القيس).

تحدِّدُ هذه العبارة في العنوان الحقل الأدبي الذي تعمل فيه الدراسة ,وهو الشعر الذي قاله امرؤ القيس ,وذلك من خلال الرواية الصحيحة لشعره ,من الديوان الذي أخرجه

---

(1) الدلائل ,ص:487.

(2) يجزم بعض العلماء بوجود اختلافات بين كل كلمتين وضعتهما العرب لمعنى واحد,فربّما عُرف وأُخبر به,وربما جهل فلم يضرّ جهله,نقل ابن الأنباري أنّ ((كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ,في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه, ربما عرفناه فأخبرنا به,وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله)),وكان الجاحظ قد سبق إلى مثل هذا القول أيضاً ولعل هذا في الدلالة الوضعية للألفاظ,ويمكن أن تؤخذ هذه الدلالات من أهل اللغة ومن العلماء,لكن هناك دلالات أخرى ترشحها السياقات ,وهي ما يبحث فيه الباحثون.
الأضداد ,لمحمد بن القاسم الأنباري,تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم,ط 1418هـ - 1998م,المكتبة العصرية بيروت,ص 7,وينظر:البيان والتبيين,ج1,ص 250.

الأستاذ /محمد أبو الفضل إبراهيم في أفضل تحقيق للديوان[1],جمع فيه أصحّ الروايات عن المفضل الضبي[2]والأصمعي [3],وحقّق الروايات الأخرى والزيادات ,واكتفت الرسالة بدراسة مرويات الشيخين ولم تلتفت إلا ما عداها,حفاظاً على صحة النتائج ومحاولة لعدم الاضطراب في الأحكام.

وامرؤ القيس هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن صخر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن يعرب (بن ثور) بن مرتع بن معاوية بن كنده . [4]

جعله محمد بن سلام الجمحي في الطبقة الأولى ومعه النابغة وزهير والأعشى .

قال عنه ابن سلام الجمحي ممتدحاً :((سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب، واتبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والتبكاء في الديار، ورقة النسيب وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء والبيض,وشبه الخيل بالعقبان والعصي,وقيد الأوابد, وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى._كان أحسن أهل طبقته تشبيهاً)). [5]

وشهد له كُثُرٌ بالتقدم على غيره،و تراجع هذه الشهادات في أماكنها من كتب وأسفار المتقدمين. [6]

دراسة في الفروق والسياق

حيث سيكون العمل على تلمّس الفروق التي تقع بين المتشابهات من خلال النظم وربط كل بيت بسياقه,وما يكون بين المتشابهين من اتفاق أو افتراق,ومن خلال محاولة استجلاء المزية, والتي هي عند عبد القاهر أن توقع الفروق والوجوه في مكانها الذي ليس غيرها أحق به منها.

---

(1) ديوان امرئ القيس,تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم,ط الرابعة ,دار المعارف.

(2) هو المفضل بن محمد بن يعلى أبو عبد الرحمن الضبي,الراوية الأديب النحوي اللغوي,كان من أكابر علماء الكوفة عالماً بالأخبار والشعر والعربية...وكان ثقةً ثبتاً,ولم يؤرّخ لمولده ولا لوفاته,إلا أن شارحي المفضّليات/أحمد شاكر وعبد السلام هارون رجّحا في تحقيقهما لمختاراته أن تكون ولادته في العشر الأول من القرن الثاني,وأن تكون وفاته سنة 178هـ .
ينظر :معجم الأدباء ,لياقوت الحموي,ج6,ص:2710.
و المفضليات,تحقيق/أحمد محمد شاكر,عبد السلام هارون ,ط دار المعارف ,العاشرة ,1994م,ص 25-26.

(3) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبدالملك ,المعروف بالأصمعي الباهلي,كان صاحب لغة ونحو ,وإماماً في الأخبار والنوادر,قدم بغداد في أيايم هارون الرشيد ,ولد سنة اثنين وعشرين ومئة وتوفي سنة ست عشرة ومئتين وقيل غيرهما,وكانت وفاته بالبصرة وقيل بمرو.
ينظر:وفيات الأعيان ,لابن خلكان,ج3,ص: 170,وما بعدها.

(4) طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحي،تحقيق/محمود محمد شاكر،ط دار المدني/جـ1 ص51 .

(5) السابق ص55.

(6) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ، جـ1 ص107 .

قال:((وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه, فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، و زيد ينطلق وينطلق زيد))حتى قال: ((فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له...))((ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيضع كلا من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة،وعلى ما ينبغي له..)) [1]

فتدرس كل تلك الفروق والاختلافات التي وقعت بين الشبيهين, ويوضح ما بينهما من ائتلاف أو اختلاف,ويحاول أن يعرف سرّمجيئها على ذلك الوجه الذي جاءت عليه.

أما السياق : في اللغة فقد قال ابن فارس :((السين والواو والقاف أصل واحد وهو حدو الشيء,يقال ساقه يسوقه سوقاً,والسّيّقة :ما استيق من الدواب.ويقال :سقت امرأتي صداقها ,وأسقته, والسوق مشتقة من هذا ,لما يساق إليها من كل شيء,...والساق للإنسان وغيره,...إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها)) [2]

وقال ابن منظور:السوق معروف.ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً ,وهو سائق وسواق شدد للمبالغة...,وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة...

والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً.

والسياق المهر وإن كان دراهم أو دنانير ؛لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق ثم استعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما. [3]

وقال الزمخشري في أساس البلاغة :((ومن المجاز هو يسوق الحديث أحسن سياق,و(إليك يساق الحديث) وهذا الكلام مساقه إلى كذا, وجئتك بالحديث على سوقه:على سرده.)) [4]

أما تعريف السياق وحدّه بحدّ يصطلح عليه وينقله الخالف عن السالف فهو الأمر الذي لم أجده فيما بين يدي من مصادر ومراجع أهل العلم في التعريفات والمصطلحات والحدود. [5]

---

(1) ينظر الدلائل ص 81-82 .

(2) معجم مقاييس اللغة ,ج3,ص:117.

(3) ينظر: لسان العرب مادة (سوق).

(4) ينظر: أساس البلاغة مادة (سوق).

(5) ينظر:كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي,التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ,التعريفات للجرجاني,معجم البلاغة العربية لبدوي طبانة,معجم المصطلحات البلاغية وتطورها لأحمد مطلوب.

ولكن هذا الأمر لم يقف عائقاً أمام الدارسين للسياق ,أو ما يتعلق به , فقد تناولوه بالبحث والدرس والنظر حتى تبيّنت دلالات هذا الاسم واستخداماته في التراث العربي.

فقد أثبت أحد الباحثين أن السياق في التراث العربي يأتي مراداً به إحدى دلالات ثلاث وهي:

أولاً/ السياق هو (الغرض), بمعنى مقصود المتكلم من إيراد الكلام.

ثانياً/ السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص, أو تنزل أو قيل بشأنها ,وعُبّر عنه (بالحال أو المقام).

ثالثاً/ السياق ما يسبق أو يلحق الكلام المراد ويبين دلالته. (1)

فالسياق على قدر من الأهمية عال, لما يترتب عليه من خطأ أو صواب في الفهم, فعندما تقطع الكلمة – مثلاً - عن سياقها فإنها قد تؤدي عكس مراد قائلها فتفهم خلاف ما أراد لها,ولهذا فقد حرص علماء الشريعة وغيرهم على تتبع السياق وربط الكلام بهذه الأطناب التي تعين على فهمه فهماً صحيحاً ,ومن بين هؤلاء العلماء علماء البلاغة الذين ما فتئوا يؤكدون ((أن التركيب تختبئ في خصائصه وأحواله

---

(1) دلالة السياق ,ردة الله الطلحي,ط الأولى ,سلسلة رسائل جامعة أم القرى ,ص:50.

وفصّل باحث آخر بين أنواع السياق عند علمائنا بقريب من هذا القول,فقد قال إنه كان على ثلاثة أنواع:

الأول/ السياق من حيث حدود الدلالة

ويشمل:

1- سياق جزئي:ويراد به القرائن اللفظية المجاورة للكلمة موضع الإشكال والتي تكشف عن المراد بها.
2- سياق كلي : ويراد به الدلالة على الترابط الكلي بين اجزاء النص بأكمله في سورة أو قصيدة مثلاً.

الثاني/ السياق من حيث العلاقات التركيبية بين اجزاء النص.

ويشمل:

1- سياق سابق(سباق): وهو ما جاء سابقا على النص المدروس.
2- سياق لاحق (لحاق):وهو ما جاء لاحقا وتابعا للنص المدروس.

الثالث / السياق من حيث العلاقة بين النص ومحيطه الخارجي.

ويشمل:

1- سياق المقال:ويراد بها علاقة النص المدروس بالإطار القولي الذي وضع فيه.
2- سياق الحال: ويراد به علاقة النص بمحيطه الخارجي.

ينظر: الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين – دراسة بلاغية في التراث العربي,سامي بن عبد العزيز العجلان,رسالة ماجستير مطبوعة,ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ,الأولى 1430هـ,ص27-69.

إشارات ودلالات مختلفة وأن السياق هو الذي يستخرج من هذه الخصائص مقتضياته وكأن التركيب النفيس أشبه بقطعة من معدن نفيس تعطي ألوانا متكاثرة كلما أدرتها إدراة جديدة ,والسياق هو القوة التي تحرك هذه القطعة لتشيع من ألوانه ما يراد إشعاعه)) [1],وهذا يفسر كيف أن قطعة فنية ما تتوارد عليها رؤى النقاد وتتكاثر ثم تجد الكل صالحاً ,ولكن بعضها أقرب من بعضها الآخر,وهكذا.

وعودة بالنظر إلى حدود السياق وهل هي تلك الحدود التي سبق ذكرها فقط ؟

وهل تلك المنطقة الضيقة التي يجول فيها كافية ؟

أيمكن للسياقات أن تمتد إلى ما هو أرحب بكثير من تلك الحدود؟

والحق كما قال الدكتور/ عيد بلبع: إن السياق يمتدّ ((ليشمل النصوص التي تمثل المنظومة التي يندرج فيها النص,وذلك بأن يكون بين النص وغيره من النصوص في هذه المنظومة بعض أوجه التشابه الأسلوبي مما يفيد في تحليل كلا النصين,أو اشتراك بعض النصوص في بيان موضوع واحد,ومن ثم تتضافر النصوص لإتمام كل ما يتعلق بهذا الموضوع,أو اشتمال بعض النصوص على المعاني نفسها التي جاءت في النص موضوع التحليل ,أو النصوص التي تناولت الموضوع نفسه ولكن جاء بها بعض الاختلاف عن النص موضوع التحليل)). [2]

وهذا يعني أن السياق عبارة عن دوائر متعددة تحيط ببعضها البعض,كل دائرة تكبر أختها, مشكِّلةً إطاراً يزداد اتساعه كلما اتجهت إلى الأعلى ,في كل دائرة أو حلقة من تلك الحلقات,الأمر الذي يعني أن إلغاء أو تجاهل إحدى هذه الدوائر سوف يجعل الفهم ناقصاً بمقدار ما نقص من تلك الدوائر التي تمثل السياقات المختلفة, وبالتأكيد فإن هذا الحكم مقرون بالنظر إلى أهمية وجود ذلك السياق من عدمه, ومدى مساسه بالموضوع أو نفاره منه,كل ذلك يقدر بقدره ويعطى حجمه.

أما هذه الدراسة وعلاقتها بالسياق , فقد حاولت أن تفيد قدر المستطاع من دراسة السياق وفهمه ,محاولةً ربط كل بيت مدروس بسياقه,ثم محاولة بيان الأثر الذي ظهر في كل بيت وبه اختلف عن شبيهه من خلال سياقه,وهذه الإفادة من السياق بدأت بأكبر حلقة استطاعت الوصول إليها وهي دائرة الكلمات اللغوية ودلالاتها المتسعة, ثم الشعر العربي ومعانيه في أقوال الشعراء الآخرين في البيت موضوع الدرس, مروراً بسياق ديوان الشاعر وكل ما يتصل به وبشعره,ومروراً بسياق الغرض ,ثم سياق القصيدة ثم سياق الفصل ,ثم سياق البيت ,وسباقه ولحاقه,ثم سياق المتشابه نفسه بأن

---

(1) دلالات التراكيب دراسة بلاغية,د/محمد أبو موسى,ط مكتبة وهبة,الثانية,1408هـ,ص:238.

(2) السياق وتوجيه دلالة النص د/عيد بلبع,ط الأولى 1429هـ,بلنسية للنشر والتوزيع,ص171-172.

يكون كل بيت من الشبيهين سياقاً لصاحبه ,وهو يشبه ما قاله الدكتور عيد عن عمل الأصوليين و الذي يتمثل((في عرض النصوص على بعضها البعض, واستنباط دلالة النص من النصوص مجتمعة في الباب الواحد,وليس من نص واحد)) [1]ولكن هذا العرض هنا في الشعر , ولعله أن يحقق بعض ما أردت الوصول إليه ,والله الموفق .

---

(1) السابق نفسه.

الفصل الثاني

"التأصيل"

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول / المتشابه في التراث الإبداعي والعلمي عند العرب.**
- المبحث الثاني / المتشابه والتكرار والتصرف والاقتدار.
- المبحث الثالث / المتشابه والسرقات (السرقة الشخصية).
- المبحث الرابع / المتشابه والتناص.

• المبحث الأول /

المتشابه في التراث الإبداعي والعلمي عند العرب.

- **المبحث الأول / المتشابه في التراث الإبداعي والعلمي عند العرب.**

أولاً / المتشابه في التراث الإبداعي عند العرب

إن ظاهرة المتشابه في وجودها الفني والإبداعي عند العرب ليست حكراً على امرئ القيس وحده, بل إن هناك عدداً من الشعراء تجد عندهم هذا التشابه ,وأكثر ما يوجد هو متشابه المعاني أما المتشابه اللفظي فسيكون حتماً أقل النوعين ؛لأنه تطابق والتطابق يندر وقوعه في خضمّ الاختلافات الكثيرة في النفس الإنسانية والكون وفي الحياة بعمومها ,على أنه يكثر وجود المتشابه عند الشعراء الذين يعالجون موضوعات محددة ,ولا يكادون يتجاوزونها إلى غيرها,كمن أكثر من ذكر الصيد ووصف الفرس,وكمن أكثر من الغزل كالشعراء الغزلين ,وكشعراء الهجاء في عصر بني أمية,وعلى كل فإن أي موضوع شغل تفكير شاعر ما وتكلم فيه مرات كثيرة, فيغلب على الظن أن تجد من كلامه ما يشبه بعضه بعضاً, ولأن الشعر هو الأساس والمادة التي يدور حولها نقد الشعر, وما يكون من تنظير وتأصيل فيه فهو إنما يبنى عليه ,ويؤسس على ما فيه ,- لكل ذلك - فهذه أمثلة للمتشابه عند بعض الشعراء تؤكد حقيقة هذه الظاهرة وصدق وجودها,وتنفي فرضية احتكارها في شعر امرئ القيس.

فمن الشعراء الجاهليين ممن هم في طبقة امرئ القيس النابغة الذبياني [1]وتجد قوله في اعتذاراته :

فَبِتُّ كَأنّي ساوَرَتني ضَئيلَةٌ ... مِنَ الرُقشِ في أنيابِها السُمُّ ناقِعُ[2]

حيث يشبه قوله:

فَبِتُّ كَأَنَّ العائِداتِ فَرَشنَني ... هَراساً بِهِ يُعلى فِراشي وَيُقشَبُ[3]

ومنه قوله:

حَلَفتُ فَلَم أَترُك لِنَفسِكَ ريبَةً ... وَهَل يَأثَمَن ذو إِمَّةٍ وَهوَ طائِعُ[1]

---

(1) النابغة الذبياني هو زياد بن معاوية ,ويكنى أبا أمامة شاعر جاهلي مشهور. ينظر:الشعر والشعراء ,ج1,ص:156,الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني,ط دار الفكر,الثانية,بيروت ج11,ص:5.

(2) ساورتني:أي واثبتني ,والضئيلة: حية دقيقة قد أتت عليها سنون كثيرة ,فقل لحمها واشتد سمها, الرّقش: التي فيها نقط سواد وبياض,وناقع :أي ثابت. ينظر: ديوان النابغة الذبياني,تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم,ط الثالثة ,دار المعارف,ص:33.

(3) (فبت كأن العائدات):أي كأني لما تصل بي عنك مضطجع على فراش قد عولي بالشوك,فأنا أتململ عليه وأتقلب,والهراس : الشوك,ويقشب :أي يجدد و يتعاهد بالشوك أو يخالط بالشوك, والعائدات : الزائرات في المرض. السابق,ص:72.

وهو يشبه قوله:

حَلَفتُ فَلَم أترُك لِنَفسِكَ رَيبَـةً   وَلَيسَ وَراءَ اللهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ[2]

وقوله:

أتـاني أبَيتَ اللَعنَ أنّكَ لُمتَنـي   وَتِلــكَ الّتــي تَســتَكُّ مِنهــا المَســامعُ[3]

وهو يشبه قوله:

أتـاني أبَيتَ اللَعنَ أنّكَ لُمتَنـي   وَتِلكَ الّتي أهتَمُّ مِنها وَأنصَبُ[4]

ومن الجاهليين أيضاً عدي بن زيد العبادي[5] حيث له شعر فيه تشابه قال:

ألا مَـن مُبلِـغُ النُعمـانِ عَنّـي   عَلانِيَــةً فَقَــد ذَهَــبَ السِــرارُ

وهو يشبه قوله:

ألا مَـن مُبلِـغُ النُعمـانِ عَنّـي   فَبَينــا المَــرءُ أغـرَبَ إذ أراحــا

ويشبه قوله:

ألا مَـن مُبلِـغُ النُعمـان عَنّـي   وَقَـد تُهـوى النَصـيحَةَ بِالمَغيـبِ

وقال:

أبلِــغِ النُعمـــانَ عَنّـــي مَألَكـــا   إنّنـي قَـد طـالَ حَبسـي وَانتِظـاري

ويشبهه قوله:

أبلِــغِ النُعمـــانَ عَنّـــي مَألَكـــاً   قـولَ مَـن قَـد خـافَ ظَنّـاً فَاعتَـذَر

وقال:

وَتَقــولُ العُــداةُ أودى عَــدِيٌّ   وَبَنُــوهُ قَــد أيقَنُــوا بِعَــلاقِ

---

(1) الريبة: الشك ,والإمة : الدين والطريقة المستقيمة,يقول:حلفت فلم أترك لنفسك شكا في صدقي,وحلفت وأنا لك طائع ذو دين واستقامة,فتحرجت من أن أكذب في يميني فأكون آثماً.
ينظر: ديوان النابغة ,ص35.

(2) وراء الله:أي ليس بعد اليمين بالله - عز وجل- للمرء مذهب ,فينبغي لك أن تصدقه ,وتقبل اعتذاري.
ينظر السابق,ص72.

(3) (وتلك التي تستك منها المسامع) أي تلك الملامة التي أتتني عنك أصمّت مسامعي ؛كراهة لسماعها,وتستك :بمعنى تشتد وتضيق,والمسمع الأذن.
ينظر السابق,ص:34.

(4) أبيت اللعن:أي أبيت أن تأتي أمراً تلعن عليه,وقوله:(وتلك التي أهتم منها وأنصب) أي تلك العلامة جعلتني ذا هم وذا نصب أي عناء ومشقة.
ينظر :السابق ص:72.

(5) عدي بن زيد بن حماد بن أيوب,من زيد مناة بن تميم وكان يسكن بالحيرة .
ينظر:الشعر والشعراء لابن قتيبة ج1,ص:219,ومعجم الشعراء للمرزباني ,تحقيق/عبد الستار أحمد فراج,ط دار إحياء الكتب العربية سنة 1379هـ-1960م,ص:80.

ويشبهه قوله:

وَيَقــولُ العُـــداةَ أودى عَــدِيٌّ وَعَــدِيٌّ بِسُـــخطِ رَبٍّ أَســـيرُ (1)

ومن الشعراء الغزلين عمر بن أبي ربيعة (2)والذي كأن ديوانه أخلص لهذا الغرض ,ولذا فإنك تجد في ديوانه كمّاً من المتشابهات, ومنها قوله:

هَيفـاءُ لَفّـاءُ مَصقولٌ عَوارِضُـها تَكــادُ مِــن ثِقَـلِ الأَردافِ تَنبَتِـرُ (3)

وهو يشبه قوله:

خَودٌ مُهَفهَفَةُ الأعلى إذا انصَرَفَت تَكــادُ مِــن ثِقَـلِ الأَردافِ تَنتَبِــرُ (4)

ويشبهان قوله أيضا:

تَكادُ مِن ثِقَلِ الأَردافِ إِن نَهَضَت إِلـى الصَـلاةِ بُعَيـدَ البُسـرِ تَنبَتِـرُ (5)

وقال:

تَنكلُّ عَن واضِحِ الأنيابِ مُتَّسِقٍ عـذبُ المقبّـلِ مصـقولٍ لـه أشُـرُ
كَالمِسكِ شَيبَ بِذَوبِ النَحلِ يَخلِطُهُ ثَلـجٌ بِصَـهباءَ مِمّـا عَتَّقَـت جَـدَرُ (6)

ويشبههما قوله:

تَفتَرُّ عَن ذي غُروبٍ طَعمُهُ عَسَلٌ مُفَلَّـجِ النَبـتِ رَفّـافٍ لَـهُ أَشُـرُ
كَـأَنَّ فاهـا إِذا مـا جِئـتَ طارِقَهـا خَمرٌ بِبَيسـانَ أَو مـا عَتَّقَت جَدَرُ (7)

---

(1) ينظر:زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد,عبد المتعال الصعيدي,ط الأولى ,المحمودية ,1353هـ,ص:117-118.

(2) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي من بني مخزوم ,ويكنى أبا الخطاب,ولد ليلة مقتل عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- وقيل أنه مات وقد قارب السبعين أو جاوزها.
ينظر:الشعر والشعراء ,لابن قتيبة ,ج2,ص:539.
والأغاني,ج1,ص:70,وما بعدها.

(3) الهيفاء :الضامرة البطن,واللّفّاء : الملتفة الفخذين,وعوارضها :جانبا وجهها.
ينظر:شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ,عبد أ.علي مهنا,ط دارالكتب العلمية ,الثانية 1412هـ,بيروت,ص 133.

(4) الخود : الحسناء الناعمة.ينظر:السابق ص142.

(5) البسر :الماء .السابق:ص139.

(6) تنكل: تضحك ,والأشر:شدّة بياض الأسنان وتحزيزها, شيب: أي خلط ومزج ,وذوب النحل :كناية عن العسل,والصهباء :الخمرة, وجدر :قرية بين حمص وسلمية تنسب إليها الخمر.
ينظر:السابق:ص133.

(7) تفترّ: تبتسم ,الطارق: الزائر ليلا, بيسان :مدينة في فلسطين وإليها ينسب الخمر.
السابق: ص142.

ويشبه الأول منهما قوله:

تَفتَرُّ عَن ذي غُروبٍ طَعمُهُ ضَرَبٌ تَخالُـهُ بَـرَداً مِــن مُزنَــةٍ مــارا [1]

وقوله:

تَفتَــرُّ عَــن واضِـحٍ مُقَبَّلُــهُ مُفَلَّــجٍ واضِــحٍ لَــهُ أَشُــرُ [2]

ومن المتشابه قوله:

بِــتُّ فــي نِعمَـةٍ وَباتَـت وِسـادي ثِنــيُ كَــفٍّ حَديثَــةٍ بِخِضــابِ [3]

وهو يشبه قوله:

فَباتَ وِسادي ثِنيُ كَفٍّ مُخَضَّبٍ مُعاوِدَ عَذبٍ لَم يُكَدَّر بِمَشرَبِ [4]

وهما يشبهان قوله:

بِــتُّ فــي نِعمَــةٍ وَبــاتَ وِسـادي مِعصَــما بَــينَ دُملُــجٍ وَسِــوارِ [5]

ومنه قوله:

ثُــمَّ قُمنــا لَمّــا تَجَلّــى لَنـا الصُبـ حُ نُعَفّــي أَثارَنــا بِــالتُرابِ [6]

وهو يشبه قوله:

يَسحَبنَ خَلفي ذُيولَ الخَزِّ آوِنَـةً وَناعِمَ العَصبِ كَيلا يُعرَفَ الأَثَرُ [7]

ومن المتشابه قوله:

قِف بِالدِيارِ عَفا مِن أَهلِها الأَثَرُ عَفّى مَعالِمَها الأَرواحُ وَالمَطَرُ [8]

ويشبهه قوله:

وَقَد عَرَفتُ لَها أَطلالَ مَنزِلَةٍ بِالخَيفِ غَيَّرَها الأَرواحُ وَالمَطَرُ

---

(1) الغروب هنا:كناية عن ريقها,والضرب: العسل ,والبرد :حب الغمام الأبيض الصافي,والمزنة :السحابة,ومار:جرى.
ينظر:السابق ص140.

(2) المفلّج المتباعد ما بين الأسنان ,والأشر رقة الأسنان وتحزيزها.
السابق: 161.

(3) ثني كف: أي انثناؤها إذا انطوت.
السابق:ص35.

(4) المقصود :أنه نام على كفها وارتشف ريقها.
السابق ص61.

(5) السابق ص:154.

(6) عفا الأثر او المنزل عفوا وعفاء وعفوّا :امحى ودرس بلي.
السابق ص35.

(7) العصب :ضرب من برود اليمن ,سمي عصبا ؛لأن غزله يعصب,أي يدرج ثم يصبغ ثم يحاك.
السابق:ص136.

(8) عفا الأثر:امحى ودرس,والأرواح :جمع ريح.
السابق ص:131.

(1)

ومنه قوله:

لَـو دَبَّ ذَرٌّ رُوَيـدا فَـوقَ قَرقَرِهـا   لَأَثَّرَ الـذَرُّ فَوقَ الثَوبِ فـي البَشَرِ (2)

وهو يشبه قوله:

لَـو دَبَّ ذَرٌّ فَـوقَ ضـاحي جِلـدِها   لَأَبــانَ مِــن آثــارِهِنَّ حُــدورُ (3)

وقوله:

مُنَعَّمَــةٌ لَــو دَبَّ ذَرٌّ بِجِســمِها   لَكـادَ دَبيبُ الـذَرِّ فـي الجِسمِ يَكلِمُ (4)

ومن المتشابه أيضا قوله:

فَلَمّــا تَقَضّــى اللَيــلُ إِلّا أَقَلَّــهُ   وَأَعنَــقَ تــالي نَجمِــهِ فَتَصَــوَّبا (5)

وهو يشبه قوله:

فَلَمّــا تَقَضّــى اللَيــلُ إِلّا أَقَلَّــهُ   وَكــادَت تَــوالي نَجمِــهِ تَتَغَــوَّرُ (6)

ويشبهان قوله:

فَلَمّــا تَقَضّــى اللَيــلُ إِلّا أَقَلَّــهُ   هَبَبنــا وَنــادى بِالرَحيـلِ سِـنانُ (7)

ومنه قوله:

لِشَــــقاءٍ أَخــــتِ عَلِقَنــــا   وَلِحــــينٍ ســــاقَهُ القَــــدَرُ (8)

وهو يشبه قوله:

لِشَــــقائي قــــادَني بَصَــــري   وَلِحَــــينٍ وافَــــقَ القَــــدَرا (9)

---

(1) الخيف في اللغة:هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء,ومنه سمي الخيف من منى.السابق:ص139.

(2) الذر: النمل الصغير,والقرقر :ثياب المرأة ,والبشر :جلدها,وتأثير الذر على جلدها كناية عن مدى تنعمها ورفاهيتها.
السابق ص:137.

(3) دبيبه :سيره, ضاحي جلدها :ما برز منه وظهر ,وأبان :ظهر,وآثارهن :أي آثار قوائم الذر,والحدور:الورم,وهذا كناية عن ترفها وتنعمها.
السابق ص: 144.

(4) يكلم :يجرح .السابق ص:336.

(5) أعنق :أسرع ,وتصوّب:انحدر للمغيب.السابق ص49.

(6) توالي النجم :بقيته,وتتغوّر:أي تغيب.السابق:ص122.

(7) تقضى الليل:مرّ ومضى ,انقضى .هببنا:نهضنا مسرعين .سنان : اسم رجل.السابق ص379.

(8) علقنا :تعلق بنا وأحبنا,والحين :التهلكة .السابق ص:179.

(9) السابق ص: 130.

وممن وجد المتشابه في شعره جرير [1]الشاعر الأموي ,فكان مما قال من المتشابه في هجاء الفرزدق:

تَرَفَّقتَ بِـالكيرَينَ قَـينَ مُجاشِـعٍ   وَأَنـتَ بِهَـزِّ المَشـرَفِيَّةِ أَعنَـفُ [2]

وهو يشبه قوله:

عَنيفٌ بِهَزِّ السَيفِ قَينُ مُجاشِعٍ   رَفيقٌ بِأَخراتِ الفُؤوسِ الكَرازِمِ [3]

وكان مما قال من المتشابه اللفظي :

حَـوضُ الحِمـارِ أَبـو الفَـرَزدَقِ فَـاعرِفوا   مِنـهُ قَفـاً وَمُقَلَّـداً وَعِـذارا [4]

وهو يشبه قوله:

حَـوضُ الحِمـارِ أَبـو الفَـرَزدَقِ فَـاعلَموا   عَقَدَ الأَخادِعِ وَاِنشِناجَ المِرفَقِ [5]

وقال:

لَقَـد وَلَـدَت أُمُّ الفَـرَزدَقِ فـاجِراً   وَجاءَت بِوَزوازٍ قَصيرِ القَوائِمِ [6]

وهو يشبه قوله من قصيدة أخرى :

لَقَد وَلَدَت أُمُّ الفَرَزدَقِ فاسِقاً   وَجـاءَت بِـوَزوازٍ قَصـيرِ القَـوائِمِ [7]

وقال:

بَنـي مالِـكٍ إِنَّ الفَـرَزدَقَ لَـم يَـزَل   فَلُـوَّ المَخـازي مِـن لَـدُن أَن تَيَفَّعـا [8]

---

(1) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى,يكنى بأبي حزرة,وعمّر نيفا وثمانين سنة ,ومات باليمامة.
ينظر:الشعر والشعراء,ابن قتيبة ,ج1,ص:456. والأغاني,ج8,ص:5.
(2) شرح ديوان جرير,شرح محمد إسماعيل الصاوي,مطبعة الصاوي, ص:376.
(3) الأخرات جمع خرت وهو ثقب الفأس,والكرازم الفأس ذات الرأسين.
السابق: ص563.
(4) أراد لحيته ,وقد لقبه بحوض الحمار ؛لأنه كان داخل الصدر.
السابق ص:132.
(5) السابق ص:405.
(6) الوزواز : الخفيف,السابق ص:559.
(7) السابق ص:558.
(8) تيفع :قارب البلوغ,والفلوّ: المهر الرضيع.
السابق:ص334.

وهو يشبه قوله:

بَنِي مالِكٍ إنَّ الفَرَزدَقَ لَم يَزَلِ ... كَسوباً لِعارِ المُخزِياتِ الخَوالِدِ [1]

وفي كل ما سبق دليل واضح على أن هناك ما يمكن تسميته بـ(متشابه الألفاظ) و(متشابه المعاني) في شعر كل شاعر , وأنك تجده عند الجاهليين ممن هم في طبقة امرئ القيس كالنابغة الذبياني,وتجده عند الجاهليين من غيرهم كالشاعر عدي بن زيد العبادي,وتجده عند الشعراء المتأخرين ,كما في عصر صدر الإسلام وعصر بني أمية عند عمر بن أبي ربيعة المغيري ,وجرير بن عطية,بل وتجده في كل عصر,وأيضاً فإنك ترى هذا التشابه يكون في الاعتذاريات وفي الغزل وفي الهجاء وفي كل غرض ,وليس غرض أحق بوجود التشابه فيه من غيره, ومن يبحث ويتتبع ويدقق سيجد من ذلك الكثير.

---

(1) السابق:ص179.

ثانياً/ المتشابه في التراث العلمي عند العرب

أولاً/ قد فطن العلماء من رواة الشعر ونقاده منذ القديم إلى أنه لكل شاعر منهج ينهجه ,وسبيل يسلكه, يختلف به عن غيره من الشعراء ,وأنه متى أتقن أحد ما طريقة شاعر,ومدرجته في قول الشعر, فإنه كان من السهل أن يدخل على شعره ما ليس منه,وقد روي عن المفضل الضبي(ت 178هـ) أنه قال : ((قد سُلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً ,فقيل له: وكيف ذلك؟أيخطيء في روايته أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر **يُشبّه به مذهب رجل** ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك!؟)) [(1)],فالضّبّي يلفت إلى أن لكل شاعر طريقة يسلكها هو ,و مذهب به يعرف عند النقاد والمدققين من الرواة والعلماء,وأن العالم بلغات العرب وأشعارها, ومذاهب الشعراء ومعانيهم ,قد يصنع شعراً يشبّه به شعر غيره ,لأنه يحذو به حذوه في الألفاظ و البناء والمعاني,فيلحقه به ويصعب بعد تمييزه لأنه يشبهه تماماً.

وهذه الحقيقة ملاحظة ,وقد أشار إليها كبار كتّاب العربية فهذا أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ) يوضح ذلك بقوله: ((لكل قوم ألفاظٌ حظيت عندهم, وكذلك كل بليغ [في الأرض] وصاحب كلام موزون ,فلا بدّمن أن يكون قد لهج وألف ألفاظاً بأعيانها؛ليديرها في كلامه ,وإن كان واسع العلم غزير المعاني ,كثير اللفظ.)) [(2)]

وفي طبقات الشعراء لابن المعتز (ت 296هـ) رواية استثبتها ابن المعتز من أن صالحاً بن عبد القدوس [(3)]أقيم بين يدي الرشيد في تهمة الزندقة, فسأله الرشيد عن أبيات قالها , تدل على صدق ما اتهم به, فنفى كل ذلك, ثم استنشده قصيدته السينية, حتى بلغ قوله:

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى في ثرى رمسه

فقال الرشيد: ((يا شيخ ... **هذا الكلام يشهد ... من نمط ذلك الشعر**[- يعني الأبيات التي نسبت إليه-] ونحن نتمثل وصيتك، ثم أمر فضربت عنقه

---

(1) الأغاني,ج6,ص:99,ويلحظ في النص أنه جعل الشبه أولاً ورتب عليه الاشتباه والخلط ,وهذا يدعم ما قيل في تعريف وتبيين دلالة المتشابه,ينظر: البحث ص:9.

(2) الحيوان ,ج3,ص 366.

(3) صالح بن عبد القدوس بن عبد الله ,قتله الرشيد وقيل المهدي بعد اتهامه بالزندقة .ينظر:طبقات الشعراء لابن المعتز ,تحقيق /عبد الستار فراج ,ط دار المعارف بمصر,ص91,.معجم الأدباء لياقوت الحموي,تحقيق د/إحسان عباس ,ط دار الغرب الإسلامي,الأولى 1993م,بيروت,ج4,ص:1445.

وصلب على الجسر.)) [1] ,فهذه الرواية التي استثبتها ابن المعتز,بيّنت أن الرشيد قتل صالحاً الشاعر بدليل **التشابه** الذي وجده بين ما نسب إليه وما قاله بين يديه ,وهذا أمر عظيم الخطْر.

وحين نسير قليلاً نجد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني(ت 392هـ), يشك في أبيات للأقيشر [2]ويقول:

((ومثل قول الأُقَيْشر - **إن كانت له**- :

جريْتُ مع الصِّبا طلّقَ العتيقِ ... وهانَ عليّ مأثورُ الفسوقِ
وجدْتُ ألذّ عاريةِ الليالي ... قرانَ النّغمِ بالوتَرِ الخَفوقِ
ومُسمعةً إذا ما شئت غنّت ... متى نزل الأحبّة بالعقيقِ
تمتّعْ من شباب ليس يبقى ... وصلْ بعُرَى الصّبوح عُرى الغَبوقِ [3]

ثم يعلق عليها قائلا:

((وأنا أرتابُ بأبيات الأقيشر؛ فإنها **لا تُشبه شعرَه،** ولم أرها في ديوانه.)) [4]

فأنت تراه جعل انتفاء الشبه سبباً في الارتياب منضافاً إليه عدم رؤيتها في ديوانه,وهذا القول من القاضي الجرجاني يذكر بما صنعه ابن القيم - مع تأخره - حين جعل شبه الحديث بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم مما يقويه في صحة نسبته إليه,وانتفاء هذا الشبه يعرّف بضعف الحديث ,وربما عدم صحته,وذلك كله من خلال النظر في المتن[5], والذي هو هنا عند الجرجاني نظرٌ في شعر الشاعر وعرض لبعضه على بعض.

وهذه المسألة من المسائل التي لو فعّلها دارسو الأدب والشعر منذ القديم لكان يصح أن يقال فيها إنها نقلت من دراسة الأدب والشعر إلى دراسة علم الحديث,وأنت ترى أيها القارئ الكريم أن هذه الإشارة من القاضي الجرجاني الذي عاش في القرن الرابع الهجري,وترى أن عمل العلامة ابن القيم كان على وجه التقريب في منتصف

---

(1) طبقات ابن المعتز, ص: 91.

(2) الأقيشر هو المغيرة بن الأسود بن وهب من بني أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر-على اختلاف في نسبه-,قيل إنه من مجان الكوفة.

ينظر:الشعر والشعراء ,لابن قتيبة ج2وص:545.,ومعجم الشعراء للمرزباني,ص:273.

(3) الوساطة بين المتنبي وخصومه,لعلي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق/ هاشم الشاذلي,ط دار إحياء الكتب العربية,ص183.

(4) السابق ص184.

(5) المنار المنيف في الصحيح والضعيف,لابن القيم الجوزية,تحقيق/عبدالرحمن يحي المعلمي,ط الأولى ,1416هـ ,دار العاصمة,الرياض,ص46.

القرن الثامن الهجري,وهذه فترة طويلة كان يمكن أن يُنصرف فيها إلى دراسة مثل هذا الأمر من قبل النقاد والرواة المهتمين بالشعر, ولكن القوم ربما اشتغلوا بغير هذا,وعلى كل فأهل الحديث كانوا أدأب وأكثر حرصاً في محاولاتهم تمحيص ما ينسب من أحاديث إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم,وعلى هذا فهم أسبق في تفعيل هذه الفكرة الثاقبة التي وردت عند الجرجاني ,وكانوا أكثر إدراكاً لما يمكن أن يجتنوه من نتائج مهمة في علم الحديث من خلالها.

ولست أزعم أنه من السهولة معرفة كنه (التشابه) الذي يعنيه القاضي الجرجاني,بل إنني متأكد أن معرفة هذا التشابه لن تتأتى بالهوينى, ودون إدراك معنى و حقيقة هذا التشابه درس طويل,والأهم أنك رأيت القاضي جعل لشعر الأقيشر سمتاً خاصاً به إن صح القول ,وهذا يمكِّننا من القول بوجود سمت وسمة لشعر كل شاعر علمه من علمه وجهله من جهله.

وقال ابن سنان الخفاجي (ت466هـ), يؤكد أن للشاعر كَلَفاً بألفاظ بعينها يديرها في شعره كثيراً قال: ((وقلما يخلو واحد من الشعراء المجيدين أو الكتاب، من **استعمال ألفاظ يديرها في شعره،** حتى لا يُخلّ في بعض قصائده بها. فربما كانت تلك الألفاظ مختارة، يسهل الأمر في إعادتها وتكريرها، إذا لم تقع إلا موقعها. وربما كانت على خلاف ذلك.)) (1)

وابن سنان يتكلم هنا عن الألفاظ, وهذه الألفاظ التي يكلف بها الشاعر سوف تشكل - لا محالة - متشابه الألفاظ في شعره,وهو مفهوم من كلام الجاحظ السابق.

ثانياً :

لاحظ العلماء وخصوصاً شرّاح ديوان امرئ القيس وجود مثل هذه الميزة في شعره,وكان العلماء الذين عُنُوا بشرح المعلقات لا يشيرون إلى مثل هذه التشابهات؛ لأنها لا تظهر من خلال قصيدة واحدة هي المعلقة التي شرحت مع غيرها من المعلقات في الشروح المعروفة.

وعلى العكس من شراح المعلقات , كان الذين عنوا بشرح الديوان أكثر إحاطة بأن هذا المعنى أو اللفظ يشبه قول امرئ القيس في المكان الآخر كذا ؛ لأنه إنما يظهر التشابه من خلال عدة قصائد للشاعر نفسه ,وسوف يقدم من وجدت عنده هذه الإشارة من شراح الديوان,ويتلوهم من وجدت عنده إشارة من شراح المعلقات.

---

(1) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي,شرح عبد المتعالي الصعيدي ,ط محمد صبيح, القاهرة,1389هـ,ص96.

أولاً: (شراح الديوان)

أولاً: على رأس هؤلاء الشراح الأعلم الشنتمري[1]عندما شرح ديوان امرئ القيس, وسوف أذكر ما نص عليه من التشابه الذي وجده هو في ديوانه.

أ- من ذلك قوله عندما شرح قول امرئ القيس في الضادية:

فَأَضحى يَسُحُّ الماءَ عَن كُلِّ فَيقَةٍ   يحوز الضباب في صفاصف بيضِ [2]

قال:(**وقد تقدم نحو هذا المعنى**). [3]

---

(1) هو يوسف بن سليمان بن عيسى أبو الحجاج الشنتمري ,المعروف بالأعلم النحوي,كان عالما بالعربية واللغة ,واسع الحفظ للأشعار ومعانيها,جيد الضبط ,كثير العناية بهذا الشأن,ولد سنة عشر وأربعمئة وتوفي بإشبيلية سنة ست وسبعين وأربعمئة للهجرة.
ينظر:معجم الأدباء,لياقوت الحموي,ج6,ص:2848.

(2) يحوز الضباب:يصف كثرة المطر وإسالته بطون الأرض,والضباب: قد انحازت في ما استوى من الأرض بحيث لا يدركها السيل, والصفاصف:المستوي من الأرض غير المنخفض ولا المرتفع, والبيض: التي لا نبات فيها, والفيقة: مابين الحلبتين.
ينظر: ديوان امرئ القيس, ص73.

(3) شرح ديوان امرئ القيس ,للأعلم الشنتمري,ط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1394هـ,ص184.

مشيراً إلى بيت المعلقة وهو قوله:

وَأَضحى يَسُحُّ الماءُ عَن كُلِّ **يَكُـبُّ عَلى الأَذقانِ دَوحَ** (1)

ب-وعندما شرح قول امرئ القيس في القافية:

دَخَلتُ عَلى بَيضاءَ جُمٍّ **تُعَفّي بِذَيلِ الدِرعِ إِذ جِئتُ** (2)

قال:((وهذا **كقوله**:

خَرَجت تَمشي تَجُرُّ وَراءَنا **عَلى أَثَرَينا ذَيلَ مِرطٍ مُرَجَلِ))** (3)

جـ - ومنه قول عندما شرح قول امرئ القيس :

وَرُحنا بِكَابِنِ الماءِ يُجنَبُ **تُصَوَّبُ فيهِ العَينُ طَوراً** (4)

قال: ((وقوله: (تُصَوَّبُ فيهِ العَينُ طَوراً وَتَرتَقي)**كقوله**:(مَتى ما تَرَقَّ العَينُ فيهِ تَسَهل) .)) (5)

يشير إلى بيت المعلقة:

وَرُحنا وَراحَ الطَرفُ يُنفِضُ **مَتى ما تَرَقَّ العَينُ فيهِ تَسَهل** (1)

---

(1) الفيقة: ما بين الحلبتين,يريد أن السحاب يسح المطر ثم يسكن شيئا ثم يسح وذلك أغزر له,فجعل مابين السحتين بمنزلة الفيقة وهو أن تحلب الناقة ثم تترك شيئا ثم يعاد إلى حلبها,فما بين الحلبتين فيقة وفوانق,والكنهبل:ماعظم من شجر العضاة,والدوحة الكثيرة الورق والأغصان.
ينظر الديوان ص24.

(2) جم عظامها:أي لا تنوء لعظامها, وقوله: تعفي:أي تدرس وتغطي أثري الذي دنوت منه,ومودقي:أي مسلكي الذي سلكته, والدرع: قميص المرأة الحدثة.
ينظر الديوان:ص 171.

(3) أسقط من البيت كلمة (بها) وكان قد ذكرها عند شرحه لها في المعلقة(ص72) وقافية البيت في الديوان (مرحل).
وقوله:خرجت بها تمشي: أي خرجت بها من البيوت لأخلو بها, والمرط:إزار خز له أعلام, ويكون من صوف أبيض, وإنما تجر مرطها ليخفى أثره وأثرها, فلا يستدل عليهما,المرحل: الموشى , وهو ضرب من البرد موشى كالرحل,أو بما يشبه صور الرحل.
ينظر: الديوان: ص14, وشرح الأعلم ص325

(4) أي رحنا بفرس كأنه ابن الما في خفته وسرعة عدوه،وابن الما طائر وقوله:وسطنا أي بيننا،وقوله: تُصَوَّبُ فيهِ العَينُ طَوراً وَتَرتَقي أي:تنظر العين إلى أعلاه وأسفله من إعجابها به .
ينظر الديوان ص 176 .

(5) شرح الأعلم ص 333 .

د- وقال أيضاً عندما شرح قوله:

فَظَــلَّ يُــرَنّحُ فـــي غَيطَـــلٍ   كَمــا يَســتَديرُ الحِمــارُ النَعِــر (2)

فبعد أن شرحه قال:((وهذا **كقوله**:

وَغَوَّرنَ في ظِلِّ الغَضى وَتَرَكنَهُ)) (3)

---

(1) الطرف الفرس السريع وقيل هو الكريم الطرفين وقوله:متى ما ترقى العين يقول هو حسن الأعلى والأسفل،تنظر العين فيه علواً وسفلاً عجباً منه أو أنها تنتقل عنه خشية أن تصيبه .
ينظر الديوان:ص 23 .

(2) يقول:فظل الحمار وقالوا: أراد الكلب،وقوله: يرنح أي يستدير كأنه يريد أن يسقط،والغيطل الشجر،الحمار النعر:الذي اصابته في أنفه النعرة وهي ذبابه خضراء تدخل في أنف الحمار فينزو لذلك ويستدير ،فشبه سقوط الكلب مع استدارته بذلك الحمار النعر .
ينظر الديوان:162 .

(3) شرح الأعلم ص311.
والبيت في رواية الديوان مع عجزه :

[illegible]

وغورن في ضل الغضى:يعني الكلاب دخلت تحت الغضى وغرن في ظله كما يغور النجم وإنما يصف أنها أعيت لطول مطاردتها الثور فرجعت عنه وطلبت الظل والراحة،والقرم الفحل الكريم الذي لا يركب،والمتشمس النفور نشاطاً وحدةً،والفادر:الممسك عن الضراب يصف نشاطه وقوته. ينظر:الديوان ص 104 .

ثانياً / شرح الوزير أبي بكر عاصم البطليوسي [1]أشعار الستة الجاهليين[2], وكان هذا التشابه في شعر امرئ القيس مما لفت انتباهه , فأشار إليه في عدة مواضع, في مثل قوله:

أ- عندما شرح قول امرئ القيس:

فَلَمّـــا دَنَـــوتُ تَسَـــدَّيتُها   فَثَوبـاً نَسـيتُ وَثَوبـاً أَجُـر[3]

قال معناه:(أنه ذهبت بعقله فنسي ثوبه, **كما قال**: لعوب تنسيني إذا قمت سربالي))[4]

ب- عندما شرح قوله:

أَتَـت حجَـجٌ بَعـدي عَلَيهـا   كَخَـطِّ زَبـورٍ فـي مَصـاحِفِ[5]

فَأَص

قال:((وقد تقدم شرح **مثل هذا البيت** في القصيدة التي قبل هذه القصيدة)) [6]

وهو يقصد قوله:

لِمَن طَلَلٌ أبصَرتُهُ فَشَجاني   كَخَطِّ زَبورٍ في عَسيبِ يَمانِ [7]

جـ / وليس بخاف أن مقطوعة امرئ القيس التي بدأها بقوله:

أَلا إلا تَكُـن إِبِـلٌ فَمِعـزى   كَـأَنَّ قَـرونَ جُلَّتِهـا العِصِـيُّ [8]

---

(1) لم يعرف الكثير عن هذا العالم ولم تنقل كتب التراجم شيئاًعنه فيما يخص مولده أو وفاته .ينظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية,ص14.

(2) وهم امرؤ القيس, والنابغة الذبياني,وعلقمة الفحل,وزهير بن أبي سلمى,وطرفة بن العبد ,وعنترة بن شداد.

(3) تسديتها : علوتها,أو تناولتها وقصدتها.

ينظر الديوان ص 159.

(4) شرح الأشعار الستة الجاهلية ج1 ص54.,وشطر البيت الأول:

ومثلك بيضاء العوارض طفلة

والطفلة:الناعمة الرخصة اليدين, والسربال القميص.

ينظر الديوان:ص30.

(5) أتت حجج: يصف قدم الدار وبعد أهلها بالأنيس حتى تغيرت رسومها ودرست آثارها,فأصبحت كالكتاب في الخفاء والدقة,والزبور: اسم للكتاب.

وإنما يشبهون برسوم الكتاب لأنها تدل على مواضع الديار, كما يدل الكتاب على المعنى المراد ويعبر عنه, مع دقته وصغر حروفه.

ينظر :الديوان ص89.

(6) شرح الأشعار الستة الجاهلية,ج1 ص237.

(7) ينظر: السابق ص:229,والديوان ص:85.

(8) الديوان ص:136.

قد لحقها كلام طويل في نسبتها إلى امرئ القيس وكونها من شعره فقد ((قال الوزير أبو بكر: قال الأصمعي :امرؤ القيس لا يقول **مثل هذا**...)) [1].

وقال عن البيت الأخير في المقطوعة,وهو قوله:

فَتوسِعُ أهلَها أقِطاً وَسَمناً ... وَحَسبُكَ مِن غِنى شِبعٌ وَرِيُّ [2]

قال:((وبهذا البيت أنكر الأصمعي أن يكون الشعر لامرئ القيس,لأنه قد ذكر عن نفسه أنه لا يقتصر إلا على الحصول على الملك)) [3].

ولست هنا بصدد الحديث عن مسألة نسبتها إليه من عدمها- مع أنها مسألة مهمة وقد تجيب عنها مثل هذه الأبحاث -,وإنما ألفت إلى أن الأصمعي شكّ فيها لأنها لا تشابه ولا تماثل قول امرئ القيس,فيما نقله الوزير أبو بكر البطليوسي.

---

(1) شرح الوزير البطليوسي,ص313.
(2) الديوان:137.
(3) شرح الوزير البطليوسي,ص314.

ثانياً: (شُرّاح المعلقات)

لم أعثر في شرح المعلقات على من أشار إلى مثل هذا التشابه , إلا عند ابن الأنباري[1]وإنه وإن كان أشار إلى الشبيه الآخر,إلا أنه لم يكن منسوباً لامرئ القيس, حيث قال عندما شرح بيت المعلقة السابق:

خرجت بها تمشي تجر وراءنا   على أثرينا ذيل مرط مرحل

بعد أن شرح منه ما شرح قال:((وأنشد الأصمعي:

فظلت تعفي بالرداء مكانها   وتلقط ودعا من جمان محطم

وقال غيره:

هذا **مثل** قول الآخر: **تعفي بذيل المرط إذ جئت مودقي**)) [2]

وهذه الإشارة مع أنها لم تكن مباشرة من ابن الأنباري؛فهو ناقل لها , إلا أنها دلت على ملاحظة هذا التشابه, وخصوصاً لو كان القول الأخير مصحّفاً عن: (هذا مثل قوله الآخر).

---

(1) هو محمد بن القاسم أبو بكر بن الأنباري,كان من أعلم الناس بنحو الكوفيين ,وأكثرهم حفظاًللغة ,ولد سنة واحد وسبعين ومئة وتوفي سنة سبع وعشرين وثلاثمئة للهجرة النبوية الشريفة.

ينظر:معجم الأدباء,لياقوت الحموي,ج6,ص:2614.

(2) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكربن الأنباري, تحقيق/ عبد السلام هارون, ط السادسة,دار المعارف,ص53.

ثالثاً:

قام نجم الدين أبو ربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي المولود(عام 657هـ)والمتوفي في (عام 716هـ). (1)

بتأليف كتاب سماه:((موائد الحيس في شعر امرئ القيس)). (2)

واعتمد د/مصطفى عليان تسميته بعد تحقيقه بـ(موائد الحيس في فوائد امرئ القيس) ,والذي يظهر أنها الأصح ؛ لأن المؤلف قد نص على التسمية في بدء كتابه, وما صوّره المحقّق من المخطوط يدل على هذا.(3)

وهذا الكتاب في مقدمة وأبواب خمسة بينها المؤلف في صدر كتابه , وهي تعالج في مجملها قضية التشابه في شعر امرئ القيس , وبعض محاسن شعره وفوائده .

وقد عنون الباب الأول بقوله: ((الباب الأول في **متشابه** كلامه بعضه ببعض في القليل والكثير)). (4)

ثم جاء بعده: ((الباب الثاني في **متشابه** شعره بشعر غيره من قديم ومحدث وعربي ومولد في اللفظ **والمعنى**)). (5)

وعلّل في الباب الثالث لسبب اشتباه كلامه بعضه ببعض,وأرجعه إلى أمرين:

الأول/ اتّحاد موضوع كلامه, ومقصوده في شعره.

والآخر/ تفنّنه في البيان , وقدرته على الكلام.

وبيّن في الأول أن موضوعات شعره إنما هي في ركوب الخيل للصيد والحرب ,ومغازلة النساء ومعاشرتهن ,والافتخار بالملك والشرف ,وما إلى ذلك,فإنما تشابه كلامه لأنه من هذا القبيل.

---

(1) الطوفي البغدادي وآرائه البلاغية والنقدية،/أمينه سليم،ط مكتبة وهبة،الأولى 1420هـ ص 18-19-20.

(2) السابق ص 26.

(3) ينظر:موائد الحيس في فوائد امرئ القيس لنجم الدين الطوفي،تحقيق د/مصطفى عليان،ط الأولى ,دار البشير ، 1414هـ. ص 106- 107.

(4) السابق: ص:129 .

(5) السابق,ص: 159.

وأما الآخر فلأنّ الرجل كان فصيحاً بليغاً , فأنت تراه يجلّي لك غرضه في كل مكان يعرض له بصورة غير تلك التي عرضها,فيتفنن في كل ذلك,واستشهد بالقرآن الكريم وكثرة متشابهه. (1)

والباب الرابع ذكره في محاسن تشبيهاته واستعاراته. (2)

والخامس جعله في فوائد كلامه. (3)

وأما ما يخصّ تناوله للمتشابه في كتابه , فهو في الأعمّ الأغلب يذكر البيت ,ويذكر شبيهه , دون تعليل أو تحليل, يقول:((ومن ذلك قوله - يعني من المتشابه- :

كَـأنَّ دِمـاءَ الهادِيـاتِ بِنَحـرِهِ　　　عُصـارَةُ حَنّـاءٍ بِشَـيبٍ مُرجـب

ويروى: (مخضب) .

وشبيه بقوله في القافية:

كَـأنَّ دِمـاءَ الهادِيـاتِ بِنَحـرِهِ　　　عُصارَةَ حِنّاءٍ بِشَـيبٍ مُفَرَّقِ)) (4)

وقال أيضاً: ((ومن ذلك قوله في اللامية الثانية :

يُضـيءُ الفِـراشَ وَجهُهـا لِضَجيعِها　　　كَمِصباحِ زَيتٍ في قَناديلِ ذَبّالِ

هو شبيه بقوله في الأولى:

تُضيءُ الظَلامَ بِالعِشاءِ كَأَنَّها　　　مَنـارَةُ مَمسى راهِبٍ مُتَبَتِّلِ)) (5)

رابعاً:

وممن ألمّ بما يمكن أن يكون من المتشابه الدكتور عبد الله الطيب في المرشد,فإن له إشارات ونظرات تكاد أن تكون بسبيل مما نحن فيه , فقد قال ما نصه : ((ولامية امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

---

(1) السابق ,ص:187.
(2) السابق ,ص:189.
(3) السابق,ص:241.
(4) السابق,ص: 133.
(5) السابق نفسه .

نمط فذّ من الاسترسال ,والعودات , وتجاوب الأصداء , والإحكام الموسيقي المعدن في **تعاقب المعاني** , والصور , والمعادلات , والمقابلات التي بينها)). [1]

ثم شرع في بيان هذا التجاوب بين الكلمات والعبارات والنغمات والصيغ والصور والأخيلة والأفكار في المعلقة في صفحات عديدة, تقترب في فحواها مما نحن فيه ,وكان يحاول أن يربط بين كل أبيات القصيدة وكلماتها ,وحتى حروفها ويبصرك بمجرى الروح فيها , وكان أقربها مما نحن فيه قوله عن شطر المعلقة :(**نزول اليماني ذي العياب المحمّل**) :((هذا له **مشابه من شعره كقوله** في البائية:

وَرُحنا كَأَنّا مِن جُؤاثى عَشِيَّة   نُعالي النِعاجَ بَينَ عَدلٍ وَمُحقَبِ[2].))

وكان قد ضرب أمثلة لهذا الأمر الذي ذكره بعدة قصائد من عيون الشعر العربي القديم غير المعلقة , وطبّق عليها ما طبّقه في المعلقة من بحثٍ وتفتيشٍ عن هذا التجاوب والتعاقب الذي ذكر.

خامساً:

ثم بحث في هذه القضية ,الدكتور /دخيل الله الصحفي في بحث أسماه (من التشابه اللفظي في شعر امرئ القيس). [3]

وخصص بحثه كما يدلّ عليه العنوان , بما كان التشابه فيه في اللفظ, فدرس قول امرئ القيس:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ

وشبيهه:

قفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَعِرفانِ

وقوله:

كَأَنَّ دِماءَ الهادِياتِ بِنَحرِهِ   عُصارَةُ حِنّاءٍ بِشَيبٍ مُرَجَّلِ

وقوله:

كَأَنَّ دِماءَ الهادِياتِ بِنَحرِهِ   عُصارَةُ حَنّاءٍ بِشَيبٍ مُخَضَّبِ

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها,د/عبدالله الطيب,ط الكويت الأولى,1410هـ,ج4,ق1,ص239.

(2) السابق ص276.

(3) ينظر:مجلة كلية اللغة العربية ,جامعة الأزهر,إيتاي البارود,العدد العشرون,1425هـ.

وقوله:

كَـأَنَّ دِمـاءَ الهادِيـاتِ بِنَحـرِهِ   عُصـارَةُ حِنّـاءٍ بِشَـيبٍ مُفَـرَّقِ

سادساً:

ثم نشر الدكتور محمد أحمد أبو نبوت في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة, بحثاً بعنوان (التراكيب المتشابهة, في شعر امرئ القيس) [1],وهو مع صغر حجمه فإنه يعدّ أجمع البحوث التي صدرت حتى الآن في موضوعه - فيما قد اطلعت عليه - , وعنوانه يدل على أنه يبحث ما تشابه من التراكيب في شعر امرئ القيس على إطلاقه ,فدرس ما كان التشابه بينهما في شطر وفي بيت وفي بعض كلمات ,بل وماكان في قصيدة واحدة,لذلك فقد وجد أيضاً في بحثه بعض الأبيات التي عددتها من متشابه المعاني. [2]

---

(1) مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة, جامعة الأزهر,العدد الرابع والعشرون.1426, ص1145.

(2) وهي:(وجيد كجيد الرئم...)و(تضيء الظلام...)و(لطيفة طي الكشح)في فصل الغزل,وفي فصل وصف الفرس (وقد أغتدي...)و(مكر وفر...)وحيث لم أشأ أن أتقاطع مع تحليله لهذه الأبيات بعد أن كتبت فيها فقد أشرت إليها هنا.

سابعاً:

ألّف الدكتور /محمد أبو موسى كتاباً أسماه(الشعر الجاهلي ,دراسة في منازع الشعراء),كتب مقدمته في عام 1428هـ , وجعل الدكتور ما يقرب من ثلث الكتاب في دراسة شعر امرئ القيس, الأمر الذي جعله يشير إلى وجود هذه الظاهرة الجديرة بالدراسة في شعر امرئ القيس, وهو في مواطن كثيرة من هذا الكتاب يشير إلى أن الصور والصيغ في شعر امرئ القيس قد نقلت من المعلقة إلى غيرها من القصائد, وليس العكس ؛ لأنها في المعلقة أمكن وأوقع.

ثم قال:((وهي موجودة في كل ديوان , أعني أنك تجد كل شاعر له **جملة من الصور والمعاني والتراكيب تتردد في شعره** كله ,حاملة طبعه , وموثقة علاقات شعره بعضه ببعض , ولو بحثت هذا الجانب بحثاً أوسع ستجد نظائر كثيرة لهذا , وإن لم يعبّر عنها صراحة , وربما دلتك عليها مفردة وقعت موقعها, والجملة تراها تستدعي لك نظائر لها, بل أكثر من هذا إنك لتجد **تشابهات كثيرة في معان** وصور ومشاعر , صيغ متباعدة ولغة مختلفة. لكنها تنبيك عن صدورها من نفس المخرج والمعدن التي خرجت منه غيرها.)) (1)

وفي موضع آخر ينبّه إلى هذه الظاهرة ويشير إليها قال :((إنني كلف منذ زمن بعيد بالمراجعة الدائمة في الشعر الجاهلي وفي كلام الله , أبحث في كل عن أسرار التآخي بين الصور والمعاني والصيغ التي تتكون منها السورة أو القصيدة, وأجد **تشابهاً شديداً بين الصور والمعاني والصيغ** التي يتكون منها الشعر,فالصيد مثلا بصوره ومعانيه وأحواله يذكر في أكثر الشعر,ومثله الطلل والرحلة إلى آخره,وكذلك وصف الشاعر لأهوائه وصبواته,موزع كل ذلك في ديوان الشاعر,أو في الشعركله.))(2)

وهذا النص من كلام الدكتور يضع اليد على ما يمكن أن يسمى(متشابه الألفاظ)أو (متشابه المعاني)أو (متشابه الصور),كل ذلك يمكن أن يدرس عند كل شاعر ,وقد يعمم هذا الأمر فيدرس عند أهل الطبقة الواحدة ,أو الجيل الواحد من الشعراء وهكذا,وعندئذٍ يمكن أن يفتح باب من الدرس البلاغي النقدي, لا ينظر فيه إلى مابين شعر الشعراء من تشابه على أنه سرقةوانتهاب.

وفي موضع آخر تكلم الدكتور عن إمكانية وضع المعنى في مكان معنى يشبهه من عدمها , وبين عدم إمكانها ؛لأن كل واحد منهما امتداد لنسيج القصيدة التي هو منها, ونص على التسمية فقال:((ولا سبيل إلى التداخل والتبادل بين **المعاني**

---

(1) الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء,د/محمد أبو موسى,ط الأولى مكتبة وهبة,1429هـ, ص 129-130.

(2) السابق ص168

المتشابهة , على حد ما بينت في(سموت إليها)و (جئت وقد نضت)) [1] , وكان قد شرحهما وبين ما بينهما من تشابه وائتلاف,وهذا يدل على أن لكل كلام معناه ودلالاته واعتباراته الخاصة به ,والتي لا يمكن الخلط بينها, وبناءً عليه فلا يمكن جعل كل واحد من الكلامين صورة أخرى للآخر لا تختلف ولا تفترق بسمة أو صفة أو أمر من الأمور.

وقال د/ محمد أبو موسى في موضع آخر يتحدث عن متشابه الألفاظ :

((ومما يجب أن نفتح باب النظر فيه مطالع القصائد التي تتفق في كثير من ألفاظها وتراكيبها ثم يقع فيها اختلاف ما،في وضع لفظ مكان لفظ وذلك عند الشاعر الواحد،وهو يشبه في الدراسة القرآنية المتشابه اللفظي ولكنه هنا تشابه لفظي في المطالع،ومن أمثلته عند امرئ القيس قوله في المعلقة:(قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ)وقوله في قصيدة أخرى (قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَعِرفانِ)وقوله في القصيدة التي هي أخت المعلقة فيما نرى (ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي)وقوله في قصيدة أخرى(ألا عم صباحاً أيها الربع وأنطق)ولابد أن نعتقد أن لهذا التفسير مردا في داخل القصيدة وأن نجتهد في إدراكه،فإن غاب عنا فلابد من الاعتقاد بأنه موجود ولكنه غاب عنا،...ولو لم يكن له مرجع في داخل القصيدة لكان وجوده في مطلعها عبثاً...والمطالع مواطن التجويد وليست موضع التسامح فضلاً عن العبث)) [2].

وهو بهذا يشير إلى متشابه الألفاظ ,الذي سبق وأن تتبعنا نشأته وسيرته, على أن الشيخ قد وسع هذا الأمر ,وجعله عند كل شاعر ,على عادته في الإشارة والتنبيه إلى مثل هذه الموضوعات التي يرى أنها لا بد أن تبحث,عله أن يقيض لها من طلبة العلم من يشمر لها عن ساعد الجد ,وما ذكره لأبيات امرئ القيس المتشابهة إلا مثال يوضح به ما يريد ,وإلا فهو يقول في كلامه السابق أن هذا التشابه تجده في ديوان كل شاعر ,ثم إنك تجده في الشعر كله.

---

(1) السابق ص171.

(2) السابق ص 184-185 .

المبحث الثاني/

المتشابه والتكرار
والتصرف والاقتدار

- **المبحث الثاني / المتشابه والتكرار والتصرف والاقتدار.**

في معجم مقاييس اللغة :الكاف والراء أصل صحيح, يدل على جمع وترديد,ومن ذلك :كرَرْت,وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى,فهو الترديد الذي ذكرناه. [1]

و(الكرّ) في الّلسان: بمعنى الرجوع إلى الشيء،ومنه التكرير والتكرار،وكرّر الشيء وكرْ كَرَه:أعاده مرةً بعد أخرى .

ونقل ابن منظور سؤال أبي سعيد الضرير لأبي عمرو:ما بين تِفعال وتَفعال؟ فقال: تِفعال اسم،وتَفعال بالفتح مصدر . [2]

وعليه فإذا أراد متكلم الدلالة على الحدث فقط , فهو يستخدم (تَكرار) بالفتح ؛ لأنها على وزن المصدر،والمصدر يدل على الحدث فقط دون زمنه .

وإذا أراد التسمية - تسمية شيءٍ ما بالنص على أنه مكرر- فيستخدم وزن (تِفعال) بالكسر فيقول :تِكرار . [3]

وعرفته كتب الاصطلاح والتعريفات بأنه:

((عبارة عن الإتيان بالشيء مرةً بعد أخرى)). [4]

وهذا التعريف صحيح ودال على كُنه التكرار , وحقيقته في عمومها, لكن البلاغيين لهم أمر آخر يعنون به, والتكرار في اصطلاحهم ذو دلالة واحدة ,وإن اختلفت ألفاظهم في التعبير عن هذه الدلالة, وهي ترجع إلى معنى واحد يقصد به **ترداد اللفظ** .

فهذا ابن الأثير(ت 637هـ) يحدّه بأنه : ((دلالة اللفظ على المعنى مردّداً)). [5]

وابن أبي الإصبع المصري (ت654هـ), يعرفه بقوله:((هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد)) [6]

---

(1) ج5,ص:126.

(2) اللسان :مادة (كرر).

(3) شذا العرف في فن الصرف للمحلاوي تحقيق,د/عبد الحميد هنداوي، ط-الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت 1418هـ ، ص83-91 .

(4) التعريفات للجرجاني ص 64 والتوقيف للمناوي ص 107 .

(5) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير،تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد- ط المكتبة العصرية،1420هـ جـ2ص146 .

(6) تحرير التجبير لابن أبي الإصبع المصري،تحقيق- د/حفني شرف، القاهرة 1383هـ ص 375 .

وقد طال عجب مؤلف كتاب (التكرير بين المثير والتأثير) من تعريف ابن أبي الإصبع،((ومناط العجب حصره التكرار في اللفظة الواحدة،فماذا عساه أن يسمي ما زاد عنها؟)). د/عز الدين السيد، ط الأولى، عالم الكتب،1398هـ ص114 .

ويعرفه ابن الناظم (ت 686هـ), بقوله:((التكرار إعادة اللفظ ؛لتقرير معناه)). (1)
ومن تعريفاته قولهم:((إعادة ذكر كلمة أو عبارة,بلفظها ومعناها,في موضع آخر,أو مواضع متعددة, من نص أدبي واحد)). (2)
وكما ترى يكادون أن يتفقوا على الألفاظ، وإن كانوا قد اتفقوا على المدلول،فهو عندهم إعادة للّفظ وتوكيد لمعناه .
وهذا مع العلم بأن كثيراً من العلماء قد تعرض له شارحاً ومقسماً وممثلاً دون أن يتطرق إلى وضع حد له،لظهوره ربما وعدم التباسه بغيره . (3)
فهذا ابن رشيق القيرواني(ت 463هـ) ,عندما تطرق له في عمدته لم يعرفه وإنما شرع في تقسيمه ,وقسمه إلى ثلاثة أقسام :
الأول/أن يكون التكرار في الألفاظ دون المعاني وهو الأكثر. (4)
الثاني/أن يكون التكرار في المعاني دون الألفاظ وهو الأقل.
الثالث/أن يكون التكرار في الألفاظ والمعاني وهو على حدّ قوله:((الخذلان بعينه)). (5)

ثم قال:((ومن تكرير المعاني قول امرئ القيس،وما رأيت أحداً نبّه عليه :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبلِ
كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندلِ

فالبيت الأول يغني عن الثاني , والثاني يغني عن الأول،ومعناهما واحد ؛لأن النجوم تشتمل على الثريا،كما أن يذبل يشمل على صم الجندل, وقوله:(شدت بكل مغار الفتل) مثل قوله: (علقت بأ مراس كتان) .)) (6)

---

(1) المصباح في المعاني والبيان والبديع،لبدر الدين بن مالك، ط الأولى1422هـ ،دار الكتب العلمية، بيروت ص235 .
(2) البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم,د/شفيع السيد,ط الثانية 1416هـ -1996م -,دار الفكر العربي,ص212.
(3) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه،لابن رشيق القيروان،تحقيق/ محمد عبد القادر عطا،ط الأولى دار الكتب العلمية- بيروت 1422هـ جـ2 ص25والبديع في نقد الشعر،لأسامة بن منقذ، تحقيق- د/أحمد بدوي وآخر، ط مصطفى البابي الحلبي،ص 191 .
والإيضاح لتلخيص المفتاح للخطيب القزويني،في كتاب بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدي جـ2 ص119 .وبديع القرآن لابن أبي الإصبع،تحقيق/حفني محمد شرف ص151 .
(4) لفت الدكتور/شفيع السيد إلى أن القسم الأول من تقسيماته إنما هو ظاهرة بلاغية أخرى غير التكرار تسمى (الجناس),ولا ينبغي الخلط بين الظاهرتين,كما قال .ينظر: البحث البلاغي عند العرب ص217.
(5) العمدة جـ2 ص 25 .
(6) السابق ج2 ص 29,وينظر رأي الأستاذ /محمود شاكر في البيتين وبيانه عما فيهما من اختلاف.

وهذه ملاحظه قيّمة من ابن رشيق , سعى ليثبتها لنفسه بقوله:(وما رأيت أحداً نبّه عليه) يقصد هذا النوع من تكرار المعاني في شعر امرئ القيس .

ويلحظ في البيتين أنهما من قصيدة واحدة هي المعلقة وقد جاءا فيها متواليين. (1)

وقد علّق ابن الناظم على تقسيم ابن رشيق السالف ,وكونه أول من نبّه على (تكرار المعاني)،علق عليه بقوله:((وهذا الذي ذكره وإن كان حقاً غير أن الناس قد سمّوا نحو ما في البيتين(تذييلاً), فلا حاجة إلى تقسيمه , ولا إلى ما أحدث من تسميته)). (2)

والتذييل هو : ((تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد)) وهو نوعان: ما جرى مجرى المثل , وما لم يجر مجراه , ونوعان آخران :إما لتأكيد المنطوق , أو لتأكيد المفهوم،والتذييل والتكرير من باب الإطناب. (3)

ومثّلوا له بقوله تعالى : {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [سورة الإسراء: 81]

ومثلوا أيضاً بمثل ما جاء على شاكلة قول النابغة:

وَلَستَ بِمُستَبقٍ أخاً لا تَلُمَّهُ   عَلى شَعَثٍ أيُّ الرِجالِ المُهَذَّبُ (4)

وإذا جيء للتحقيق فإن المسألة على خلاف ما قال ابن الناظم,وذلك لأمور:

الأول/ أن العلماء في تمثيلاتهم للتذييل لم يمثلوا ببيتين من الشعر يكون الثاني منهما تذييلاً للأول,أو يكون البيت الأول منهما جملة واحدة يعقب عليها بجملة أخرى في معناها في البيت الثاني.(5)

والثاني/ أن بيتي امرئ القيس لا يشتملان على جملتين , بل أكثر من ذلك.

والثالث/ أن كلام ابن رشيق يدور على أن البيت الأول يشتمل على أمرين هما:

أ- نجوم الليل   ب- مشدودة بصخور يذبل

طبقات فحول الشعراء,السفر الأول,ص86,الهامش الأول.

(1) الديوان ص19.

(2) المصباح ص236.

(3) ينظر:متن الإيضاح ,في كتاب البغية,لعبد المتعال الصعيدي,ج2 ص117-124.

(4) السابق ج2 ص124,وديوانه ص 74.

(5) ينظر : المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم,سعد الدين التفتازاني,تحقيق د/عبد الحميد هنداوي,ط الأولى 1422هـ-2001م, دار الكتب العلمية بيروت ص 496,عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للسبكي,تحقيق د/خليل ابراهيم خليل ,ط الأولى 1422هـ,2001م, دار الكتب العلمية بيروت ج3 ص126,تحرير التحبيرص 389,بديع القرآن ص155,الإيضاح في البغية ج2 ص 122.

والبيت الثاني يشتمل على أمرين هما:

أ- الثريا **ب- معلقة بصم الجندل.**

والذي أبرزه ابن رشيق هو أن نجوم الليل تشتمل فيما تشتمل عليه من النجوم الثريا , وصخور يذبل من جنس صم الجندل.

فإذا كان هناك تعقيب فإن التعقيب ليس على جملة واحدة بل على جملتين وليس هذا حدّ التذييل.

والرابع/ أنّ ابن أبي الإصبع في سياق بيانه لبعض الفروق بين مثل هذه المسمّيات قال:((والإيغال والتذييل لا يكونان إلا في المقاطع دون الحشو.)) [1],وهذا ما لا يمكن أن ينطبق على ما قاله ابن الناظم بحال.

والذي هو أقرب أن يقال أن البيت الثاني فيه ذكر للخاص بعد العام وهذا واضح فيه.

ومن كل هذا نخلص إلى أنه قد يعترض على تسمية ما في بيتي امرئ القيس (تذييلاً) كما اقترح ابن الناظم, وذلك لعدم موافقتهما حدود واشتراطات هذا الفن.

ومن جانب آخر فلن ينكر أحد أن في البيتين تكراراً في المعنى - مراداً به (الغرض)- كما أثبت ذلك ابن رشيق , وشهد ابن الناظم عليه بأنه حق, والذي ليس بحق ، أن يُدخل أمر في حيّز أمر لا يقبله, ولا تنطبق عليه شروطه, ومن ثم فإن إفراده بمميزاته, ثم تسميته تسمية تخصّه قد تحل كثيراً من هذا الإشكال, ثم قد يتفق على المصطلح وقد يختلف عليه كما سيأتي, ولا مشاحة في الاصطلاح,كما يقال.

وبالعودة إلى التكرار الذي ذكره ابن رشيق في شعر امرئ القيس , ولم يردفه بمدح ولا قدح,وإن فُهم من قوله :(يغني) أن الثاني كالحشو الذي يمكن الاستغناء عنه،فإن الذي يظهر أنّ المسمى حقيق بالتسمية ،لأنه ترداد للمعنى في موضع واحد فإطلاق اسم التكرار عليه صحيح لا يمكن أن ينكره منكر,مع التأكيد على أنه إنما يقصد بالمعاني هنا (الأغراض) .

وإن كان هذا الذي ذكره ابن رشيق –وما كان على شاكلته – قد عدّ على أنه من عيوب شعر امرئ القيس، فقالوا وقد عدّدوا عيوب شعره : ((ومما يؤخذ على امرئ القيس أيضاً، أنه كان يكرر المعاني بألفاظها في قصائده ،ويكثر في ذلك إكثاراً يعد عليه ويدل على قلة تصرفه)). [2]

---

(1) تحرير التحبير ص 391.

والإيغال قيل هو:((ختم البيت بما يفيد نكتةً يتمّ المعنى بدونها))ينظر:متن الإيضاح من كتاب البغية ج2,ص120.

(2) زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي ابن زيد،عبد المتعال الصعيدي،ص 80وما بعدها.

وكل ما ذكروا من أمثلة لهذا التكرار من قصائد مختلفة له كلها من المتشابه اللفظي والمعنوي في شعره وقال الرافعي معدداً بعض المآخذ التي أصابها في شعر امرئ القيس ومنها: ((أن له تكراراً قبيحاً في الألفاظ والمعاني يجيء بها على وجه واحد في مواضع مختلفةٍ من غير أن يتصرف في ذلك بما يخفي قبح هذا التكرار وينفي عنه الظنة)). (1)

وهذان النصان دلا على أن المقصود بالتكرار عندهم ما يطلق عليه اسم (المتشابه), وإلا فإن من تكرار امرئ القيس ما شُهد له بالحسن والجودة (2), وقوله في النص الأول (في قصائده) وقوله في النص الثاني(في مواضع مختلفة) يوحيان بل يدلان على أن التكرار المراد هنا هو: (المتشابه اللفظي والمعنوي) ؛لأنه منظور فيه إلى كل شعره ,وليس إلى قصيدة واحدة منه .

والحقيقة أن الأبحاث السابقة في موضوع (المتشابه اللفظي) في شعر امرئ القيس قد ردت على هذا العيب , ونفته بما توصلت إليه من نتائج, ولعل القسم الثاني من المتشابه, قد أنيطت دراسته والرد على من يعيبه بهذا البحث.

وعلى كلٍ فإذا كان ابن رشيق قد بيّن ولأول مره أن هناك تكراراً في المعاني في شعر امرئ القيس, وذكر شاهداً على ذلك , ولم يذكر حكماً صريحاً على هذا التكرار , فإن من العلماء من عرض لهذا الذي قاله ابن رشيق , وغيّر فيه , وبدل , والأهم أنه عبّر عن رأيه , و أصدر حكماً.

فهذا ابن أبي الإصبع المصري , يذكر في تحرير التحبير باباً يسميه (التصرّف) , ويعود إليه في (بديع القرآن) ويسميه (الاقتدار) (3) ,فهما مسميان لمسمى واحد عنده , وأظهر فيهما ما عنده في هذه المسألة.

وقد عرف التصرف بقوله: ((هو أن يأتي الشاعر إلى معنى فيبرزه في عدة صور ،تارة بلفظ الاستعارة ,وطوراً بلفظ الإيجاز , وآونةً بلفظ الإرداف ,وحيناً بلفظ الحقيقة)). (4)

وضرب لذلك مثلاً قول امرئ القيس يصف الليل :

وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحرِ أَرخى سُدولَهُ   عَلَيَّ بِأَنواعِ الهُمومِ لِيَبتَلي
فَقُلتُ لَهُ لَمّا تَمَطّى بِصُلبِهِ   وَأَردَفَ أَعجازاً وَناءَ بِكَلكَلِ

---

(1) تاريخ آداب العرب،مصطفى صادق الرافعي،ط دار الكتاب العربي، بيروت،1425هـ،جـ3 ص 25 .

(2) ينظر: العمدة لابن رشيق ,ج 2 ,ص25.

(3) بديع القرآن ص 289.

(4) تحرير التحبير ص582.

فأبرز المعنى في لفظ الاستعارة ,ثم تصرف فأتى به في لفظ الإيجاز فقال:

فيـا لَـكَ مِـن لَيـلٍ كَـأَنَّ نُجومَـهُ   بِكُـلِّ مُغـارِ الفَتـلِ شُـدَّت بِيَـذبُلِ

ثم تصرف فيه فأخرجه بلفظ الإرداف , فقال:

كَـأَنَّ الثُرَيّـا عُلِّقَـت فـي مَصـامِها   بِـأَمراسِ كِتّـانٍ إِلـى صُـمِّ جَنـدَلِ

ثم تصرف فيه فعبر عنه بلفظ الحقيقة, فقال:

أَلا أَيُّهـا اللَيـلُ الطَويـلُ أَلا اِنجَلـي   بِصُبحٍ وَمـا الإِصباحُ مِنـكَ بِأَمثَلِ

ثم علق على هذا بقوله :((ولا شبهة في أن هذا إنما يأتي من قوة الشاعر وقدرته)). (1)

واستشهد بما سبق نفسه في بيانه عن (الاقتدار) في (بديع القرآن)وفيه بين سبب التسمية وكونها مأخوذة من اقتدار الشاعر على نظم الكلام, وتركيبه, وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض. (2)

وهنا يلحظ أن (التصرف) أو (الاقتدار)الممتدح عند ابن أبي الإصبع هو (تكرار المعاني) الذي عناه ابن رشيق .

وقد يدخل فيه - أعني(التصرف) أو (الاقتدار) - التكرار الذي عابه من قدح في شعر امرئ القيس.

و مما يتصل بهذا, فإنه قد وجد من يسمي ما ذكره ابن رشيق , ولكن عند شاعرين مختلفين, باسم (التكرير) (3)على أن الشاعر الثاني أعاد وكرر معنى الشاعر الأول.

<u>وختاماً أقول:</u>

كما هو معلوم أن للتكرار كما قال العلماء مواطن يحسن فيها وقد عددوها،ومواطن أخرى يسوء فيها, شأنه في هذا شأن فنون البلاغة الأخر إذا تعوطيت بتكلّف وتعسف ظهر منها ما يسوء , وبان عليها أثر الكراهة والتكلف،ولن تعدم هذه الظاهرة وهذا الفن طريقةً لدراستها وسبر أغوارها منضافاً إليها إجادة الاستخدام من عدمها ,ويدخل في هذا (التصرف والاقتدار).

على أن من سيدرس هذه الموضوعات سيدرسها منطلقاً في غالبية الأمر من رحاب علم البديع, مغفلاً علمي المعاني والبيان ,أو أنه سيضيف في أحسن الأحوال دراسة علم المعاني في التكرار لمساسه باب الإطناب,وهذا قد لا يحقق الدراسة

---

(1) تحرير التحبير ص 582-583.

(2) بديع القرآن ص 289.

(3) البديع في نقد الشعر, أسامة بن منقذ تحقيق د/أحمد بدوي ود/حامد عبد المجيد ط الحلبي 1380هـ.,ص 191.

الشاملة المتكاملة في جميع اتجاهاتها بلاغياً للنص الأدبي,ولو حاول باحث أن يغير مثلاً لتكون دراسته دراسة شاملة منطلقاً من هذا الباب,فلن يغير الاقتران الشرطي بين هذه المصطلحات وعلم البديع في عقول المتلقّين.

وينبغي أن يُعلم أن مراد ابن رشيق من قوله (تكرار المعاني) أي (تكرار الأغراض)؛ لأنه وبهذا الفهم فقط يصحّ كلام ابن رشيق ,ويفهم على الوجه الذي أراد له أن يفهم عليه, فالشيء المعاد هنا هو الغرض وهو المكرر,أما في المتشابه الذي أدرسه فيستحيل أن يدرس البيت الآخر على أنه مكرر,كيف وقد اختلف في نظمه وكلماته عن الأول,وهذا وحده كفيل بنفي التكرار عنه,والأصحّ في مثل هذا أن يدرس على أنه من المتشابه حيث سيفتح أمامه الباب كاملاً على علوم البلاغة كلها دون تحديد,فيتاح له النظر في التركيب والصورة وما يتبعهما من محسنات.

ثم إن الحديث عن التكرار أمرٌ ظاهر الصعوبة بين الإشكال في الأبيات الكاملة,ممكنٌ في الجمل والأشطر,فمثلاً قول امرئ القيس:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَعِرفانِ وَرَسمٍ عَفَت آياتُهُ مُنذُ أَزمانِ [1]

ليس تكراراً لقوله:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ[2]

ولكن قوله:

وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها [3]

قد يسلم بأنه تكرار لقوله:

وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها [4]

إذا قطع النظر عن سياقها,ولكن هذ لا ينفي أن كل واحدة منهما لها دلالة خاصة بها حسب سياقها الذي جاءت فيه ,ومرتبطة بقصيدتها ارتباطاً غير ارتباط الأخرى بقصيدتها.

أما قوله في متشابه المعاني:

وَرُحنا وَراحَ الطَرفُ يَنفضُ رَأسَهُ مَتى ما تَرَقَّ العَينُ فيهِ تَسَهَّلِ [1]

(1) ديوان امرئ القيس,ص 89.
(2) السابق,ص8.
(3) السابق ص 19.
(4) السابق,ص36.

فليس بتكرار لقوله:

وَرُحنا بِكَابِنِ الماءِ يُجنَبُ وَسطَنا   تُصَوَّبُ فيـهِ العَينُ طَوراً وَتَرتَقي (2)

ويابعد وفرق ما بينهما ,وسيتضح ما بينهما عند دراستهما.

و مما تفترق به دراسة المتشابه عن التكرار أن دراسة المتشابه تُعنى بدراسة البيت المشابه للآخر من خلال سياق قصيدته ومقصدها،وتوجيهات المتشابه إنما تؤخذ من هذا السياق وذلك المقصد,وما يكون بينهما من فروق يجلّيها ويكشفها السياق.

وهنا يظهر سبب عدم إمكان إدخال الأبيات التي هي من قصيدة واحده -(تكرار المعاني) عند ابن رشيق- ضمن دراسة المتشابه .

وخلاصة القول إن (تكرار المعاني) عند ابن رشيق,و(التصرف والاقتدار) عند ابن أبي الإصبع ,يختصان بالقصيدة الواحدة ولا يتعدّيانها إلى مجموع القصائد كما مثلوا هم بما دلّ على مرادهم,وعلى هذا فيمكن أن تدرس هذه الفنون على أنها من التكرار الذي يكون في النص الواحد,كما في تعريف التكرار السابق الذي قيل فيه إن التكرار هو : ((إعادة ذكر كلمة أو عبارة,بلفظها ومعناها,في موضع آخر,أو مواضع متعددة, من نص أدبي واحد.)) , والله أعلم.

***

(1) السابق,ص23.
(2) السابق,ص176.

المبحث الثالث/

المتشابه والسرقات
(السرقة الشخصية)

- **المبحث الثالث /المتشابه والسرقات(السرقة الشخصية).**

بدايةً ليست عنايتي متوجهةً إلى قضية السرقات وتاريخها وأنواعها وما يتصل بها،وإنما فرض علي القول فيها- أو في جزء منها- ما أجده من تقاطع بين نوع من أنواعها وبين ما أبحث فيه،ولهذا فلن أتعمّق موضوع السرقات إلا في حدود ما تطلبه الدراسة، وما تحتاج إليه للإبانة. (1)

وكأني ببعض الأسئلة المهمة قد ثارت في بداية هذا المبحث تقول:

ما علاقة السرقة بموضوع البحث (المتشابه)؟

وما مدى ارتباط كل واحد منهما بالآخر؟

ومن أين جئت بما أسميته (السرقة الشخصية)؟

وهل هناك (سرقة شخصية)؟

وبمعنى آخر هل يمكن أن يسرق الشاعر أو الأديب نفسه؟

وهل يعد متشابه اللفظ أو المعنى عند الشاعر الواحد سرقة؟ولكن ممن؟

هذه الأسئلة يحاول هذا المبحث أن يجيب عنها،ولكن قبل الشروع في تلمس إجابات تلك الأسئلة يجب أن نلمّ بتعريفات السرقة،وكيف كانت العرب تفهمها.

في معجم مقاييس اللغة :((السين والراء والقاف أصل يدلّ على أخذ شيء في خفاء وستر)). (2)

ونقل في اللسان أن :((السارق عند العرب من جاء مستتراً إلى حرز فأخذ منه ما ليس له،فإن من ظاهر فهو مختلس ومستلب،ومنتهب ومحترس،فإن منع مما في يديه فهو غاصب)). (3)

وقال في كتاب التعريفات هي : ((أخذ الشيء من الغير على وجه الخفية)). (4)

وعرفها المناوي بقريب من هذا فقال: ((هي أخذ ما ليس له أخذه في خفاء)). (5)

---

(1) للإفادة ينظر:الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري, للآمدي ، تحقيق،السيد أحمد صقر،ط 4 جـ1 ص57 .
والوساطة بين المتنبي وخصومة للقاضي الجرجاني,ص 170 .
والعمدة جـ2 ص216،المنصف في نقد الشعر،لابن وكيع،تحقيق، د/محمد رضوان الداية ط دار قتيبة ,دمشق.
(2) ج3,ص:154,مادة (سرق).
(3) اللسان :مادة (سرق) .
(4) التعريفات للجرجاني ص 111 .
(5) التوقيف ص 193 .

أما في الاصطلاح فقد عرفها د/ بدوي طبانة عند البلاغيين بقوله : ((السرق هو الأخذ من كلام الغير ،أخذ بعض المعنى أو بعض اللفظ،سواء أكان لمعاصر أو قديم)). [1]

وهنا نلاحظ أن جميع تعريفات السرقة تنصّ على أنها أخذ شيءٍ لا يملكه الآخذ،وهذا الإصرار والتوكيد على أنها لا تكون إلا فيما لا يملكه الآخذ يوحي بأن ما ليس كذلك فلا يطلق عليه اسم السرقة , ولكن يطلق عليه أي اسم آخر خلا هذه التسمية .

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها فيما نحن بصدده -أعني السرقات الشعرية - هي أن التشابه الذي يوجد بين أقوال الشعراء هو الدليل الأول الذي يتوجه بعده الحكم إلى المتأخر بأنه سارق, فما دام هناك تشابه بين القولين فإن الاتهام متوجه مباشرةً إلى من كان قوله يشبه القول الأول،الأمر الذي جعل أحد الباحثين يقول : إن شدة اختصام مؤيدي المعاني وأنصارها في مقابل مؤيدي اللفظ وأنصاره أدت إلى ((أن يتبع بعض النقاد معاني الشعراء تتبعاً دقيقاً,وأن يحكموا بالسرقة لتشابه المعاني وتكرارها على نحو إفراط أبي الضياء بشر بن تميم في تتبع سرقات البحتري)). [2]

وتتقرر هذه الحقيقة حتى إنه ليمكن أن يقال إن((هناك رغبة واضحة عند بعض النقاد في وصف معاني المحدثين بالسرقة لأدنى تشابه...)) [3] بين العملين,غير آبهين لما بينهما من فوارق قد تكون مميزة ولافتة.

في حين أننا نجد د/محمد مصطفى هدارة ينفي أن يكون وجود التشابه بين معنى ومعنى دليلاً حقيقاً بإطلاق اسم السرقة عليه يقول:((بعض السرقات الجاهلية التي ذكرها النقاد،لا يمكن أن تعد سرقات،على نحو ما سنبينه فيما بعد حين نفسر معنى السرقة ونجلو سر هذا التشابه الذي يوجد بين معنى ومعنى،وأهمية المفاضلة بين الشعراء في تصورهم وصياغتهم لهذه المعاني المتشابهة)). [4]

وكحل للمشكلة وضع د/هدارة عدة أسس فسر في ضوئها مشكلة السرقات كالإبداع الفني والإطار الشعري والإطار الثقافي ويعني بهذا الأخير ظروف البيئة الاجتماعية

---

(1) معجم البلاغة العربية ،د/بدوي طبانة ,ط الرابعة 1418هـ- 1997م,دار ابن حزم للطباعة وانشر ,بيروت ,ص 278 .وينظر:معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،د/أحمد مطلوب,ط المجمع العلمي العراقي,1403هـ-1983م،جـ3 ص 38 .

(2) السرقات الشعرية بين الآمدي والجرجاني في ضوء النقد الأدبي القديم والحديث, د/عبد اللطيف الحديدي,ط الأولى,1416هـ,ص148.

(3) (إشكالية الاحتذاء في المعنى الشعري عند عبد القاهر الجرجاني) د/صالح الزهراني،مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة،العدد الخامس عشر السنة العاشرة 1417هـ،ص 263 .

(4) مشكلة السرقات في النقد العربي د/محمد مصطفى هدارة،ط الثالثة، المكتب الإسلامي 1401هـ،ص22 .

والطبيعية وظروف اللغة والعصر بوجه عام والتي تتحكم في إنتاج الشاعر وتجعله شبيهاً بإنتاج صاحبه الذي يقع تحت تأثير نفس الظروف, وحينها يصعب القول بالسرقة. [1]

يقول د/ هدارة : إن بعض نقادنا العرب قد أدركوا بعض نواحي الإطار الثقافي - وإن كانوا لم يطبقوا ذلك علمياً في نقدهم- وعرفوا أن العادات والتقاليد الواحدة والظروف الطبيعية التي تحيط بالمكان الواحد،لابد أن تنسج فناً متشابهاً لا يصح معه الحكم بالسرقة,ثم ذكر أن الباقلاني أدرك تأثير العصر الزمني في تشابه الإنتاج الفني إلا أنه لم يطبق ((هذه الفكرة المتقدمة عملياً على المتشابه من المعاني والصور الذي يوصف بأنه سرقة)) [2],ويمكن أن يمثل لهذا الأمر بمثل ما دار بين امرئ القيس وعلقمة,وبغض النظر عن القصة الشهيرة للقصيدة ,وقضية المماتنة التي وقعت بينهما في شأن الشعر إلا أنهما يشتركان في الأسس السابقة التي ذكرها الدكتور هدارة,يقول امرؤ القيس:

وَقالَت مَتى يُبخَل عَلَيكَ وَيُعتَلَل   يَسُؤكَ وَإِن يُكشَف غَرامُكَ تَدربِ[3]

وقال علقمة :

وَقالَت وَإِن يُبخَل عَلَيكَ وَيُعتَلَل   تَشَكَّ وَإِن يَكشِف غَرامَكَ تَدربِ [4]

---

(1) السابق ص272.

(2) السابق ص291.

(3) أي أن تبخل عليك بالوصال واعتلّت ساءك ذلك ,وإن وصلتك فكشفت غرامك كان ذلك لك دربة وعادة,وإنما يريد أنها كانت لاتقطع وصاله كل القطع فيحمله ذلك على اليأس والسلوّ,ولا تصله كل الوصل فيتعوّد ذلك ويستكثر منه حتى يدعوه إلى الملل,والغرام : العناء والمشقة بحب النساء وهو العذاب أيضاً.

ديوانه ص:42.

(4) ديوان علقمة ص:11.

وقال امرؤ القيس:

وَإنّـكَ لَـم تَقطَـع لُبانَـة عاشِـقٍ   بِمِثْـلِ غُـدُوٍّ أو رَواحٍ مُـؤَوِّبِ (1)

وقال علقمة:

فَإنّـكَ لَـم تَقطَـع لُبانَـة عاشِـقٍ   بِمِثْـلِ غُـدُوٍّ أو رَواحٍ مُـؤَوِّبِ (2)

ثم تتشابه القصيدتان تشابهاً كثيراً وما هذا المذكور إلا دليل على ذلك المتروك. (3)

ولذلك فإن بعض العلماء إذا أرادوا أن يتحاشوا الاتهام بالسرقة قالوا:(يشبه أو مثل) فمثلاً :

في الموازنة تجد في موضوع (سرقات أبي تمام) قول الآمدي: ((ومما يشبه قول أبي تمام:

بيومٍ كطول الدهر في عرض مثله

أو يقاربه،قول الكميت يصف عدد قوم بالكثرة :

كالليل،لا،بل،يضعفون   عليه من باد وحاضر (4)

وقريب منه قوله في(سرقات البحتري):((وقال البحتري:

محركاً رأسه توهمه   من عطسةٍ قائماً على شرف

يشبه قول الآخر :

كأن أب السمي إذا تغنى   يحاكي عاطساً في عين شمس)) (5)

وكأن كلمة (يشبه) تقال في مثل هذا , عندما لا يمكن الحكم بالسرقة ,أو عند الرغبة في تحاشي توجيه الاتهام بالسرقة.

---

(1) يقول:إذا بعدت ممن تهوى سلوت عنه ,وانقطعت لبانتك من السفر,والمؤوب من التأويب,وهو أن يسير النهار كله حتى يثوب صاحبه مع الليل فينزل ويستريح. الديوان ص44.

(2) ديوان علقمة ص:12.

(3) ولا يعني هذا وثوقي بهذه القصة ,فإنه قد دار حولها الكثير من الكلام بين النقاد ,واستسقطها بعضهم ,والعجب كيف أن امرأ القيس لم يشر من قريب أو بعيد في القصة إلى أن علقمة كان يحذو حذوه القذة بالقذة؛ لأنه المبتدئ في الكلام ,وأن ما جاء به علقمة من بعد إنما هو فيه عيال على امرئ القيس,إلا إن كان الرجلان لا يعدّان مثل هذا سرقة أو عملاً ذميماً,ثم إن أبيات امرئ القيس يمكن لجازم أن يجزم بصحة نسبتها إليه لا عن طريق الرواية فحسب, ولكن عن طريق إشباهها لشعره,وهذا ما أنا متأكد منه وأجزم به في هذا البحث,في حين أنك لا تضع يدك على بيت واحد في قصيدة علقمة له مشابه من شعره,ولقارئ أن يقرأ.

(4) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري،للآمدي، جـ1 ص202 .

(5) السابق جـ1 ص317 وموضع آخر ج1ص:452.

وهذا المرزوقي في شرحه حماسة أبي تمام عندما شرح قول الشاعر :

يــزاحم فــي المــآدب كــل عبــدٍ   ولـيس لـدى الحفـاظ بـذي زحـام

قال: ((وقوله: (يزاحم في المآدب) يشبه قول عويف :

ألسـتم أقـل النـاس عنـد لـوائهم   وأكثـرهم عنـد الذبيحـة والقـدرِ

وإن كان زاد عليه لما جعل مزاحمته على الطعام مع العبيد)) (1)

ونجد في كتاب الأشباه والنظائر مثل هذا عندما ذكر قول القائل:

إذا هبت الأرواح من نحو جانــب   بـه آل مـي هـاج وجدي هبوبهــا
قريبــة عهــد بالحبيــب وإنمــا   هوى كل نفس حيث كـان حبيبها

حيث قال: ((قيل قوله يشبه قول المجنون :

ألا يـا صـبا نجـدٍ متـى هجـت مـن   لقـد زادنـي مسـراك وجـداً علـى

وهذان المعنيان في أشعارهم كثير جداً)). (2)

وفي طبقات ابن المعتز – أيضاً - نجد قوله في العباس بن الأحنف وكان حفيّاً به في ترجمته : ((ومما يستحسن قوله-يعني العباس ابن الأحنف - :

لــو كنــت عاتبــة لسـكّن لـوعتي   أملـي رضـاك وزرت غيـر مراقبِ
لكـن مللـت فلـم تكـن لـي حيلـة   صد الملول خلاف صــد العاتب
مـا ضـر مـن قطـع الرجـاء ببخلـه   لــو كــان عللنـــي بوعـد كـاذب

وهذا المعنى يشبه قول الشاعر :

أمنّيتـــي فهـــل لـــك أن تـــردي   حيـــاتي مـــن مقالـــك بـــالغرور
أرى حبيـــك ينمـــي كـــل يـــوم   وجورك في الهوى عدلاً فجوري(3)))

---

(1) شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، تحقيق،غريد الشيخ،ط الأولى دار الكتب العلمية ،بيروت،1424هـ جـ3 ص1071 .

(2) الأشباه والنظائر,للخالديين,تحقيق د/السيد محمد يوسف,ط لجنة التأليف والترجمة والنشر,القاهرة,1958م,جـ1ص 82-83

(3) طبقات الشعراء لابن المعتز،ص:256.

هذا الذي سبق كله في بيان أن التشابه الذي يقع في كلام شاعرين قد يكون هو العلامة المغرية بالقول بأن اللاحق سرق السابق,ومن تحرّج من ادعاء العلم بالغيب ,وآثر ألا يرمي بالبهتان استخدم كلمة (يشبه) التي جعلها مخرجا يخرج به من هذا الأمر.

ولكن السؤال الأهم ,ماذا لو كان هذا التشابه في شعر شاعر واحد كمثل هذا الذي بين يدينا .

أيقال عنه سرقة ؟

أيمكن أن يصح إطلاق اسم السرقة عليه؟

إذا كان بعض المتحرزين قد آثر ألا يرمي بالسرقة جزافاً ,وآثر أن يستخدم مكانها (التشابه) مع أن هذا في شعر شاعرين مختلفين فكيف إذا كانت هذه الظاهرة موجودة في شعر شاعر واحد ,أظنها بعيدة كل البعد عن الإمكان أن يقال عنها (سرقة), والذي دعاني لهذا القول ما كتبه د/هدارة في ختام الفصل الرابع من كتابه الشهير (مشكلة السرقات) حين قارن بين بحوث النقاد العرب والأورُوبيين في السرقات وقال: ((وعلى الرغم من كثرة أنواع السرقات في النقد العربي،تلك التي حصر فيها الحاتمي تسعة عشر نوعاً،وعد فيها ابن رشيق ستة عشر نوعاً وأوصلها ابن وكيع إلى عشرين فإننا لا نجد من بينها نوعاً استخرجه النقاد الأوروبيون وسموه بـــ(السرقة الشخصية)(self plagiarism) , وهم يقصدون بها:((تكرار الشاعر لأفكاره وعباراته وصوره الشعرية من قصيدة لأخرى. ..ولاشك أن هذا النوع يكمل دراسة المعاني التي هي عماد مشكلة السرقات)) . (1)

والحق الذي لا مراء فيه أن هذا النوع الذي قال إنهم استخرجوه ولم يجده بين أنواع السرقة،قد استخرجه العلماء والنقاد العرب من قبل أن يستخرجه نظراؤهم الغربيون،وكتاب الطوفي البغدادي يقوم في أساسه وصلب مادته على ما فسر به مصطلحهم بأنه:تكرار الشاعر لأفكاره وعباراته وصوره الشعرية من قصيده لأخرى .

والحق أيضاً أنّ استقراءنا الناقص لتراث علمائنا ومنجزات أمتنا قد تجعلنا نهضم حقنا وحقهم كثيراً,بل ونبخسهم أمراً هو من صميم اكتشافهم وإنتاجهم.

ولست ألوم د/مصطفى هدارة على ما قال ؛لأن هذا ما أداه إليه استقراؤه لما بين يديه من المصادر،ولا سميا أن كتاب الطوفي (موائد الحيس في فوائد امرئ القيس) كانت

(1) مشكلة السرقات ص 268،وذكرها في الخاتمة وقال (نعني أن الشاعر يكرر معانيه من قصيده لأخرى) ص307 .

أولـى طباعاتـه عـام 1414هـ, وأيضـاً فـإن الترجمـة الحرفيـة لمصـطلح (self) plagiarism بـ(السرقة الشخصية) يحمل الكثير من التناقض ذلـك التنـاقض الـذي لا يسهل إمكانية وجود هذه المصطلح أو قريباً منه في هذا الحقل من الدراسـات النقديـة عند العرب،إذ يستحيل أن يسرق الإنسان نفسه , وتعريفات السرقة في الثقافة و الفكر العربـي كلهـا تشير إلـى أن مـن يسـرق إنمـا يأخـذ شيئاً لـيس لـه،فهي بهـذا المفهـوم لا تخطر علـى ذهن العربـي , وربمـا يخطـر ببالـه مـا هـو قريـب منهـا ولـيس بإياهـا مثـل (التكرار والمتشابه) خاصة وأنها عند شاعر واحد .

وهنا يظهر جواب سؤال :لـمَ لـمْ يعد العلماء والنقاد العرب (المتشابه) من السرقة؟ وكيف غضّوا الطرف عنه في باب السرقات؟

وذلك ؛لأن مصطلح ((السـرقة الشخصـية))لا يتـواءم مـع طريقـة تفكيـرهم وفهمهـم للسرقة .

وهنا أثبتُ أن علماء ونقاد العرب قد أحاطوا من قبل بمفهوم السرقة الشخصية أو مـا ترجمتـه السـرقة الشخصـية ولكنهم أسموه بالمتشـابه ليتـواءم بـذلك مـع الإطـار العـام للغتهم وثقافتهم .

وحينها لا يتصور أن يقول الأعلم الشنتمري مثلاً عندما أشار إلـى المتشـابه مـن شـعر امرئ القيس بدل (وهو يشبه قوله) أن يقول: (وهو قد سرق قول نفسه).

وإن كنـت أظـن أن ترجمـة مصـطلح (self plagiarism)بالسـرقة الشخصـية تحمـل تناقضاً حتى في اللغة الإنجليزية ؛لأن هذا الفهم إنساني بالدرجة الأولى,ولا أظـن أنـك تجد أمة تتقبل مفهوم السرقة الشخصية .

وقد رأيت أنه من الواجب والمناسب أن تقال هذه الكلمة في هذا المكان والله أعلم .

ونخلص في هذا المبحث إلى:

أنّ التشابه كان وما زال العلامة المغرية بالقول بوجود سرقة ما،والأمثلـة علـى هذا كثيرة ،في حين أنه لا ينبغي أن توجه الجهود إلى قضية السرقة والسـارق والمسروق من دون أن يكون هنـاك بحث مثمر عن الفائدة التـي يمكـن أن تجنـى لـو أغضـي عـن هـذه القضـية وبحثـت بحثـا مثمـراً تحـت مسـمى التشابه,وعلى كل فمن هنا تظهر علاقة السرقة بالتشابه كـون التشـابه علامـة السرقة الظـاهرة , كمـا ينبغـي القـول أن هنـاك مـن الأمـور مـا يجعـل وجـود التشابه أمراً لا مفرّمنه.

وأن ما أسماه د/هدارة (بالسرقة الشخصية) (self plagiarism) قد عرفة علماء ونقاد العرب قبل أن يعرفه الغربيون من خلال كتاب الطوفي البغدادي ت المتوفى عام 716هـ والمعنون بـ ((موائد الحيس في فوائد امرئ القيس)) .

كما أن تسميته المعرّبة قد تكون وقفت حائلاً يصد من يريد التعرف عليه من الدارسين المحدثين نظراً لتناقضها الظاهر.

وأن العرب لا يعدون ما ذكره الدكتور مفهوما للسرقة الشخصية من هذا الباب - أعني باب السرقة- ؛ لأنه يتعارض مع مفهومهم لما أسموه بالسرقات ,وكانوا قد استعاضوا باسمي (التكرار أو التشابه) لمضمون ما قال أن النقاد الغربيين قد فطنوا له في حين لم يفطن له نظراؤهم من نقاد العربية.

المبحث الرابع/

المتشابه والتناص

المبحث الرابع / المتشابه والتناص.*

موضوع المتشابه يتماسّ في جزء منه مع قضية (التناص) ,وبالأخص في جزء منها,فقد حاولت أن أمسّ منها ما رأيت أنه لا غنى عنه لمن أراد أن يتعرف على العلاقة التي تجمع المتشابه به,فاكتفيت منها بما يلمّ بأصولها, ويجلي علاقاتها, فيما نحن بصدده.

وفي معجم مقاييس اللغة :النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء,ومنه قولهم :نص الحديث إلى فلان رفعه إليه ,والنص في السير :أرْفَعُهُ... ونص كل شيء منتهاه. (1)

هذا في اللّغة ,إلا أن هذا المصطلح قد أخذ في تشكيل وبلورة كيان خاص جذب إليه الكثيرين ,حتى أصبحت هذه الكلمة مفتاحاً لباب يفتح على نوع من الدرس النقدي الحديث, غربي الأصل والنشأة ,وكما هي الحال في ضبابية هذا النوع من المصطلحات من ناحية ,وما يكتنف كل مصطلح جديد من اضطراب, يحد من استمرارية هذا الاضطراب الوقت من ناحية أخرى , فقد تكاثرت التعريفات لهذا المصطلح والتي تكاد أن تكون متقاربة ,وليس البحث في مثل هذا عن قريب أو بعيد, بقدر ما البحث فيها عن حدّ علمي يفصل ويميز, ويمنع الخلط والالتباس, ويمنع دخول ما ليس من الموضوع فيه ,وظني أن هذا يحتاج إلى مدة زمنية طويلة ,يقر فيه المتحرك ,ويسكن المضطرب,والزمن كفيل بهذا. (2)
وعلى كل حال فمن تلك التعريفات التي حاولت أن تعرف مصطلح التناص تعريف قال إنه :
((مجموعة من آليات الإنتاج الكتابي لنص ما,تحصل بصورة واعية أو لا واعية بتفاعله مع نصوص سابقة عليه ,أو متزامنة معه)). (3)

---

* تنبيه :ذكرت في هذا المبحث قضية التكرار و قضية السرقات ولكن بالتماس مع التناص ؛لأنه يمد إليهما بغير قليل من الأطناب,ولم يك هذا من قبيل الغفلة أو النسيان أو الرغبة في الإطناب .

(1) معجم مقاييس اللغة ,ج5,ص:356-357,ولسان العرب(نصص).

(2) ينظر: التناص النظرية والممارسة,د/مصطفى بيومي,ط الأولى ,نادي الرياض الأدبي,1431هـ,2010م,ص 17 وما بعدها.

(3) بحث(التراث بين الأصالة والمعاصرة) د/نور الهدى لوشن,مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها,ج15, عدد26,صفر1424هـ,ص:1022.

وعلى هذا ((فالشاعر ليس إلا معيداً لإنتاج سابق في حدود من الحرية سواء أكان ذلك الإنتاج لنفسه أو لغيره)) (1),وانطلاقاً من تعريف التناص السابق وهذه المقولة النقدية نجد الدكتور/عبد الملك مرتاض ,يعقد المقالة السادسة من دراسته للسبع المعلقات باسم (الناصية والتناصية قي المعلقات) وحاول أن يقسّم وأن يسمّي ما ظهر له من أنواع التناصات تلك , فوضع نوعاً سماه (التناص اللفظي) , وجعل له قبيلاً سماه(التناص المضموني), ثم جعل نوعاً ثالثاً سماه (التناص النسجي) ,وفي شأن هذا الأخير فقد اعترف أنه يمتدّ حتى يمكن أن يلامس أو يعبر حيز التناص المضموني.

إلا أنه أيضاً- فيما أظن- يلمّ بـ(التناص اللفظي) أيضاً فحين مثّل بقول امرئ القيس اتضح هذا,فقوله:

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيَّهُم	يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَمَّلِ

وبيت طرفة :

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيَّهُم	يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَلّدِ

يدخلان ضمن التناص (اللفظي والمضموني والنسجي) مما يجعل هذه التقسيمات التي ذكرها غير محددة تحديداً يمنع من التداخل والالتباس.

مروراً بالنوع الرابع من تلك التناصات, والذي هو شديد المساس بموضوع درسنا(2), وكان الدكتور مرتاض قد أسماه (التناص الذاتي) وكان شديد الذكاء حين نفى أن تكون لديه الرغبة في صياغة اصطلاح كهذا ليلتزم به الآخرون, فصرح بقوله: ((لا نريد أن نحمل الناس أن يتفقوا معنا في تقبل صياغة هذا المصطلح الذي يمكن أن يتناول مضمونه تحت مضمون آخر , أو حتى تحت عنوانات أخراة)). (3)

ولكن ماذا يقصد د/ مرتاض بمضمون ما أسماه (التناص الذاتي) ؟

أجاب عن هذا بقوله: ((نقصد به إلى هذا التكرار الذي يحدث لدى ناص واحد،عبر قصيدته أو قصائده،من حيث يشعر أو من حيث لايشعر)). (4)

وحين يقف القارئ على هذين السطرين من كلام د/ مرتاض تتوارد إلى عقله مصطلحات(متشابه الألفاظ) و(متشابه المعاني) عند الطوفي ,و (تكرار المعاني)عند

---

(1) نقلا عن (التناص في الخطاب النقدي والبلاغي,د/عبد القادر بقشي, ط أفريقيا الشرق 2007م,الدار البيضاء,ص: 27).

(2) السبع المعلقات,(مقاربة سيماوية - أنتروبولوجية لنصوصها),د/عبد الملك مرتاض,منشورات اتحاد الكتاب العرب,1998م,ص185 وما بعدها.

(3) السابق ص:211.

(4) السابق ص 211 .

ابن رشيق ،(والتصرف و الاقتدار) عند ابن أبـي الإصبع و(السرقة الشخصية) كما في تعريب الدكتور هدارة,وإذا كان الطوفي سمّاه بالمتشابه ,وعلّل سبب وجوده في شعر الشاعر باتحاد المواضيع والتفنن, وإذا كان ابن رشيق عدّ نفسه أول من اهتدى إلى تكرار المعاني في شعر امرئ القيس ,وأوّل من سبق إليه ,ونبّه عليه,ولم يعلل له. وإذا كان ابن أبـي الإصبع تناول هذا المضمون تحت مسميين جديدين له, وأوضح سبب حصوله, وبين دلالته في تمكن الشاعر واقتداره على تصريف الكلام .

وإذا كان د/هدارة لم يتطرق لمضمون ما الحديث فيه بشيء من هذه التعليلات .

فإن د/ مرتاض قد حاول أن يعلّل لهذا الأمر وأن يبين دلالته فقال: ((يدل مثل هذا الصنيع على الاحترافية النسجية أو على ما يمكن أن نطلق عليه ذلك،أي يدل على أن الشاعر لكثرة ما نسج من نسوج كلامية تكون لديه ما يشبه الأسلوب الذي يلازمه ولا يزايله,ويفارقه ولا يفارقه)). (1)

فهناك تفنن في رأي الطوفي,وتصرّف واقتدار في رأي ابن أبـي الإصبع المصري,واحترافية نسجية في رؤية الدكتور/مرتاض.

وتعليلا الطوفي وابن أبي الإصبع يدلان على أنّ هذا التفنن أو التصرّف صادرٌ عن وعي وإرادة وإدراك لما الشاعر يفعله ,وهي رغبته في التفنن والتصرّف,أما تعليل الدكتور مرتاض فيُفهم منه ,أنّ ما يحدث من هذا إنما يحدثُ بطريقة لا يلزم فيها الوعي التامّ من قبل الشاعر في أنّ ما يقوم به في تلك اللحظة هو احترافية نسجية,فقد أصبح الأمر عنده طريقة كلام ,وأسلوب تعبير,يتمّ من دون وعي جزْياً منه على عادته الشعرية, أو سنّته البيانية,التي تأكّدت لديه لكثرة ما نسج على منوالها من نسوج كلامية,ومن هنا يفترق التعليلان,حتى ولكأنّ هذا التعليل صادر أيضاً عن الرؤية النقدية العامة للتناص في كونه إنما يكون ويصدر في حالة إبداعيةٍ غير واعية – غالباً- .

ثم شرع الدكتور مرتاض في بيان ما وجده في معلقة امرئ القيس (2)من (تناص ذاتي) وذكر منها خمس تناصات ,منها ما يفترق حتى لا يكاد يتفق إلا في كلمة واحدة, مثل قوله في المعلقة:

---

(1) السابق ص211- 212 .

(2) يقول الدكتور /مرتاض في حديثه عن مطلع المعلقة (والذي يعنينا أن امرأ القيس لم يكن في بكائه الأطلال ناصّاً ولكنه هو أيضاً متناص مع ابن حمام*, الذي فيما يبدو كان متناصاً مع شعراء بادوا)(ص193).

وذلك عندما ذكر قوله :(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

ويــــوم عقـــرت للعـــذارى مطيتــــــــــــــــــــــي

وقوله:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة [1]

وذكر غيرها من التناصات في المعلقة.

ومنها ما يتطابق ويتفق حتى لا يكاد يفترق إلا بكلمة واحدة ,ولكن ليس في المعلقة نفسها,حيث قال: ((إذا جاوزنا إطار المعلّقات ألفينا امرأ القيس يتناص مع نفسه مروراً مختلفات ,مثل تناصّه التالي:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان)) [2]

وهذا هو ما يدور حوله الكلام,وإن كان تمثيله الذي ذكر يدخل تحت النوع المسمّى بـ(متشابه الألفاظ), ودرسها وأمثالها عدد من الأساتذة .

ويقرر أن التناصات الذاتية ((لم تحدث على مستوى المضمون فقط, ولكنها وقعت على مستوى النسج اللفظي نفسه)). [1]

وبالنظر إلى تعريف الدكتور (للتناص الذاتي) ودلالات وجوده عند شاعر ما,وهو أنه (لكثرة ما نسج من نسوج كلامية تكون لديه ما يشبه الأسلوب الذي يلازمه ولايزايله,ويفارقه ولا يفارقه)(ص212). فإنه يمكن القول بناء على ما قدمه الدكتور مرتاض:

أن قول امرئ القيس في المعلقة:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقوله في الأخرى:

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان

نسج خاص به يلازمه ولا يزايله,يبعد أن يكون فيه متناصاً مع غيره؛لأنه من نسوجه الكلامية التي استمرأ القول عليها وألفها,ويبعد - في ظني - أن يكون هذا من كلام غيره ثم هو يكرره وكأنه من كلامه الذي ألفه.

* في الديوان :(ابن خذام: رجل ذكر الديار قبل امرئ القيس,وبكى عليها.ويروى(ابن حذام),و(ابن حمام).) الديوان: ص 114.

(1) السبع المعلقات ,د/ عبد الملك مرتاض ص:212. .

(2) السابق نفسه.

وعلق على هذه الأخيرة - تناصة :قفا نبك من ذكرى حبيب - بقوله:((إنها تجر وراءها شبكة معقدة ومتداخلة من التناصات الواقعة من حول:الوقوف والبكاء والذكرى والحبيب,وهي أغنى التناصات وأكثرها تشابكاً مع سوائها,وتأثيراً في غيرها من العصور اللاحقة)) [2]
وهنا نلاحظ أن مثاله الأول لما كان داخل المعلقة من تناصات يكاد يكون قريباً مما أسماه ابن رشيق(تكرار المعاني) ؛لأنه من نفس القصيدة كما أن ما أشار إليه ابن رشيق من نفس القصيدة أيضاً,ثم يبقى الاختلاف في أن ما عناه الدكتور /مرتاض كان في لفظة واحدة هي (اليوم) وما أراده
ابن رشيق كان مختصاً بالمعاني أي: (الأغراض).
ولكن ما علاقة التناص بالتكرار في هذه الرؤية ؟
تجلت إجابة هذا السؤال عندما ذكر الدكتور أن الشاعر لبيد بن ربيعه[3]،قد تناص مع نفسه عبر معلقته خمس مرات بعبارة واحده دون تغيير ولا تبديل وهي: (حتى إذا...) في أبيات خمسه منها:

- حَتّى إذا اِنحَسَرَ الظَلامُ وَأَسفَرَت
- حَتّى إذا يَئِسَت وَأَسحَقَ حالِقٌ
- حَتّى إذا يَئِسَ الرُماةُ

ثم قال: ((ولمعترض أن يعد مثل عبارات لبيد في باب التكرار،لا في باب التناص)). [4]

وللإجابة عن ذلك الاعتراض يؤكد د/مرتاض: ((أن التناص في حقيقة شكله وجوهره ليس إلا تكراراً أو ضرباً من التكرار:إما بلفظه ،وإما بنسجه ،وإما بمعناه ،وإما بهما جميعاً،...وفي كل الأطوار لا يستطيع أن يمرق - يعني التناص- من جلده،ولا أن يتنكر لوضعه، فيخرج عن دائرة التكرار،بالمفهوم التقليدي لتجليات الكلام)) [5]
ولكنه أضرب عن مصطلح التكرار لما فيه من تهجين المتناص ،وجعل عمله عملاً لا يؤبه له كونه معادا مكروراً،قال: ((تجنبنا متعمدين ،اصطناع التكرار لما فيه من إساءة إلى الناصين والمتناصين معاً)). [6]

---

(1) السابق نفسه.
(2) السابق نفسه.
(3) والسبب الذي جعله يشير إلى هذا عند حديثه عن معلقة لبيد هو أن جميع ما ذكر من تناصاته, كان وجوده في قصيدة واحدة هي معلّقته ,ولعله لم يجد عند باقي المعلقاتيين مثل ماوجد عنده.
(4) السابق,ص:213.
(5) السابق نفسه .
(6) السابق نفسه .

ثمّ ماذا عن السرقة ؟ألا يمكن أن تدخل في هذا الجانب؟
يقول: ((لو حق لنا أن ...نطلق معنى السرقة على هذ الضرب من النسج -يقصد تناصات لبيد - لقلنا :إن لبيد هنا سرق من نفسه،وسطا على حر نسج شعره)) (1)
ولكن ما سبب عدم إطلاق اسم السرقة على هذا الضرب؟
يعزو الدكتور سبب ابتعاد الحداثيين - كما قال - وتحاشيهم لمصطلح (السرقة) لأمور منها:
ما في معنى السرقة من إدانة أخلاقية للأديب, وما فيها من يقينية الحكم باطلاع الآخر على قول الأول , وهو أمر غير ثابت بالدليل القطعي (2).
وهذا فيه رد على عدم استخدام مصطلح السرقة (فيما تشابه من أقوال الشعراء),لكن ما القول فيما تشابه من قول الشاعر نفسه؟
الذي قال فيه(إن الشاعر سرق نفسه).
وبالتأكيد فإنه أمر لا تقبل ولا يمكن أن تفهم تسميته بالسرقة ,مادام الشاعر يأخذ من قوله لا من قول غيره.!وقد سبق الحديث عن هذا. (3)
وختاماً فإنه ينبغي القول:
إن (التناص الذاتي) كما أسماه د/ عبد الملك مرتاض مصطلح ينطبق على المضمون الذي وضعه سمة له ،كما أنه يحمل عموماً وتفصيلات وتقسيمات داخليه لا يتوصل إليها إلا بالتخصيص على مستوى(المضمون) و(النسج اللفظي) على حد قوله . (4)فيقال مثلا : تناص ذاتي مضموني ,وتناص ذاتي لفظي.

---

(1) السابق نفسه .
(2) السابق نفسه .
(3) بين أحد الباحثين الفروق الأساسية التي تقع بين السرقة والتناص عل ثلاثة مستويات:
المستوى الأول: مستوى المنهج.
المستوى الثاني: مستوى القيمة.
المستوى الثالث: مستوى القصدية. أما مستوى المنهج فتعتمد السرقة المنهج التاريخي التأثري والسبق الزمني, فالأول هو الأول المبدع, واللاحق هو السارق, والمقلد.
بينما يعتمد التناص على المنهج الوظيفي ولا يهتم كثيرا بالنص الغائب.
وأما مستوى القيمة فناقد السرقة الأدبية إنما يسعى لاستنكار عمل السارق وإدانته،في حين أن ناقد التناص يقصد إظهار البعد الإبداعي في الإنتاج.
وأما مستوى القصدية,ففي السرقة تكون العملية القصدية واعية بينما في التناص تكون لا واعية.
نقلا عن (التناص في الخطاب النقدي والبلاغي)عبد القادر بقشي ص 49-50.
(4) السبع المعلقات ص 212 .

كما أن هذا الاسم الذي وضعه يشكل مفتاحاً أو صورة لما يمكن أن تكون عليه الدراسة الموسومة بهذا الاسم ،أو رمزاً يفهم منه ما سيكون نوع الدرس المطروح ,ومن أي باب سيطرق ,وهو بهذا لا إشكال فيه عند أصحابه .

أما استخدام مصطلحي (متشابه المعاني) أو (متشابه الألفاظ) ,فهو أوجز وأبين في الدلالة على المراد, كما أنه مصطلح خاص بنوع الدرس البلاغي الذي يسعى لتقديمه، وكونه مدروساً منذ القدم في (حقل الدراسات القرآنية) في جانبها البلاغي يمهد لقبوله أكثر من غيره , ما يجعل الأمر سهلاً ميسوراً من نا حية تقبّله ,لا لبس فيه ولا إشكال من ناحية تصوّره , وكذلك يجعل درا سته في الشعر إكمالاً لما بدأه الأوائل ,وسيراً على خطاهم ,بل سيكون فتحاً لباب من أبواب الدرس البلاغي في الشعر لم تنصرف إليه بعدُ جهود الباحثين في الشعر.

وإذا كان الصدوف عن استخدام كلمة التكرار لما قد يوحي به استخدامها من إساءة –كما يقول د/مرتاض – فالعزوف عن استخدام مصطلح التناص لن يكون لما فيه من إساءة، ولكن لما ينطق به من بعد عن حقل الدراسات البلاغية والنقدية العربية ,خاصة في شعرها القديم,فإنه ينبغي لدارس شعر العرب أن ينطلق من منجزات علماء العرب ومناهجهم التي وضعوها لدراسة شعرهم ,ولعل الحديث عن الثمرة التي تجنى من كل دراسة هي مرجّحة الموازين,وأعني هنا الموازنة بين الثمرة التي تخرج من الدرسين على حد سواء.

وعلى كل حال فدراسة المتشابه تتوجه إلى المادة الأساسية ؛لتوازن بين المتشابهات من حيث الجودة والصنعة ,ولتكشف عما هو أدخل في الشعرية من غيره ,وهذا أهم ما في الأمر,لذلك فإن ثمرة أبحاث المتشابه أينع ,ونتائجها أعمق, ومن هنا ولكل ما سبق فإنني أدعو إلى جعل واستخدام مصطلح (المتشابه) بديلاً لمصطلح (التناص الذاتي).

***

ويشتمل القسم الثاني على :

- تمهيد

- الفصل الأول/متشابه المعاني في الغزل.

- الفصل الثاني/متشابه المعاني في وصف الفرس.

- تمه

يدرس القس ... ابه المعاني),
وذلك في ... اللَّهج بهما ,
وهما يتمحو

الأول/ المرأة والتغزل بها.
الآخر / الفرس ووصفها .

وهما أكثر ما اعتنى به امرؤ القيس في شعره ,وقلّما تجد له قصيدةً خاليةً من الأمرين معاً,أو أحدهما على الأقلّ,بل إنه ليمكن القول :إنه لم تخل منهما طويلةٌ من طواله ,وقلّما خلت منهما قصاره.

والدراسة في قسمها التطبيقي جمعت عدداً من الأبيات التي تشابهت معانيها , وتأمل النفاذ من خلالها إلى عمقٍ يسمح باكتناه أسرار هذا التشابه ومعرفة دلالاته, ومعرفة الفرق بين هذه المتشابهات,وتتبنى محاولات التعليل لكل ما قد يثير سؤالاً في أحدهما أو فيهما.

وكان البحث قد ازدلف لتحقيق ما سبق في الأبيات المتشابهة بأمور كان يأمل أن تحقق مبتغاه,كان أولها محاولته اختيار المتشابهات نفسِها اختياراً يجلّي حقيقة هذا التشابه ,ويكشف عن مسلّمة وجوده في شعر امرئ القيس.

ثم إنه حرص على أن تكون الرواية المعتمدة في تحليل الأبيات ودراستها هي الأبيات المعتمدة في رواية الديوان ,على ما سبق القول فيه,وكذلك فإن ترتيب الأبيات في هذا البحث جاء على نسق ترتيب الأبيات في الديوان.

ثم حاولت الدراسة العودة إلى معاجم اللّغة عند الحديث عن ألفاظ كل بيت في محاولة منها لاستثارة دلالات الألفاظ واستحضارها عند التحليل.

ثم يبدأ تحليل كل بيت من خلال استعراض سياقه,ذلك السياق الذي يبدأ بتحديد القصيدة التي البيت منها ,ثم محاولة استجلاء مقصدها العام,ثم تفكيك فصولها , ومحاولة تجذير كل فصل بربطه بالمقصد الأمّ,ثم تبيين علاقة تلك الفصول بعضها ببعض,ثم استيضاح مكان البيت في فصله ,ووشائجه التي تربطه بنصّه , وبيان مدى ارتباطه به من حيث السباق واللحاق .

ثم يبدأ العمل في تحليل كل بيت ؛للإجابة عن السؤال المهمّ : (لِمَ)؟.

فتحلل عناصر كل بيت ومكوناته بدءاً ببيان ارتباطه بسباقه ولحاقه إن كان ثمة ارتباط بحرف من حروف الربط, ثم ينظر في كلماته وتراكيبه وصوره ودلالاتها,وآراء العلماء فيه , كل ذلك بالموازنة في الآنِ نفسه مع البيت الشبيه ؛لتبيين ما بينهما من اتفاق أو افتراق,ومحاولة للإجابة عن كل سؤال قد يثار لمعرفة سرّ ووجه ذلك

الاختلاف أو الائتلاف ,مع الإشارة إلى القضايا الفنّيّة في كل بيت , ومحاولة الموازنة بينه وبين شبيهه,والإلماح إلى إيهما حاز قصب السبق في مضمار الإجادة,وإن كان ثمة خلافات في تحديد الدلالات المرادة ,فإن البحث كان يحاول - وهو متقلّدٌ حججه - أن يرجّح أو يصحّح,أو يدلّل ويوثق,كل ما كان من شأنه بسبيل.

الفصل الأول/

متشابه المعاني في الغزل

قال امرؤ القيس: (1)

فَفاضَـت دُمـوعُ العَـينِ مِنّـي ... عَلـى النَحـرِ حَتّـى بَـلَّ دَمعِـيَ (2)

وهو يشبه قوله: (3)

فَسَـحَّت دُمـوعي فـي الـرِداءِ ... كُلــى مِـن شـعِيبٍ ذاتُ سَـحٍّ *(4)

البيت الأول ثـامن أبيـات المعلقـة ,وخاتمـة أبيـات المطلـع الـذي وقـف فيـه للبكـاء علـى ذكـرى الأحبـة ومنـازلهم بسـقط اللـوى..., وهـذا الرحيـل كـان دأبـاً وعـادةً لآخـرين

---

(1) الديوان: ص9.

(2) فاضت: من الفيض بمعنى الكثير والزيادة من الدمع ,والمطر والماء, والصبابة: الشوق ,وقيل :رقته وحرارته,وقيل رقة الهوى,والصب:هو العاشق المشتاق.

والمحمل هو علاقة السيف,وهو عبارة عن سير يقلده المتقلد.

ينظر: اللسان (فيض,صبب,حمل).

(3) الديوان :ص90.

(4) سح الدمع والمطر والماء :أي سال من فوق,واشتد انصبابه,والشعيب المزادة المشعوبة,والمراد:السقاء البالي.

والكلى:جليدة(تصغير جلدة) مستديرة مشدودة العروة,قد خرزت مع الأديم تحت عروة المزادة.

وكلية الإداوة: الرقعة التي تحت عروتها.

والتهتان: مطر ساعة ثم يفتر ثم يعود,وهو نحو من الديمة.

ينظر: اللسان (سحح,شعب ,كلى,هتن).

* هذان البيتان المتشابهان,من قصيدتين تشابه مطلعهما أيضاً:

فمطلع الأولى:قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل.

ومطلع الثانية:قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان.

وقد درس هذين المطلعين المتشابهين في متشابه الألفاظ - مرتبين حسب السبق - د/ دخيل الله الصحفي وعنوان بحثه (من التشابه اللفظي في شعر امرئ القيس) ص732.,. ثم د/ محمد أبو نبوت وعنوان بحثه (التراكيب المتشابهة في شعر امرئ القيس) ص1234.,ثم د/محمد أبوموسى في كتابه (الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء) ص 184.

وبيتا الدراسة المتشابهين جاءا في خاتمة أبيات المطلع في القصيدتين على حدّ سواء,وكأن هذا يشير إلى أن هناك منزعاً شعرياً أو مهيعاً خاصاً بامرئ القيس عندما يريد مثل هذه المعاني,لا تتشابه فيه المطالع فقط,ولكن تتشابه مقاطع المطالع أيضاً.

كانوا يروعونه بالرحيل مرة بعد مرة,وحينها لم يملك سوابق دمعه ,ففاضت دموع العين منه حتى بلّت محمله.

والبيت جاء عقب ما أكده من أن شفاءه مرهون بتذراف العبرات ,قال:

وَإِنَّ شِــــفائي عَبــــرَةٌ إن ســــــفحتها   **فَهَل عِنـدَ رَسـمٍ دارِسٍ مِـن مُعَـــــوَّلِ** [1] [2]

كَدينِكَ مِن أُمّ الحُوَيرِثِ قَبلَها   **وَجارَتِها أُمِّ الرَبابِ بِمَأسَلِ**

ثم قال بعدهما البيت :**ففاضت دموع العين...**

أما البيت الشبيه: **فسحت دموعي ...**

فهو من قصيدته التي مطلعها:

قِفا نَبك مِن ذِكرى حَبيبٍ وَعِرفانِ   **ورسْمٍ عفت آياتُـهُ منذُ أزمانِ** [3]

والبيت وقع في خاتمة حديثه عن الطلل,وذكرى الأحبة ,حيث تكلم عن هذا الأمر في أربعة أبيات كان رابعها بيت الدراسة,وبين فيه أنه صبَّ دموعه في ردائه صبّاً ,حتى لكأن هذه الدموع الماء الذي يسيل من المزادة,فهو يسح ويهتن شيئاً بعد شيء, وفي القصيدة معنى عام ينتظم أبياتها جميعا كان فيه الشاعر متمهلاً متأملاً قد أحسّ بدنوّ أجله, وقربه منه,مما انعكس على أبيات القصيدة,ومنها بيت الدراسة كما سيتضح هذا بعدُ إن شاء الله. [4]

وأول ما يلحظ في البيتين أنهما قد بُدِءا بالفاء العاطفة [5],أما البيت الأول فقد عطفته الفاء على ذكرى أم الحويرث وأم الرباب في قوله السابق عليه:

كَدِينِكَ مِن أَمِّ الحُوَيرِثِ قَبلَها   **وَجارَتِهـا أَمِّ الرَبـابِ بِمَأسَلِ**

وهنا نلحظ أن بكاءه في مطلع القصيدة إنما كان من ذكرى حبيب ومنزل ,ولاغرو أن يكون سبب بكائه في ختام المطلع ذكرى أم الحويرث وأم الرباب,فهما الحبيب الذي بكاه بدءاً,وما الذكرى إلا ذكراه.

---

(1) المعول من العويل و البكاء ,أو أنه من التعويل على الشيء,أي أن هذا البكاء لا يجدي شيئا. الديوان ص 9.

(2) الدين :الدأب والعادة,ومأسل اسم موضع. الديوان ص9.

(3) الديوان ص89.

(4) ينظر: (من التشابه اللفظي في شعر امرئ القيس) د/دخيل الله الصحفي.

(5) ينظر: الشعر الجاهلي,د/محمد أبوموسى ص39.

ومن العجب أن يجعل د/جودت كساب رائحة القرنفل مثيرة للشاعر جنسياً فيبكي على إثرها,في رواية غير موثقة كان قد اعتمدها .[1]

أما البيت الآخر فقد رتبت (فاؤه) سحّ الدموع على أمر سابق , وهو قوله:

ذَكَرتُ بِها الحَيَّ الجَميعَ عَقابيلَ سُقمٍ مِن ضَميرٍ[2]

وهذا يلفت إلى أن سبب سح الدموع وسكبها, هو ذكرى الأحباب,التي أدت إلى بيت الدراسة.

ومن خلال البيتين الشبيهين يتضح - بل يتأكد- أن (الذكرى) ولا شيء سواها كانت السبب في بكاء الشاعر, و كل واحد من البيتين يعضد صاحبه في هذا الأمر- وليس في الديوان المدروس ما يخالفهما -,ففي المقطعين كليهما كان المطلع في بدايته البكاء من الذكرى ,وكان ختامه تذراف الدموع بسبب الذكرى السابقة نفسها, ويتضح أيضاً أنه لا صحة لتعليل فرضي ليس عليه دليل ,كالتعليل الذي سبق ذكره في بيت المعلقة ,مع ما فيه من مخالفة صريحة للرواية الموثوقة.

ولهذا الأمر المذكورفإنه يمكن أن يقال إن هذا البيت جاء ليرد العجز على الصدر في مطلع قصيدته,كما أن بيت المعلقة كذلك.[3]

وبالعودة إلى بيت المعلقة فإنه يلحظ على الشاعر أنه لم يتمكن من لجم عبراته عندما داهمته وفاجأته, فإنها لم تستأذنه أو حتى تمكنه من أن يسفحها هو, بل فاجأته بفيضانها وازدياد دمعها الذي لم يكن ليملك له ردّاً, وهذا ما تفيده كلمة (مني) لينبه إلى أن زمامها قد خرج من يده.[4]

---

(1) رواية الديوان على غير ما ذكر ,بل إن الرواية التي بنى عليها استنتاجه لم ترد في الديوان ولا ضمن زياداته,وهذا يفسر عدم صحة الاستنتاج,فقد بني على غير أساس ,أو على أساس ولكنه غير محكم,وروايته هي:

إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محملي

ينظر:الشعر الجاهلي إشكاليات وقراءات,د/جودت كساب,ط مكتبة الرشد ناشرون 1425هـ-2004م,ص136.

(2) الجميع:المجتمعون زمن مرتبعهم,والعقابيل البقايا,ومن ضمير أي كنت أنطوي على ما بقي من سقمي لفراقهم إلى أن هيجته الدار فأظهرتُه ولم أستطع إخفاءه.

ينظر الديوان ص89.

(3) ينظر:الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى,ص: 39.

(4) ينظر:السابق,ص: 39.

وقد نقد الباقلاني هذه الكلمة من بيت امرئ القيس,وقال:إنها استعانة ضعيفة وحشو غير مليح ولا بديع.

ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق/السيد أحمد صقر,دار المعارف. ص249.

وفي البيت المشابه نجد كلمة (السحّ) والتي تقال إذا سال الدمع واشتد انصبابه والتي كأن الشاعر سحّها بطوعه واختياره ,ولا يلحظ في البيت أي إشارة إلى أن هذه الدموع قد خرجت عن طوعه واختياره خلافاً لبيت المعلقة,حيث اكتفى بالإخبار بهذا الأمر وشبّه انصبابها في الرداء برقاع مزادة بالية ينسرب منها الماء ثم يفتر ويعود.
كما أن اختياره لكلمة (السح) يبين أنه لم يُرِد أن يبالغ في وصف هذه الدموع,أو إنما أراد أن يبين حقيقتها دون زيادةٍ أو نقصان,لما في السحّ من معنى الانقطاع والعود,ولا شك أن (السحّ) بهذا المعنى يختلف كثيراً عن استخدامه لكلمة (فاض) في المعلقة ,حيث أراد أن يحملها معانٍ أخر,حيث ترى أن هذه الكلمة قد جاءت ممهدة للشطر الثاني وما فيه من مبالغة,فإذا كان الفيضان بمعنى الكثرة والزيادة,فإنه لا يحسن بعد ذلك أن يصف مجاري الدمع المعتادة, في الخدّ ,بل يجب أن يكون الجريان في مكان آخر أوسع من الخد ,ويتعدى محيطه ,ليصل إلى النحر فيتمكن من أن يبلّل محمل السيف.[1]
ثم يلحظ في بيت المعلقة ذكر امرئ القيس لمحمل السيف,وهذا يدل على أنها قيلت بالقطع في مرحلة الشباب,ولا يخلو هذا الذكر من إشارة إلى القوّة والفتوّة التي يدل بها في ذلك الوقت.
في حين أنه يفهم من تشبيهه في البيت الآخر دموعه بما انسرب من ماء المزادة يفهم أن هذه المزادة لا فائدة منها,حيث أصبحت لا تمسك الماء ولا تحفظه,لأنها بالية قديمة,قد ترمى قريباً لعدم الإفادة منها كما هي العادة في مثلها.
وهذا المعنى ملاحظ في القصيدة كلها,والتي لا تخلو أبياتها من إشارات إلى الهلاك,ودنوّ الأجل بصور مختلفة ,فأنت واجد فيها:

1- الرسم الذي عفت آياته وتقادم وبلي منذ أزمان .
2- المزادة البالية.
3- الظبي الذي اصطادته العقاب فقضى وانتهى أجله.
4- صورة الجون البادن-البعير أو الفرس- تأكله النسور والعقبان.
5- تذكر لحظات الشباب,وأيام القوة ,في مقابل لحظات الضعف والانهيار الحالي.
6- حالته وهو مرفوع على الأعواد ينتظر الموت وكأن ثيابه أكفانه.

وهذه كلها تحمل دلالات الفناء , ولكن بصور مختلفة.
وإذا كان بيت المعلقة يحمل إشارة إلى شبابه وفروسيته ,بما تحمله كلمة (محمل السيف) من دلالات,فإن هذا البيت يشير- مع ما تشير إليه الأمور السابقة - إلى

(1) ينظر:الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى,ص38وما بعدها.

حالة الضعف وعدم النفع التي هو فيها ,كما لا ينتفع ولا يفاد من السقاء البالي المشعوب.

***

وقال امرؤ القيس [1]:

فَمِثلَكِ حُبلى قَد طَرَقتُ وَمُرضِعٍ فَأَلهَيتُها عَن ذي تَمائِمَ مُغيَلِ [2]

وهو يشبه قوله[3]:

وَمِثلُكِ بَيضاءَ العَوارِضِ طَفلَةٍ لَعوبٍ تُنَسّيني إِذا قُمتُ سِربالي [4]

---

(1) الديوان: ص12.
(2) (فمثلك) مثل الشيء بالشيء سوي به وقدر تقديره(أساس البلاغة:مثل).
وفرّق في لسان العرب بين المماثلة والمساواة,وذلك أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين,لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص,أما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين, فإن قيل هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسد مسده,وإذا قيل هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة.
(طرقتُ):قيل أصل الطروق من الطرق وهو الدق,وسمي الآتي بالليل طارقاً لحاجته إلى دق الباب ,والطرق أيضا الضراب,يقال لأنثى الفحل من الإبل (طروقة) وكذلك المرأة.
و(التمائم) واحدتها تميمة وهي خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم, يتقون بها النفس والعين بزعمهم.
و(مغيل) قيل الغيل هو اللبن الذي ترضعه المرأة ولدها وهي تؤتى,وقيل أن ترضع المرأة ولدها على حبل.
ينظر: لسان العرب (مثل,طرق,تمم,غيل).
(3) الديوان" ص30.
(4) العوارض :الثنايا ,سميت عوارض لأنها في عرض الفم, وقيل ما ولي الشدقين من الأسنان,وقيل هي أربع أسنان تلي الأنياب ثم الأضراس تلي العوارض.
(الطفل) الرخص الناعم, وجارية طفلة إذا كانت رقيقة البشرة ناعمة.
(سربالي)السربال القميص,والدرع, وكل ما لبس فهو سربال.

ينظر: اللسان (عرض, طفل سربل).

أما البيت الأول فهو من معلقته, فعندما راح يعدد أيامه الصالحات مع النساء,ذكر يوم دارة جلجل,يوم أن عقر للعذارى مطيته,يوم أن دخل خدر عنيزة, وطالبته بالنزول خوفاً أن يعقر بعيرها, فقال لها: دعي الجمل يسير ولا تبعديني عما أحب:

فمثلك حبلى ...

وأول ما يلحظ في بيت المعلقة هذه الفاء في صدره والتي قال عنها التبريزي إنها مبدلة من الواو لاشتراكهما في العطف,أي إن الأصل:(ورب مثلك) ثم حذف (رب) فصارت: (ومثلك) ثم أبدل الواو فاءً فصارت:(فمثلك) [1]وذلك لأن الواو والفاء من الحروف العاطفة.

وأضاف الدكتور/محمد أبو موسى في مزيد بيان عن هذه الفاء هنا أنها عطفت علّةً على معلول [2],وبيّن أن قوله :(فمثلك حبلى...) تعليل لنهيه لها في البيت السابق, حين قال :

فَقُلتُ لَها سيري وَأَرخي زِمامَهُ ... وَلا تُبعِديني مِن جَناكِ المُعَلَّلِ [3]

ومراده التكثير, لأنه بصدد تعداد ما يجعل إبعادها إياه غريباً, وبدأ بالحبلى, التي أكد طروقه لها ليلاً بدخول (قد) على الفعل الماضي, إفادة للتحقيق,وأنه أمر وقع وانقضى.

ولا يغفل عن الضمير المتصل بالفعل (طرق) والذي هو مضمر مع فعله بعد قوله :(ومرضع) والتقدير :طرقت, أي :فمثلك حبلى قد طرقت, ومرضع طرقت,وإنك لترى و تسمع روح النفاجة , والاعتداد بالذات في هذه الأفعال,ومثلهما في ذلك قوله:(فألهيتها).

وأما تخصيصه الحبلى والمرضع دون غيرهما , فقد ذُهب فيه إلى مذهبين,فالزوزني يرى أنه :((إنما خصّ الحبلى والمرضع ؛لأنهما أزهد النساء في

---

(1) ينظر:شرح المعلقات العشر ص28.

(2) ينظر: الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى ص52.

(3) سيري: أي هوني عليك ولا تبالي: أعقر أم لم يعقر,وأراد بالجنى ما يجتني منها من القبل وغيره, والمعلل من العلل أي العود بعد العود.
ينظر الديوان ص12.

الرجال, وأقلهن شغفا بهم وحرصاً عليهم)) وقال به الباقلاني والدكتور أبو موسى.[1]

وجمع آخرون بين زهد من ذكر في الرجال, وبين إدلاله بجماله ووسامته, ومنهم التبريزي حيث قال: والمعنى ((أن الحامل والمرضع لا تكادان ترغبان في الرجال وهما ترغبان فيّ لجمالي)) ,وقال بهذا أيضا ابن الأنباري والبطليوسي.[2].

والملاحظ أن هذا الرأي الأخير كأن فيه تكملة وزيادة على الرأي الأول,فهما يشتركان في أن من ذكر لا رغبة لديهن في الرجال,إلا أن هذا الأخير تضمّن تعليلاً حسناً,خلي منه الرأي الأول.

وهذا السعي منه ,بالتكثير مرةً , وبالتخصيص مرة أخرى كله لإيصال معنى (ألهيتها) إليها ,وليقول لها: إنني أتيت حبلى أو مرضعاً و غلبتها على نفسها,حتى لهيت عن ولدها[3]فإذا ألهيت هذه وأصبيتها,ألا ألهيك وأصبيك أنت؟!

كما قال التبريزي:(ينفّق نفسه عليها) [4].

وخصّ الصبي ذي التمائم بالذكر ؛ لأن ((تعلق الأم بذي التمائم تعلق لا يعدله شيء , وأنها - أي الأم- لا يصرفها عنه شيء,وأن ذا التمائم هذا يصرفها عن كل شيء)) [5].

إذاً فلتعلق هذه المرأة بامرئ القيس ,قد لهيت عن كل شيء,حتى عن ولدها الصغير مع شدِّ محبتها له, وانصرافها إليه,وهذا غريب, وأغرب منه أن يكون هذا الولد مغيلاً,أي عليلاً, فإنّ((ذلك اللبن داء)). [6]

وكل هذا يوحي بمعنى: أنني أتيت نساءً كثيراتٍ,ذوات أشغال و تعلقات أخر, فألهيتهن حتى عن أبنائهن الصغار الضعاف,فكيف لك أنت يا عنيزة,أن تمتنعي مني,أو أن أذهب عنك ,أو لا ترغبين في :((وهو هنا يتهكم من تأبيها وامتناعها عليه)) [7]بعد أن ذكر ما ذكر في البيت؛((لأن عنيزة في هذا الوقت كانت عذراء, غير حبلى ولا مرضع)) [8], ولا يفهم من البيت أن عنيزة ((كانت حبلى أو مرضع, ولكنها تمنّعت عليه,فقال هذا على نوع من التحدي والشغب

---

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني تحقيق /محمد القاضي,ط المكتبة العصرية, ص:20 ,وإعجاز القرآن للباقلاني ص254,والشعر الجاهلي د/أبو موسى ص52.

(2) شرح المعلقات العشر للتبريزي, ص 29,وشرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ص40, وشرح الأشعار الستة الجاهلية للوزير البطليوسي ص78.

(3) ينظر:شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات,لابن الأنباري ص40.

(4) شرح المعلقات العشر,ص29.

(5) الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى, ص52-53.

(6) شرح البطليوسي,ص78.

(7) التشبيه عند امرئ القيس,د/محمد شادي,رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الأزهر,كلية اللغة العربية بالمنصورة قسم البلاغة والنقد. 1400هـ -1980م, مخطوط,ص152.

(8) شرح المعلقات السبع,للزوزني, ص21.

والفحولة)) [1]؛ بسبب كونها عذراء وتصدّه,والأخريات حبليات ومراضع , ومع هذا شغوفات به.
وقد عاب بعض العلماء على امرئ القيس هذا البيت تحديداً ؛ لتصريحه فيه بما لا يصرح به,ووقف فيه آخرون موقفا غير ذلك.
فمن الذين عابوه لهذا محمد بن سلام الجمحي حيث قال: ((ومنهم - أي من الشعراء - من كان ينعى على نفسه ويتعهر,منهم امرؤ القيس,قال: ومثلك حبلى...)) [2]
وأيضاًًٌّ الإمام الباقلاني حيث استنكر هذا البيت ومعناه, وقال: إن ((فيه من الفحش والتفحش ما يستنكف الكريم من مثله ويأنف من ذكره)) [3].
وأيضا ابن أبي الإصبع المصري ,فقد قال : إن ((المعنى الفاحش متى عبر عنه بلفظه الموضوع له كان الكلام معيباً من جهة فحش المعنى)) [4]ونسب إلى قدامة أنه عاب امرأالقيس في قوله :فمثلك ... وسوف يأتي الحديث عن رأي قدامة.
ومنهم أيضاً المرزباني في موشحه. [5].

ومنهم ابن شرف القيرواني في كتابه (مسائل الانتقاد). [6]
أما الفريق الآخر فمنهم ابن قتيبة حيث ذكر أنه عيب عليه قوله هذا ,ثم قال:((وليس هذا عندي عيباً ؛ لأن المرضع والحبلى لا تريدان الرجال ولا ترغبان في النكاح,فإذا أصباهما وألهاهما كان لغيرهما أشدّ إصباءً وإلهاءً)). [7]
ومن قول ابن قتيبة السابق يستشفّ أنه لم يحمل كلام امرئ القيس على حقيقته ,وإنما حمله على أنه أراد به محض المبالغة,وعدّ قوله من قبيل ما يتوصل به الشاعر إلى ما يريد من المعاني البعيدة , صارفاً النظر عن الدلالات القريبة للألفاظ.
وعده من المبالغة أيضاً أبو هلال العسكري,حيث قال بعد أن ذكر البيت :((لما أراد المبالغة في وصف محبة المرأة له ,قال :إني ألهيتها عن ولدها الذي ترضعه ,لمعرفته بشغفها به ,وشفقتها عليه في حال إرضاعها إياه)). [1]

---

(1) المرشد,عبد الله الطيب,ج4 ,ق 1,ص251.
(2) طبقات فحول الشعراء ,ص41-42.
(3) إعجاز القرآن,ص255.
(4) تحرير التحبير ,ص144.
(5) الموشح للمرزباني,ط السلفية ,القاهرة,1343هـ,ص36.
(6) مسائل الانتقاد ,لابن شرف القيرواني,تحقيق د/حسن ذكري حسن ,ط مكتبة الأزهر,1403هـ - 1983م,ص114-115. ,وقد نقد د/محمد مريسي نقد الناقد, وبين أنه هنا إنما عاب خلق الشاعر ولم يعب شعره.
ينظر:الاتجاه الخلاقي في النقد العربي,ط النادي الأدبي بمكة,1409هـ,ص98.
(7) الشعر والشعراء لابن قتيبة,ص135.

فهما لم ينظرا إلى هذا الأمر على حقيقته المتبادرة وإنما استشفا منه قصده إلى المبالغة في الأمر الذي هو بصدده.
أما قدامة بن جعفر فلم يكن يعيب الشعر بسبب فحش المعنى إذا كان ذا جودة, قال:((فإني رأيت من يعيب امرأ القيس في قوله:...-[وذكر بيت الدراسة والذي يليه] - ويذكر أن هذا معنى فاحش , وليس فحاشة المعنى في نفسه ما يزيل جودة الشعر فيه,كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته)) (2).
وهذا يبين أن مذهب قدامة هو التجويد في الصنعة في أي معنى من المعاني شريفاً كان أو وضيعاً , وقال في مكان آخر :((وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة , والرفث والنزاهة, والبذخ والقناعة,...وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة)) (3).
وعلى هذا فيكون قدامة من فريق ابن قتيبة,وليس كما قال ابن أبي الإصبع,وأقر د/أبو موسى أن هذه الصورة غريبةٌ لا تخلو من قبح,ولكنه أيضاً قال:((إنه لا يمكن مطلقاً حمل هذا الكلام على ظاهره, وأنه لا معنى لهذا الكلام إلا أن الشاعر يقول :إنه لا يمتنع عني شيء أريده,وأنه إن أراد شيئاً لا ينتظر أن يعطيه من يملك هذا الشيء ,وإنما يأخذه هو بنفسه,وأنه أخذ من الحبلى ما أراد...وكل هذا تصوير مبني على ضرب من الإحساس بالتميز والاقتدار والسيطرة وغطرسة الملك أيضاً)) (4).
إذاً فالفريق الثاني ينقسم إلى قسمين:

الأول/ يرى أن مراده من قوله المبالغة فذكر ما ذكر,ولا يلزم عليه أن يكون الكلام معيباً , وهما ابن قتيبة و أبو هلال العسكري.
الثاني / يرى أن في البيت فحشاً,ولكن فحش معناه لا ينفي جودة صنعته كما يرى قدامة,كما أن قبح الصورة فيه,لا يعني أنها هي المرادة كما يرى ,د/أبو موسى.
وعلى كلٍّ ،فلأن هذه القصيدة قيلت قبل الأخرى,وكانت الأخرى بالقطع مما قيلت في وقت المشيب,فإنه يمكن القول إن الثورة والعجلة والتسرع كانت من صفاته في الوقت الذي قال فيه المعلقة,وهو وقت شبابه. (5)

---

(1) الصناعتين,ص331.
(2) نقد الشعرلقدامة بن جعفر تحقيق /كمال مصطفى, ط الثالثة مكتبة الخانجي 1398هـ,ص20-21.
(3) السابق,ص19.
(4) الشعر الجاهلي,ص52-53.
(5) ينظر: بحث (من التشابه اللفظي في شعر امرئ القيس) د/دخيل الله الصحفي.

وذلك أن بداره إلى إلقاء مثل قوله :(فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع...) ما يدل على أنه قال هذا في وقت لم يكن يهتم فيه بالمجتمع ولا بنظرته ,ولا يُعنى فيه بأعرافه ولا بتقاليده,إنه حينها لم يكن معنيّاً بأكثر من اللهو واللعب,الذي يجعله يلقي الكلام على عواهنه ,حسناً كان أو غير حسن.

على أن ادعاءه أن النساء يغازلنه ويرغبن فيه لجماله,مما يحسب عليه لا له,وذلك أنه ما عهد أن تنعكس صورة العاشق في المجتمع الجاهلي البعيد,فيصبح معشوقاً مطارداً مرغوباً فيه,ولم يحدث ذلك إلا في وقت متأخر في العصور الأدبية التالية,كما عند عمر بن أبي ربيعة وأضرابه [1] ,ولعل امرأ القيس بهذا يكون هو من فتح هذا الباب,ولكن الأوائل رغبوا عنه حتى وجد في العصور التالية من ارتضاه , واتخذه مهيعاً ودرباً, وما ذاك النفور منه إلا لأنه اختلال, وخروج عن المألوف,الأمر الذي يجعل الأذواق تنفر منه.

وإمعاناً منه في هذه الصورة المعكوسة المخالفة,أسند فعل الإلهاء إلى نفسه,فقال (ألهيتها) وفي هذا مع روح النفاجة, روح العجلة والتهور,وانعدام التصور الصحيح للأشياء ,ممّا يمكّن للقول بأنها كانت سمة مرحلة الشباب الذي قيلت فيه المعلقة,وسوف نجد الأمر مختلفاً جداً في البيت الشبيه ببيت المعلقة من القصيدة الأخرى.

وشبيهه الآخر من قصيدته التي مطلعها:

أَلا عِم صَباحاً أَيُّها الطَلَلُ البالي[2]

ووقع البيت في مفتتح المقطع الثاني الذي تكلم فيه عن سلمى ووصفها وذكر زوجها وما حصل منه

ويلحظ في هذا البيت أن هذه المرأة التي ذكرها (سلمى) امرأة مميزة ولها صفاتٌ حسنةٌ ,ولم تكن كمن ذكر من النساء في بيت المعلقة ,بل هي :بيضاء العوارض ,طفلة ,لعوب.

ولكن ما سبب ذكر هذه الحسناء؟

وما سر اختيار هذه الصفات الجميلات لها؟ والتي لربما هي صفاتها الحقيقية.

لعلّه عندما راح يتذكر أجمل أيامه ,بعد ما قالته له صاحبته (بسباسة) ,إنما تذكر ما يحسن تذكره,أو ذكره,وما يسمو به ولا يتضع,فكانت (سلمى) أحسن مثال يحسن به ذكره في مثل ذلك الموقف.

---

(1) ينظر: العصر الإسلامي,د/شوقي ضيف,ط دار المعارف,الثالثة عشرة,ص 351وما بعدها.
(2) الديوان ص27.

ثم إنه كان في سبيل تعداد مغامرات حسنة له قد خاضها للتدليل على موقفه,ونوع من البرهنة على ماضيه,وليحسن كلامه ويصح,يجب أن تكون مغامرته واقعة موقعها في طلب المرأة, الجميلة الحسناء, ولا يقبل في مثل هذا الموقف,أن يتجشم الصعاب والمشاق إلى أنصاف الجميلات,فضلاً عما دون ذلك.

وتلك الصفات الجميلات التي ذكر كلها صفات مغرية تدل على حسن وجمال ما كان يطلبه,حتى ليصحّ بعدها أن ينسى عند هذه الحسناء قميصه,وهنا يُلحظ أنها أنسته وألهته عن ذكر قميصه,وفي بيت المعلقة هو أنساها وألهاها عن صبيها,فما السبب الكامنُ يا ترى خلف هذا التحول؟

يمكن القول في هذا أنه عندما كبرت سنه اختلفت نظرته للأحداث,واتسمت رؤيته للمجتمع بالتقدير فحاول قدر الإمكان ألا يوغل فيما أوغل فيه في شبيبته, حين قال المعلقة,إلا قليلاً مما يدفع به عن نفسه الظنة,فيما اتهمته به صاحبته بسباسة.

ويلحظ أيضا النظرة المتأنية الوقور ,المتمكنة من الفهم الصحيح للأشياء,وكيف يمكن أن تبدو؟

وفي أي شكل يمكن أن تظهر؟ حتى تكون سليمة في الأفهام والأذواق.

فاختلفت تبعاً لذلك الصورة فبدلاً من أن يفقد النساء صوابهن ويلهيهن (متغزلاً بنفسه) كما في بيت المعلقة,اختلفت الصورة فصارت هذه المرأة الحسناء هي التي تسبي عقله , وتنسيه قميصه,وعادت الأمور إلى نصابها تبعاً للمرحلة التي قيلت فيها القصيدة,مبتعدةً عن فهم الأمور على طريقته في المعلقة, حيث كان الاعتداد بالذات, ومحاولة الخروج عن المألوف , ولو بالشاذ المخالف,سمةً بارزةً من سمات مرحلة الشباب الذي قيلت فيه المعلقة.

ثم إنه يلحظ في هذا البيت استخدامه لصيغة من صيغ المبالغة هي (فعول) , ولا شك أن استخدام مثل هذه الصيغة ,وخاصةً في فعل (اللعب) له وقع نفسي بالغ التأثير؛لدلالتها على الكثير من الأنس واللهو المبالغ فيه ,مع ما يتبع ذلك من ارتياح وانبساط يلاحظ في نفس تلك الموصوفة بقوله (لعوب) ,ولا ينسى ما يقترب من هذه الصيغة وهذا المعنى من كلمات قريبات منها مثل:(طروب) و(عروب) وما تختزنه النفوس من استحسان لهذه الصفات, ومن اتصفت بهن ,والتي لا غرابة في أن من تحمل بعضاً منها سوف يكون من صفاتها أنها (تنسّي) لا يقول امرؤ القيس :إنها (تنسِي), كلا ولكنها (تنسّي) بهذه الصيغة المضعّفة , دلالةً على أنها عادةٌ مستحكمةٌ فيها,إنها شيء لا يمكن الثبات أمام طغيانه,وهذا الأمر شيء يتجدّد ويحدث,فكلما كان هناك لقاء مع هذه اللعوب كان هناك تنسية منها,وأفهم من هذا التضعيف في هذا الفعل,أنها تغرقه بدلّها وتلعابها في النسيان,ثم إنه قيّد بـ(إذا) والتي تستخدم في كل ما

يقطع بوقوعه؛ ليقول إن هذه التنسية منها واقعة لا محالة,بل هي كثيرة الوقوع قطعاً؛لأنه أولاها الفعل الماضي الذي دلّ على حدوث الحدث ووقوعه وانتهائه.

وقال امرؤ القيس(1) :

أَفاطِمَ مَهلاً بَعضَ هَذا التَدَلّلِ ... وَإِن كُنتِ قَد أَزمَعتِ صَرمي فَأَجمِلي (2)

وَإِن كنت قَد ساءَتكِ مِنّي خليقَةٌ ... فَسُلّي ثِيابي مِن ثِيابِكِ تَنسُلِ (3)

وهو يشبه قوله (4):

أَماوِيَّ هَل لي عِندَكُم مِن مُعَرَّسٍ ... أَمِ الصرمَ تَختارينَ بِالوَصلِ نَيئسِ (5)

أَبيني لَنا إِنَّ الصَريمَةَ راحَةٌ ... مِنَ الشَكِّ ذي المَخلوجَةِ (6)

---

(1) الديوان: ص12-13.

(2) المهل:الرفق والتؤدة قال في اللسان:مهلاً يا فلان أي:رفقاً وسكوناً لا تعجل,وأزمعت بمعنى عزمت من المضاء في الأمر والعزم عليه,أجملي قال فيها الوزيرأبو بكر عاصم بن أيوب صاحب شرح الأشعار الستة الجاهلية إنها بمعنى:أحسني أو دعي. ينظر:ج 1, ص80 والصرم بمعنى القطيعة.

ينظر: لسان العرب لابن منظور(مهل,زمع,صرم)

(3) المساءة هي فعل ما يكره نقيض :سره,والخليقة :الخُلُق ,والسل:انتزاع الشيء وإخراجه في رفق.

(ينظر اللسان:سوأ ,خلق,سلل).

(4) الديوان ص101.

(5) المعرس :موضع التعريس,وقالوا هو النزول في آخر الليل ثم السير في الصباح,وقيل أول الليل وقيل وجه السحر,وقيل التعريس النزول في المعهد أي حينٍ كان, من ليل أو نهار , واليأس:القنوط أونقيض الرجاء.

(ينظر اللسان:عرس , يأ س).

(6) والشك:نقيض اليقين,وللخلج معان منها:التنازع والحركة والاضطراب والريبة والشك,واللبس:هو اختلاط الأمر حتى لا يعرف وجهه.

(ينظر اللسان:شكك,خلج, لبس).

قال:

أَفـاطِمَ مَهـلاً بَعضَ هَـذا التَـدَلّلِ وَإِن كُنـتِ قَـد أَزمَعـتِ صَـرمي فَـــــــــــــأَجمِلي
وَإِن كنت قَد ساءَتكِ مِنّي خليقَـةَ

ورد البيتان في المعلقة ,وذلك في سياق حديثه عن أيامه الصالحات,والتي كان منها حديثه عن يوم دارة جلجل,وحديثه مع فاطمة,ثم حديثه عن بيضة الخدر,والذي ختم به ذكرى الأيام الصالحة,أما حديثه مع فاطمة فقد كان في مقطع يتكون من أربعة أبيات[1]بدأها ببيتي الدراسة.

والأبيات تصور تصابي امرئ القيس وتولهه,وشدة ما يعاني من الكلف بفاطمة,حتى ظهر من سياق القصيدة أنها أحظى النساء عنده من بين اللواتي قد عرفهن ؛لأنه خاطبها بـ((لغة أخرى غير مألوفة لا مع التي قبل فاطمة ,ولا مع التي بعدها)). [2]

كما أنه يلحظ أن فاطمة هذه كانت كريمة عليه, فلم يقل فيها كلمة مشينة واحدة,بل إنه قد ضنّ علينا أن نسمع منها كلمة على لسانه,فقد كان هو المتحدث في كل المقطع وهي تسمع دون أن تتكلم.

وقد كان الشاعر في السياق دمث الخلق, ودود المعاشرة,بين الصبابة والكلف,قد بلغ منه الحب كل مبلغ,وفاطمة تشتد في غلوائها,وتزيد عليه في دلالها,مما جعله يستعطفها في أن تترك بعضاً من هذا الدلال , وقد قال الإمام الباقلاني في هذا الدلال :((وكيف ينكر عليها تدللها ,والمتغزل يطرب على دلال الحبيب وتدلله)) [3], والإمام يعلم أنه لم ينكر عليها تدللها كله,ولكنه أنكر منه مازاد على الحدّ,تلك الزيادة التي جعلته يظن أنها تقصد من ذلك إلى صرمه وقطيعته,وإلا لما كان هناك فائدة للتبعيض في قوله:((مهلا بعض هذا التدلل)).

ثم تمنى عليها أن تدع هذا الصرم وتتركه إن كانت قد عزمت عليه.

وقد قال الباقلاني في شطري هذا البيت:((والمصراع الثاني منقطع عن الأول,لا يلائمه ولا يوافقه.))[4]

وقد ينظر إلى أن هذا التدلّل قد زاد إلى حدٍّ جعل امرأ القيس يظن أنه بداية ما تخفيه من رغبة في صرمه, وقطع حبال وده,فجاء الشطر الثاني من البيت ملامساً لهذا الظن برفق,وموافقاً للمعنى في خفاء.

---

(1) الديوان ص12-13.
(2) الشعر الجاهلي د/محمد أبو موسى ص 56.
(3) إعجاز القرآن ص 257 .
(4) السابق :ص257.

وبين امرؤ القيس لفاطمة أنه إن كان قد ساءها منه خلق من الأخلاق- وهذا مستبعد- فما عليها إلا أن تبادر بإخراج قلبه من قلبها - وهذا مستبعد لاستبعاد الأول- ,فلما عرفت فاطمة كل هذا الحب من امرئ القيس ذرفت عيناها بالدموع, لما رأت من شدة وجده بها ,وفرط ما قابلته به من صد وإباء,فكان((أن حدثته بأبلغ مما حدثها به,ووصفت له توقاً أبلغ من توقه)) [1] ,فكانت تلك الدموع جواباً لامرئ القيس بأنها لن تصرمه ولم تسؤها منه خليقة,ولن تسل قلبه من قلبها,كما أنه حين قال لها(سُلّي ثيابي من ثيابك تنسل) لم يكن الغرض توصيف نفسه بالصبر والجلد والقوة على التهالك [2] بقدر ما أراد أن يوحي إليها بقدرتها على ما تريد من الوصال أو عدمه وأن الحكم في يديها,وأنها الآمرة الناهية في هذا الشأن.

وعلى كل فالسياق سياق حب صحيح عفيف-أعني سياق أفاطم-,لا تلتبس به دواعي الغواية والفحش, وهو أشبه ما يكون بغزل العذريين,قال الطيب في المرشد:((وهذه الأبيات من أرق الشعر ,ولا أعلم ما قول أصحاب مادية غزل العرب فيها,وهو قول ضحل)) [3]و قال الدكتور محمد أبو موسى:((ولا أجد في الشعر العذري أبياتاً أبلغ من هذه الأبيات,ولا أجد في شعر النسيب أبياتا أصفى ولا أطهر ولا أنقى من هذه الأبيات)). [4]

وكذلك فقد رأى الدكتور جودت كساب أن في الأبيات حبّاً عذرياً,حيث قال عن هذا المقطع,إن حب الرجل للمرأة ((قد يعود إلى حيائها وبه يفتح الشاعر باب الحديث عن البعد العذري في علاقات الحب باب العواطف المتأججة المحرومة)) [5], كهذه التي معنا من قول امرئ القيس.

وأما قوله:

أَماوِيَّ هَل لي عِندَكُم مِن مُعَرَّسٍ ... أَمِ الصرمَ تَختارينَ بِالوَصلِ نَيِّئسِ

[illegible]

(1) ينظر: الشعر الجاهلي ص60.

(2) ينظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي تحقيق د/عبد المجيد الترحيني ,ط الأولى,1417هـ - 1997م,دار الكتب العلمية,بيروت. ج6 ص194-195.

(3) ينظر المرشد عبدالله الطيب,ج4 القسم 1 ص265.ط الكويت.

(4) ينظر: الشعر الجاهلي د/ محمد أبو موسى ص60.

(5) الشعر الجاهلي ,إشكاليات وقراءات ,ص139.

فالبيتان مطلع قصيدة [1]مكونة من ثلاثة عشر بيتاً,كلها قائمة على الشك والتوجس والمنازعة في أمر لا يخلص فيه إلى نتيجة.

وقد استهلّها بنداء (ماوية) ليستبين منها ما هو عليه من أمر, ثم تساءل أمن الممكن أن تسمح له بالتعريس الذي هو النزول في المكان الذي عهد فيه هواها,أم ستمنعه من ذلك والمعهد :الموضع كنت عهدته,أو عهدت هوىً لك,فالمعرس بمعنى النزول في المعهد الذي عهدت هوىً لك فيه,هو الأقرب إلى مراد امرئ القيس هنا[2], ثم ليثبت بعدها على حال بينة منها, إما الوصال, وإما الصرم, الذي هو على مرارته خير من العيش في شك ولبس وحيرة ,كالذي يعاني منه في تلك اللحظة.

وقد حشر في البيت الثاني من المطلع ثلاث كلمات صورت ما هو فيه من حال متذبذبة هي: (**الشك,والاختلاج,واللبس**),وليس في القصيدة إلا المطلع,ووصف الراحلة .

وقد انعكس ـ أيضاً- على مقطع وصف الراحلة ما يشعر به من قلق وحيرة ومنازعة وتوجس, فقال:

كَأنّي وَرَحلي فَوقَ أَحقَبَ قارحٍ بِشربَةَ أَو طاوٍ بِعِرنانَ موجِسِ[3]

فحتى هذا الحمار الوحشي الذي يشبّه ناقته به متوجس قلق,ذكر بعدها ما انتابه من مصائب و أهوال , منها تصبيح الكلاب الضاريات له,وتيقّنه بحضور الموت في ذلك الموقف,إما منها وإما منه , ولكنّ يقينه خاب,ولم يحصل في ذلك نتيجة,وبقي الأمر معلّقاً يناظرها وتناظره ربما إلى جولة أخرى.

ولعله أراد من هذه القصة تشبيه ما هو عليه من حال مضطربة بما حصل لهذا الثور,لا سيما إذا عرفنا السياق العام للقصيدة والسياق العام لعلاقته بماوية.

وباستقراء الديوان يتبين أن ماوية هذه لم ترد في شعره إلا في قصيدتين ولم يتغزل بها كما تغزل بفاطمة,ولم يذكر لها شوقاً ولا صبابةً ولا كلفاً,ولم تتلبّس بقلبه التباساً قويّاً كفاطمة مثلاً أو عنيزة ,ولعل علاقته بماوية وصحبته إياها ,كانت وقت حروبه وطلبه للثأر,فقصيدته(أماوي) كانت قبل إدراكه الثأر,وهو في معمعة الحرب,والصور والمعاني في القصيدة تشير إلى هذا, من مثل:

- التوجس وعدم الوصول إلى نتيجة في علاقته بماوية يشبه التوجس والقلق الذي كان يعانيه في وقت الحرب.

---

(1) ينظر: الديوان ص: 101.

(2) ينظر: اللسان (عهد).

(3) الأحقب :حمار الوحش,والقارح :المسن,والطاوي :ثور وحشي خميص البطن,وقيل بل يطوي البلاد نشاطاً وقوة,والموجس:الخائف الحذر لشيء سمعه,وشربة وعرنان:موضعان. ينظر: السابق ص 101.

- تشبيه ناقته التي يركبها بحمار الوحش المتوجس,والذي كأنه تصوير لما يركب من أمر الحرب, وما تقتضيه الحرب من توجس وقلق.

قال :

كَأنّي وَرَحلي فَوقَ أَحقَبَ قارِحٍ   بِشربَةَ أَو طاوٍ بِعِرنانَ موجِسِ[1]

فحتى هذا الحمار الذي يشبه به ناقته قلق خائف متوجس.

- تشبيه ضجعة الحمار الوحشي ,بضجعة الأسير المكردس, وهذه صورة تتناسب مع جوّ الحرب,قال:

فَباتَ عَلى خَدٍّ أَحَمَّ وَمَنكِبٍ   وَضَجعَتُهُ مِثلُ الأَسيرِ المُكَردَسِ[2]

- معركة حمار الوحش مع الكلاب التي لم تنته إلى نتيجة فيها تمثل صورة لمعاركه التي لم تنته إلى نتيجة بعد.

تلك القصيدة الأولى والأخرى مطلعها:

يا دارَ ماوِيَّةَ بِالحائِلِ   فَالسهبِ فَالخَبتَينِ مِن عاقِلِ[3]

وفيها يذكر إيقاعه ببني أسد ,وإدراكه وتره,وما تبعه من حل الخمر له بعد أن حرمها على نفسه.

نخلص من هذا إلى أن ماوية كانت صاحبة لامرئ القيس وقت حروبه,بعد أن كبرت سنّه, وأنه لا يمكن أن يقاس حبها بحب فاطمة التي أحبها أيام شبابه, بشهادة امرئ القيس نفسه.[4]

وأن صورة القلق والاضطراب التي عاشها مع ماوية كانت انعكاساً لحالة القلق والتوجس التي عاشها في الحرب.

وبالعودة إلى بيتي المعلقة فإن أول ما يلحظ فيهما [5]هذا النداء الذي في قوله (أفاطم) حيث إن الهمزة لنداء القريب,دلالة على شدة قربها من قلبه,وفاطم مرخم

---

(1) الديوان ص101.

(2) فبات :يعني الثور,الأحم :الأسود,ضجعته:هيئة نومه ,المكردس:المطروح على جنبه المتقبض.

ينظر: السابق 102.

(3) الحائل: موضع,والخبتان أرض فيها لين,والسهب المستوي من الأرض,وعاقل : جبل باليمامة.

ينظر: الديوان 119.

(4) ينظر في الديوان أبيات:أفاطم ص 12 وأبيات ماوية:ص101.

(5) ينظر:الشعر الجاهلي,د/محمدأبو موسى,ص56 .

:فاطمة,والذي يؤتى به للتحبب والتدليل والتقريب , وهو من باب تدليلها وإشعارها بأنوثتها,تحبّباً إليها وتقرباً منها,فكأنّ الهمزة إعلان منه بحبها,(لقربها منه) , والترخيم دعوة لها كي تحبه ,لأن الأنثى تغرم بالدلال.

ثم أوجز في العبارة إيجازاً شديداً حيث حذف الفعل والفاعل للمصدر (مهلاً) , وحذف الفعل الناصب لكلمة (مهلاً) وهذا الإيجاز على أنه فضيلة في نفسه فإنه يحمل دلالة أخرى , وهي المسارعة في إيصال المعنى المراد إلى فاطمة .

ويكثر في (إن)الشرطية أن تكون فيما يستقبل ,ولكنها جاءت للشرط في الماضي,ولها في ذلك دلالة وهي أنها تستخدم في الشرط النادر الوقوع,المستبعد حصوله,واستخدام الشاعر لها, فيه معنى:أن هجرك لي يا فاطمة لا يجوز أن يقع إلا على سبيل الندرة ,ولاستبعاده فإنه من الأعلى بيانياً أن يحمل معنى(أجملي) على (اتركي أو دعي) الذي هو أقرب من معنى(أحسني) [1]فإن ترك الصرم كلّيّةً أولى من فعله والإحسان فيه.

ودخلت (قد)على جملة فعل الشرط مفترضةً تأكيد إزماع الصرم.

وفي البيت محسن بديعي هو (التصريع) والذي وقع بين كلمتي (التدلل) و(فأجملي).

وقد أعطى قيمة موسيقية للمقطع,وأبان عن اهتمام أكبر واحتشاد أكثر,من قبل الشاعر لهذا الأمر الذي سوف يتحدث فيه.

وقد اختلف العلماء حول جودة هذا التصريع في البيت . [2]

وفعل الأمر المذكور (أجملي) لبس ثوباً من الرّقّة واللّطف نحاه عن شدّة قوة فعل الأمر ,فإذا ما كان المقام مقام حب وتهالك وبث أشواق,فإن الحمل على

---

(1) ينظر :شرح الأشعار الستة الجاهلية للوزير أبي بكر البطليوسي. ج1 ص80 .

(2) فقد جعل ابن الأثير هذا البيت شاهداً على أعلا مراتب التصريع السبع التي وضعها وسماه التصريع الكامل لأن كل مصراع من البيت مستقل بنفسه في فهم معناه ,غير محتاج إلى صاحبه الذي يليه.(المثل السائر لابن الأثير ج1 ص237 , وكذلك عدَّ قدامة بن جعفر هذا التصريع من فضائل الشعر والشاعر,وقال :إن((ذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره,وأكثر من كان يستعمل ذلك ـــامرؤ القيس لمحله من الشعر) ثم استشهد بأبيات المعلقة ومنها بيت الدراسة وعلل قدامة هذا بقوله:(إنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك لأن بنية الشعر إنما هو التسجيع والتقفية,فكلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر))- ينظر(نقد الشعر)لقدامة بن جعفر ص51-58.

أما ابن سنان الخفاجي فلم يستحسن هذا النوع من التصريع والذي يكون في وسط القصيدة ,أو بالأحرى ما يكون في غير البيت الأول منها, وقال في ذلك:(وممن كان يلهج به-أي بالتصريع- من المتقدمين امرؤ القيس فإنه صرع في أول قصيدته: قفا نبك...-وذكر عدة أبيات منها بيت الدراسة ثم قال:- والذي أراه أن التصريع يحسن في أول القصيدة ,ليميز بين الابتداء وغيره...فأما إذا تكرر التصريع في القصيدة فلست أراه مختارا) ينظر(سر الفصاحة)لابن سنان الخفاجي الطبعة الأولى دار الكتب ص188 -189,ولعل الأقرب أن التصريع في درج القصيدة حسنٌ إن جاء بلا تكلّف ,ولم يكثر منه الشاعر إكثاراً يُعدّعليه لا له.

معنى (دعي أو اتركي) يخرجه إلى معنى التمني عليها بأن تدع الصرم,والتمني على المرأة من أبواب التصابي والتهالك وتسليم القياد ,الذي يحببنه النساء ,ويغرمن به أيما غرام ,وامرؤ القيس في هذا خبير.

أما قوله: وإن كنت قد ساءتك..: فقد دخلت(قد) على جملة فعل الشرط مفترضة تأكيد سوء الخلق, وهذا الشطر شبيه بالشطر السابق في الأسلوب والمعنى,ومرجع هذا التشابه في البناء إلى أن ((عزم الصريمة وإساءة الخليقة من باب واحد ,وهو لا يتوقع هذا ولا ذاك)). (1)

خليقة:جاءت نكرة تحمل معنى العموم والتنوع, والمراد :أيّ خليقة من خلقي.

والمعنى الذي جاء الأسلوب لخدمته هو: ثقته في سلوكه وخلقه معها ,كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد أبو موسى. (2)

فسلي: جواب الشرط ,وفعل الأمر هنا خرج عن الأمر المباشر إلى غرض الإيحاء بمعنى التمكين,والتفويض في الأمر,والإغراء بالقدرة.

ثيابي:وقعت الثياب هنا كناية عن موصوف هو(القلب) أراد قلبه(3),وأوقعه مفعولاً مباشراً للفعل (سلي) دلالة على أمور منها:

- أنه إن حصل منه سوء خلق,فالأحق بالسل والأولى بالإبعاد هو :قلبه لا قلبها,فكان أولى بالتقديم.
- وأمر آخر هو: أنه لا يستطيع أن يسل قلبه بنفسه فوجه الفعل إليها:(سلي), ولا يستطيع أن يقدّم سل قلبها على قلبه لما فيه من الغلظة والجفاء,فإن كان ولا بد فلتسل هي قلبه من قلبها. (4)
- وأخيراً كأنه أراد أن يشير إلى معنى قوّة الامتزاج الذي حصل بين قلبه وقلبها,وأنه مما يحتاج فيه عند الفصل بين القلبين إلى رفق وروية ,لذلك استخدم كلمة السل والتي تعني ((انتزاع الشيء وإخراجه في رفق))(5) وبهذا يعلم أنه ليس في السياق لفظ جاف,ولا توعد للحبيب,وليس كلامه من باب كلام المحب الذي يخير حبيبه بين فراق ووصال,وإنما هي الصبابة والمودة,في أرقّ ما تكون,وأبعد ما تكون عن الغلظة والجفاء. (6)

وأفاد الشاعر من استخدام نوعين من التوكيد هما:

---

(1) ينظر: الشعر الجاهلي ص57.

(2) السابق نفسه.

(3) وقد تكون مجازاً مرسلاً علاقته المجاورة ؛لأنه أطلق كلمة (الثياب) مريداً ما يجاورها ,وهو هنا (القلب).

(4) الشعر الجاهلي ,د/محمد ابو موسى, ص:55.

(5) (اللسان:س ل ل).

(6) ينظر (البديع في نقد الشعر),لأسامة بن منقذ ,ص:166.

- التوكيد الواقع في سياق الشرط(قد أزمعت) و(قد ساءتك).
- توكيد المعاني ,وذلك لأنّ البيت الثاني مؤكد لمعنى البيت الأول.

و لا ننسى ما بين كلمتي (سلي) و(تنسل) من جناس اشتقاق,كان له وقع موسيقي مؤثر.

أما البيتان المشابهان بيتا (أماويّ), فأول ما يلحظ فيهما ابتداؤه بقوله أماوي:والهمزة لنداء القريب,وماوي مرخم:ماوية,والمراد أن يبين لها كم هي قريبة من قلبه,وكم هي حبيبة إليه ولهذا الحب حق وحرمة .

ويكاد هذا النمط أن يكون منزعاً للشاعر يميل إليه أحياناً, ((ومهما اختلفت منازع الشاعر في قصائده فإن له منزعاً عاماً يميل أبداً نحوه ويذهب إليه)) [1]ولا يبعد أن يكون هذا من منازعه التي يحب في مثل هذا المعنى, وشبيهه يشهد على ذلك.

أما قوله (هل لي عندكم من معرس):فالاستفهام هنا للتصديق .ومن المعروف أن هل لا يسأل بها إلا عن التصديق فحسب,طلبا لمعرفة الجواب,وهذا ما دعا امرأ القيس ليستخدمها حتى يصل إلى الجواب.

فامرؤ القيس كان يعاني القلق والاضطراب,وعدم وضوح الرؤية وعدم التمكن في الخلوص إلى نتيجة محددة,فكان الاستفهام هو الأسلوب الذي يقوم بما في نفسه,من محاولة الوصول إلى نتيجة.

وللجار والمجرور(لي) فوق معنى الاهتمام والعناية معنى آخر هو:الإدلال بالحق الموجب لقبول الطلب,فكأنه يقول:هل للحبيب القريب الذي تعرفينه أتم المعرفة أن يحصل على ما يريد.

من معرس:من زائدة لغرض التوكيد.ومعرس:جاءت نكرة لتحقير وتهوين شأن المطلوب واستقلال مُؤنة الطلب ,فكأن المراد :معرس أي معرس.

أم الصرم:أم هنا هي المنقطعة التي تفيد الإضراب والانتقال إلى ماهو أشد –وهو هنا الصرم-, وقدم المفعول به (الصرم) ؛لاهتمامه به ,ولكونه أمراً يلحّ عليه في هذه العلاقة ,وكأنه يشعر بقربه وبإمكان تحققه.

وفي البيت محسن بديعي هو التصريع الذي وقع في أول بيت في القصيدة بين كلمتي(معرس) و(نيأس) وهو حسن وعال ,ووجه حسنه وعلوه يظهر من خلال الجرس الموسيقي الذي يحدثه,إضافة إلى كونه ينبئ بالقافية قبل الورود عليها,وكونه في مطلع القصيدة.

---

(1) تقريب منهاج البلغاء,د/محمد أبو موسى,ط الأولى,1427هـ2006م,مكتبة وهبة,ص221.

وهو هنا يفوق حسنا التصريع الذي في بيت (أفاطم) ؛ لاكتفاء التصريع فيها بفضيلة الموسيقى,وليس الإنباء بالقافية كونها معلومة سلفاً,ولا لكونه في المطلع حيث البيت في درج القصيدة يقول حازم القرطاجني:((فإن للتصريع في أوائل القصائد طلاوة وموقعا من النفس,لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها,ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتي العروض والضرب وتماثل مقطعها لا تحصل لها دون ذلك.)) [1].

وبالنسبة لبيت (أفاطم) فحسن تصريعه راجع إلى موسيقاه وجرسه فقط,لا لأنه يعرفك القافية قبل ورودها,ولا لوقوعه في مطلع القصيدة.

وهذا كله من براعة الاستهلال [2] عند الشاعر حيث إن معرفة القصيدة من مطلعها مطلب عظيم وعزيز لا يتمكن منه إلا النادر من الشعراء وكان مما حسن هذا الاستهلال ((دلالته على غرض القصيدة لأن براعة الاستهلال تعني الدلالة على الغرض.)) [3]

أبيني لنا: المعنى فيها يشبه المعنى في قوله: (هل لي...).

وفعل الأمر هنا متضمن معنى الاستفهام السابق ,فهو توكيد لمعناه,وإعادة للاستفهام بصورة أخرى هي الأمر.

لنا:ذكر الجار والمجرور مع أنه مفهوم من السياق ,ومذكور في صدر البيت الأول ما هو قريب منه وهو (لي),إلا أن غرضه أن يلفت انتباهها إلى ما يريدها أن تبقى على ذكر منه وهو:الحق والحرمة .

وقد يكون السبب اختلاف الحال ,فهو في البيت الأول سائل حين قال:(هل لي),فناسب أن يقول (لي)بضمير المتكلم,لما فيه من معرفة القدر والحال.

وفي البيت الثاني هو آمر, قال: (أبيني لنا) فناسب فعل الأمر أن يقول :(لنا) بضمير المعظم نفسه, كما هي حال الملوك.

إن الصريمة راحة: فصلت الجملة عما قبلها للاستئناف البياني والجملة مؤكّدة في نفسها بـ(إن) و(الجملة الاسمية), ومؤكِّدة لغيرها كونها إعادة لمعنى البيت السابق.

وفي هذا التوكيد دلالة على شدة ما يعانيه الشاعر من توجس وقلق,وفرط ما قد لحقه منهما.

---

(1) منهاج البلغاء وسراج الأدباء,حازم القرطاجني,تحقيق/محمد الحبيب بن خوجة,ط الثالثة, 1986م ,دار الغرب الإسلامي,بيروت,ص283.

(2) قال الخطيب القزويني :(وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود,ويسمى براعة الاستهلال) وقال صاحب البغية :(هي – أي براعة الاستهلال- أن يكون مطلع الكلام دالا على غرض المتكلم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة).ينظر: الإيضاح والبغية ج 4,ص130.

(3) تقريب منهاج البلغاء ,ص164.

***

وقال امرؤ القيس: [1]

إذا ما الثُرَيّا في السَماءِ تَعَرَّضَت   تَعَرُّضَ أَثناءِ الوِشاحِ المُفَصَّلِ[2]

وهو يشبه قوله : [3]

وَقَد رَكَدَت وَسطَ السَماءِ نُجومُها   رُكودَ نَوادي الرَبرَبِ المُتَوَرِّقِ [4]

---

(1) الديوان ص:14.

(2) الثريا : من الكواكب ,سميت بذلك لغزارة نوئها,وقيل سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها,فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل,ولا يتكلم به إلا مصغراً,وهو تصغير على جهة التكبير.

والتعرض هنا معناه:مالت وزاغت.

والوشاح من حلي النساء يلبسنه, ويكون من أديم عريض يرصع بالجواهر, وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها.

والمفصل من العقود ما جعل فيه بين كل لؤلؤتين خرزة.

وأثناء الوشاح :ما انثنى منه.

ينظر اللسان:(ثرا ,عرض,وشح,فصل,ثني).

(3) الديوان ص171.

(4) الركود :هو السكون والثبات.

الربرب : القطيع من بقر الوحش,وقيل من الظباء ,ولا واحد له,وقيل ما كان دون العشرة.

النوادي: المجتمعة.

المتورق: الورق من الشجر معروف ,ومتورق بمعنى أكلت الورق.

ينظر اللسان :(ركد ,ربب,ندي,ورق).

البيت الأول من المعلقة ,وقد ورد في مقطع بيضة الخدر ثالث الأبيات ,حيث خبر عن هذه المكنونة بأنها من اللواتي لا يرام خباؤهن ,ولا يُسطاع الوصول إليهن,إلا أنه لها معها, وتمتع بها من غير إعجال, بسبب ما كان فيه من عز ومنعة ,وسطوة وجبروت, قال:

وَبَيضَـةِ خِـدرٍ لا يُـرامُ خِباؤُهـا   تَمَتَّعـتُ مِـن لَهـوٍ بِهـا غَيـرَ مُعجَـلِ

وبيّن أنه تجشّم في سبيل الوصول إليها أخطاراً وأهوالاً عظاماً, تمثلت في تجاوز هؤلاء الأقوام, والحرّاس الحراص ,الذين يرصدون مقدمه ليلقى منيّته على أيديهم كفاء فعلته التي فعل,قال:

تَجاوَزتُ أَحراساً وأهوالَ مَعشَر   عَلَيَّ حِراص لَو يُشرّونَ مَقتَلي

ثم بين وقت تجاوز هؤلاء القوم بقوله:

إِذا مـا الثُرَيّـا فـي السَـماءِ تَعَرَّضَـت   تَعَرُّضَ أَثناءِ الوِشاحِ المُفَصَّلِ

والمعنى أنّ هذا الوقت كان حين ((تصوّبت الثريا للمغيب,وذلك أن الثريا تستقبلك بأولها حين تطلع فإذا أرادت المغيب تعرّضت أي أرتك عرضها أي ناصيتها)). [1]
ثم بين حالها حين دخل عليها وما دار بينهما من حديث,وما تبعه من وصف...حتى ختام المقطع.

أما البيت الشبيه فهو من قصيدته التي مطلعها:

أَلا انعِـم صَـباحاً أَيُّهـا الرَبـعُ وَانطِـق   وَحَدِّث حَديثَ الرَكبِ إِن شِئتَ وَاصدُقِ [2]

حيث بدأ الشاعر حديثه عن هذا الربع الذي دعا له ,وطالبه بخبر الركب الذين تحملوا عنه ورحلوا,وشرع في وصفهم في حال ارتحالهم, وأخذ في تتبعهم حتى حالت بينه وبين الركب رمال وتنائف.

---

(1) شرح الأعلم ,ص:71.
(2) الديوان ص168.

حينها عزم الشاعر على أن يعزّي نفسه بعد بينونتهم بما يسرّي حزنه ,ويسلي همّه ,فعزى نفسه بسفر على ناقة جسرة قوية...

وعزى نفسه أيضا بدخول بيت عظيم كالقصر,في ثلاثة أبيات ثالثها بيت الدراسة , فقد بين أنه بيت يفوح المسك في جوانبه,بعيد من السوء والآفات,قال:

وَبَيتٍ يَفوحُ المِسكُ في حُجُراتِهِ ... بَعيدٍ مِنَ الآفاتِ غَيرِ مُرَوَّقِ

فيه حسناء بيضاء ملأى لا ترى عظامها ذات نعمة وغنى , تعفي آثاره بذيل ثوبها , حين زارها حتى لا يعرف أحدّ أثراً من آثار تلك الزورة ,قال:

دَخَلتُ عَلى بَيضاءَ جُمٍّ عِظامُهُ ... تُعَفّي بِذَيلِ الدِرعِ إِذ جِئتُ مُرَقَّقِ

وكان وقت دخوله على هذه الحسانة حين ركدت وسط السماء نجومها...قال:

وَقَد رَكَدَت وَسطَ السَماءِ نُجومُهُ ... رُكودَ نَوادي الرَبرَبِ المُتَوَرِّقِ

وهنا ينتهي هذا المقطع المكون من ثلاثة أبيات والذي كان ضمن الأمور التي كان يعزي بها نفسه حيت ارتحل ذلك الركب .

وبدايةً فإنه من نافلة القول أن يقال إنه لا شك ولا ارتياب في أن هذين البيتين قد خرجا من لسان امرئ القيس,وتشابه البناء في البيتين ودقته تدلان على هذا ,وتدلان على أنهما من قيل رجل واحد ,ومن صنعة صانع حاذق ,جعل بيان الوقت في قصيدتين مختلفين في مكان واحد بعد بيتين من المطلع ولا أظنها مصادفة ,ويشبه أن يكون من سننه البيانية حين يريد هذا المعنى ,وكل واحد من الشبيهين يشهد لصاحبه.

وبالعودة إلى بيت المعلقة ,وبالنظر في تصدّر (إذا) ,فإنه يلحظ الارتباط الشديد بالسباق ,وتحديداً بقوله :(تجاوزت) في البيت السابق عليه؛ لأنه بيّن بـ(إذا) الظرفية وقت هذا التجاوز ,والمعنى على هذا يكون:((تجاوزت أحراساً إليها عند تعرض الثريا في السماء في وقت غفلة من رقبائها)) (1).

ثم تراه يتبع إذا الظرفية بـ(ما) الزائدة التي هي توكيد لما يزمع القول فيه.

أما البيت المشابه في القصيدة القافيّة فإنه ليس ببعيد من هذا البيت ,حيث ترى في مطلعه قوله :(وقد ركدت) وهي مرتبطة بسباقها أشدّ ارتباط وتحديداً بقوله :(دخلتُ) في البيت السابق عليه,وهذه الواو في قوله :(وقد) هي واو الحال والمعنى على أنه

---

(1) شرح القصائد السبع الطوال ,ابن الأنباري,ص 50.

يقول: دخلت على هذه البيضاء في حالة ركود النجوم وسط السماء,وقد أتبع واو الحال هذه بقد التي دخلت الفعل الماضي دلالة على التحقيق.

وهنا يتضح أن البيتين قد ربطا بسباقهما ربطاً وثيقاً محكماً,وكل واحد منهما يؤكد على عبقرية القائل ,وعلى قدرته على إتقان فنّه, و على صنعته صنعة محكمة تدلّ على الدقة المتناهية؛لاهتمامه بأدق التفاصيل,لا من حيث ربطه بين أفعاله وأوقاتها فحسب,بل حتى بوضع ما يمكن أن يجعل الكلام محقّقاً ومؤكداً إن بما أو بقد,وفي البيتين على حدٍّ سواء.

ويلفت في بيت المعلقة اختياره للثريا دون غيرها من النجوم,في حين أنك تراه في البيت الشبيه يعمّم الكلام على النجوم كلها ولا يحدد أياً منها.

أما بالنسبة لبيت المعلقة ,فليس بغريب أن يحدد نجم الثريا باسمه ؛ لأنه يتوافق مع سياق المعلقة أجمل توافق وأرضاه,فهو يقول فيما بعد بيت الدراسة بأبيات:

فَيـا لَـكَ مِـن لَيـلٍ كَـأَنَّ نُجومَـهُ بِكُـلِّ مُغـارِ الفَتـلِ شُـدَّت بِيَـذبُلِ[1]
كَأَنَّ الثُرَيّا عُلِّقَت في مَصامِها بِأَمراسِ كِتّـانٍ إِلـى صُـمِّ جَنـدَلِ[2]

فالثريا من كلمات القصيدة ,وليست نابية عن معجمه في المعلقة , حيث استخدمها أكثر من مرة, وهذه الثريا التي ذكرت في بيت الدراسة ذكرت في معرض حسن هو ذلك الوقت الجميل الذي تمتع فيه برؤية صاحبته,بينما تراه في البيتين السابقين في شدة وكربة والنجم هو نفسه الثريا التي كانت تتعرض وتغيب ولكنك ترى النجم نفسه الآن موثقاً و مشدوداً .

أما بيت القصيدة القافيّة فإنه ذكر فيه نجوم السماء على عمومها دون أن يفصل أو يحدد ؛لأنه ليس هناك ما يدعو إلى التفصيل أو التحديد في القصيدة,ولاسيما أنه لم يذكر الثريا ولا غيرها ,بل إنه لم يذكر النجوم إلا في بيت الدراسة,فكأن كل واحدة منهما قد وقعت في بيئتها التي هي منها ,من دون أن يكون هناك اختلال أو اضطراب .

---

(1) المغار: الشديد الفتل,ويذبل: اسم جبل,يقول:كأن هذه النجوم شدّت بشيئ مفتول قوي إلى جانب هذا الجبل,فكأنها لا تسري , وإنما يصف طول الليل.
ينظر الديوان ,ص:19.
(2) المصام:مكانها الذي لا تبرح منه كمصام الفرس,وهو مربطه,والأمراس الحبال.
ينظر: السابق نفسه.

ثم تراه قال في المعلقة :(في السماء) ,وفي القافية (وسط السماء), ولا فرق بينهما ؛لأن (في السماء) ظرف للثريا فكأنها احتوتها,فإنه ((تأخذ الثريا وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة)) (1),وهنا تظهر ملاءمة موفقة بينهما.

وقوله (وسط السماء) في القافية يحمل معنى له علاقة بالمشبه به في البيت نفسه ؛وذلك لأنه شبه ثبات وسكون واجتماع النجوم وسط السماء,بركود وسكون واجتماع الربرب,والذي يغلب أن القطعان تحب السكون والاجتماع بما توسط من الأرض وانخفض,بعيداً عن الريح والبرد والعين ,ونصه على (وسط السماء) يتواءم مع ما يراه ويعرفه من حال المشبه به .

ويلحظ في بيت المعلقة أنه اختار كلمة (تعرّضت),وقد أثارت هذه الكلمة بإضافتها إلى الثريا جدلاً بين العلماء حول صحة معناها,فمن منكر لتعرّض الثريا قائلٍ إن الثريا لا تعرّض لها. (2)

ومن قائلٍ إنه ((إنما عنى بالثريا الجوزاء ,وقد تفعل العرب مثل هذا,واحتج بقول زهير:

فَتُنتَج لَكُم غِلمانَ أَشأَمَ كُلُّهُم كَأَحمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِع فَتَفطِمِ

قال: أراد كأحمر ثمود فجعل عادا في موضع ثمود لضرورة الشعر.)) (3)

ومن قائلٍ إن:(الثريا تتعرض عند السقوط) (4)

وقد ذكر الإمام الباقلاني هذا البيت وعرض الآراء التي قيلت فيه وما عابوه به ,ثم قال :((والأشبه عندنا أن البيت غير معيب من حيث عابوه به ,وأنه من محاسن هذه القصيدة)) (5).

---

(1) شرح السبع الطوال,لابن الأنباري,ص:51.

(2) السابق نفسه,وفيه وفي شرح الوزير البطليوسي,منسوباً إلى أبي عمرو,ص83, والموشح للمرزباني ص36.

(3) شرح السبع الطوال لابن الأنباري,ص51,ونسبه إلى محمد بن سلام البصري.
وزهير بن أبي سلمى هو زهير بن ربيعة بن قرط والناس ينسبونه إلى مزينة وإنما نسبه في غطفان ,من أصحاب المعلقات,والبيت المذكور من معلقته,ونسب هذا الرأي ليونس النحوي أيضا,ينظر,طبقات الشعراء,ج1,ص:88-89.
ينظر:الشعر والشعراء,ج1,ص:137,والبيت في ديوانه من المعلقة ورقمه 32.
ينظر:ديوان زهير بن أبي سلمى ,صنعة ثعلب ,وتحقيق د/حنا نصر ,ط دار الكتاب العربي ,بيروت 1424هـ,ص:43.

(4) شرح الوزير البطليوسي,ص:83,ونسبه إلى ابن سلام,وهو يفهم أيضاً من كلام القتيبي فيه- يعني ابن قتيبة- ,المصدر نفسه,وقال به أبو هلال العسكري,قال:(أرادها حين تغيب ؛لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب), ديوان المعاني, ط عالم الكتب ج1,ص334.

(5) إعجاز القرآن ,للباقلاني,تحقيق د/محمود مزروعه,ط دار كنوز المعرفة,الأولى ص253,جده 1427. ,هذا رأي الإمام فيما دار من جدل حول التعرض,إلا أن له نظرة أخرى في

وذكر المبرّد أن من تمثيل امرئ القيس العجيب,بيت الدراسة ثم قال :((وقد أكثر الناس في الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى,ولا بما يقارب سهولة هذه الألفاظ)) [1].

وقال أبو هلال العسكري :((ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس:

إذا ما الثريا...

وقد استحسن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه)) [2].

والذي يعنينا هنا أكثر هو مدى ملائمة هذه الكلمة لموقعها.

والذي يظهر أنها بلغت في الملائمة المنتهى, وذلك أن ((الثريا تتعرض عند السقوط ,كما أن الوشاح إذا طرح تلقاك بناحيته)). [3]

فلعل الشاعر لمح هنا أمرين هما:

الأول/ تعرّض الثريا – على الخلاف المذكور -عند المغيب.

الثاني/ تعرّض الوشاح عند السقوط.

فجعل تعرض الثريا ثم مغيبها كتعرض الوشاح ثم سقوطه فكأن كل واحد منهما يبدي لك عرضه وناحيته عند إرادة المغيب أو السقوط,ولا شك أن في هذا ملاءمة جد دقيقة.

أما السؤال الأهم فهو: لـمَ خصّ الشاعر بيت المعلقة بكلمة (التعرض) دون ما سواها,وخص بيت القافية بكلمة (الركود) دون غيرها؟

وهل هذا التخصيص مبرر من ناحية السياق ؟

وبمعنى آخر هل تتواشج كل كلمة من الكلمتين المعبر بهما في البيتين مع بيئتها التي هي فيها,وتترابط معها بوشائج و أسباب ؟

الذي يغلب على الظن في هذا الأمر أن كل واحدة من الكلمتين لها دلالة خاصة تستقى من القصيدة التي هي منها,وأنها متوائمة مع سباقها ولحاقها وسياقها أقوى ما يكون التلاؤم.

وحين ينظر في بيت المعلقة وسياقه فإنه يلاحظ حينها أن سياق بيت المعلقة ضاجٌّ بالحركة ,حافل بالقول والفعل,فإن فيه (**تمتعتُ من لهو ,تجاوزتُ أحراساً وأهوال**

غير التعرض,فقد قال إن الشعراء قاربوه أو فاقوه في وصف الثريا ثم وجه إلى البيت نقدتين :الأولى :أن فيه تكلّفاً وتطويلاً بذكر التعرض والذي يمكن أن يستغنى عنه,والثانية: أنه جعل الثريا كقطعة من الوشاح المفصل فلا معنى لقوله :(تعرض أثناء الوشاح) وإنما أراد أن يقول:تعرض قطعة من أثناء الوشاح,فلم يستقم له اللفظ ,حتى شبه ما هو كالشيء الواحد بالجمع ,بتصرف.

(1) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ,ط مؤسسة المعارف ,بيروت 1423هـ,ج2,ص:33-34.

(2) ديوان المعاني,ج1,ص:334.

(3) شرح الوزير البطليوسي,ص83.

معشر, فجئتُ وقد نضت,فقالت يمين الله,خرجتُ بها ,تجر وراءنا,أجزنا ,إذا التفتت نحوي,إذا قلت هاتي,تمايلت ,تصدُّ وتبدي وتتقي وتعطو,تضيءُ وتضحي,اسبكرت)
وهذا السياق الحافل بالتعرض والظهور بأشكال مختلفات ,وصور أشتات,يوائمه ويوافقه مجيء الكلمة على ما جاءت عليه,أعني يوافقه اختيار كلمة (التعرّض).

أما بيت القافية وكلمة (الركود) فيه, فإنها أيضاً تمت بسبب وثيق إلى سياقها,وما فيه من هدوء وسكون وسكينة,فالبيت الذي دخله بيت هادئ ,وليس من حرّاس ولا أهوال,والدخول إليه ميسور بلا تكلّف ولا مشقة ولا حاجة إلى تعرض أو ظهور,بل قد انعدمت في السياق الأفعال التي تحمل معاني الشدّ والجذب,والمغامرة والظهور, والتعرض للقتل,وغيرها, مما ورد في سياق المعلقة,سوى فعلين فيهما حركة يسيرة,ومع ذلك فقد دلا على الهدوء والسكينة , وهما (دخلت)والذي يدل السياق على أنه دخل بلا تعرّض ولا ظهور, و(تعفّي) التي تدلّ على أنها راغبة في الإخفاء والخفاء,ولكأن كلمة الركود قد وافقت سياقها ,ووقعت في مكانها أحسن موقع.

ومن الإتقان البالغ أو الصنعة المحكمة عند الشاعر عندما يريد مثل هذا المعنى,أعني تحديد وقت الدخول على الأحباب وزيارتهم,ما يظهر من توافق بين أجزاء البيتين ,فقد تكوّن كلُّ بيت من أمور هي نفسها مكونات البيت الآخر,فانظر إلى ما يشتمل عليه بيت المعلقة:

تعرضت - تعرض - الثريا - في السماء - أثناء الوشاح المفصل.

ووازنه بما يشتمل عليه البيت الشبيه:

ركدت - ركود - النجوم - وسط السماء - نوادي الربرب المتورق.

وهذا الأمر يظهر أن عمله في البيتين ليس مسبباً عن العشوائية أو المصادفة,وإنما هو مسبب عن الاقتدار كما يقول ابن أبي الإصبع ,أو الاحترافية النسجية كما يقول الدكتور مرتاض,الأمر الذي جعل امرأ القيس يشكل لنفسه منزعاً شعرياً أو مهيعاً في القول ينفرد هو بنسجه عندما يريد مثل هذه المعاني.

وأخيراً فالتشبيه في البيتين واقع موقعه ,فالثريا تتعرض لتغيب كما يتعرض الوشاح عند السقوط .

والنجوم ركدت كما ركد الربرب.

والتشبيه مؤكد في البيتين. (1)

والأهم هو اختياره للمشبه به في البيتين, فقد جعله في بيت المعلقة وشاح حسناء غنية ؛وذلك لأنه وشاح مفصل بالجواهر واللآلئ وهذا يتناسب مع السياق الذي ورد فيه ,ألا تراه قد ورد في سياق الحديث عن (بيضة الخدر) وهي البيضة المكنونة التي لا

---

(1) المؤكدهو:ما حذفت أداته,الإيضاح للقزويني من كتاب البغية,ج3,ص:68.

تبرز من خبائها أبداً,والمحاطة بحرّاس وأهوال, دلالة على عظم شأنها,وهذا سياق البيت السابق عليه, أما البيت التالي له فأنت واجد فيه أوصافاً عدة تبين ما هي فيه من عز وغنى ,فهي ذات مرط مرحّل تجره على الرمال, ذات رائحة عطرة ,مغذوة أحسن غذاء,وليست بمعطلة الجيد من الحلي , تقوم وفتيت المسك في فراشها,نوّامة الضحوات مكفية الخدمة.

أما بيت القافيّة فقد ناسب به المشبّه به,ثم ناسب به ما بعده ,أما مناسبة المشبّه به ((فإن من عادة الشعراء تشبيه الكواكب بالبقر والظباء ,وإذا رأيت الوحش سوارب في مراتعها,رأيتها بيضاء تلوح كأنها نجوم.)) (1),فهذه سنة قديمة عند الشعراء ,والملاءمة بينهما ملاءمة دقيقة ,واشتهارها منذ القديم دليل صحتها.

وأما مناسبته ما بعده فقد جعل التشبيه بنوادي الربرب المتورق خاتمة مقطع استهلّ بعده مقطع صيد ,ولا يخفى ما بينهما من علاقة,بل إن الّلافت في الأمر أنه قد صاد في مقطع الصيد بعضاً من بقر الوحش الذي هو (الربرب),فكأنه جعل نهاية ذلك المقطع ممهدةً للدخول في مقطع الصيد الذي سيكون فيه صيد من جنس ما شبّه به.

وقد حدد المرزوقي بالقرائن متى كان موعد هذه الزيارة,فبعد أن ذكر أنّ مذاهب العرب في التنبيه على أوقات الأفعال مختلفة من حيث التعيين والإبهام بين أن هناك نوعاً يبهم, ولكن يمكن أن يُستدلّ بالقرائن لتعيين الوقت , واستشهد ببيت امرئ القيس هذا ,ثم قال بعد أن ذكره :((ألا ترى أن هذا الوصف وإن كان يتفق في كل آناء الليل فقد حظره بقوله:

فجئتُ وقد نَضتْ لنوم ثيابَها لدى الستر إلا لُبسة المَتَفَضل

فلما علم أنَّ الموقت يكون من أول الليل وأنَّ الذي وصف من تعرض الثريا إنما يكون عند انصبابها للمغيب، علم أن الزمان زمان الدفء، فباجتماع هذه الأدلة عاد محظوراً بعد أن كان مرسلاً)) (2)يقصد أن الوقت كان وقت صيف.

***

---

(1) الأزمنة والأمكنة, للمرزوقي,ط الأولى,مطبعة مجلس دائرة المعارف,الهند,1332هـ,ج2,ص:212.

(2) الأزمنة والأمكنة ,للمرزوقي,ج2,ص:209.

قال الأستاذ/محمود شاكر:(تعرض الثريا يكون عند انصبابها للمغيب في زمن الدفء,وذلك منهافي أول الليل أو بعده,لقوله بعد :(فجئت وقد نضت لنوم ثيابها))طبقات فحول الشعراء,ج1.ص89.

وقال امرؤ القيس: [1]

فَقالَت يَمينَ اللَهِ ما لَكَ حيلَةٌ وَمـا إِن أَرى عَنـكَ الغِوايَــة [2]

وهو يشبه قوله: [3]

فَقالَت سَباكَ اللَهُ إِنَّكَ فاضِحي أَلَسـتَ تَـرى السُـمّارَ وَالنـاسَ [4] **أَحــــــــــــــوالي**

أما البيت الأول فهو من معلقته,وهو من حديثه عن بيضة الخدر التي تمتع بها من غير إعجال,والتي تجاوز إليها ,الأحراس وأهوال المعشر,حتى بلغها ودخل عليها مخدعها,فقالت له حين دخل:

يمين الله...

أما البيت الشبيه فهو من قصيدته التي مطلعها:

أَلا عِم صَباحاً أَيُّها الطَلَلُ البالي وَهَل يَعِمَن مَن كانَ في العُصُرِ [5]

---

(1) ينظر: الديوان ص 14.

(2) الحيلة :الحذق وجودة النظر على دقة التصرّف.

والعماية:بمعنى الغواية واللجاجة في الباطل.

وتنجلي:بمعنى تنكشف.

ينظر اللسان:(حول , عمي , جلا).

(3) الديوان ص31.

(4) السبي: الأسر,وأحوالي بمعنى حولي ,قال في لسان العرب:

أما قول امرئ القيس:

أَلَستَ تَرى السُمّارَ وَالناسَ أَحوالي

فعلى أنه جعل كل جزء من الجرم المحيط بها حولاً,ذهب إلى المبالغة بذلك,أي أنه لا مكان حولها إلا وهو مشغول بالسمار,فذلك أذهب في تعذرها عليه.

ينظر اللسان(سبي ,حول).

(5) الديوان ص27.

وهو من المقطع الذي تحدث فيه عن تلهيه ببيضاء العوارض(سلمى) , وبعد أن فتح باب الحديث عنها وعن بعض صفاتها,بين أنه سعى إليها ونهض مريداً لها, بعد أن نام أهلها,متخفياً متئداً حتى لا يشعر به, وحينها قالت له:

سباك الله...

وعند العودة إلى بيت المعلقة يلحظ أن قولها مترتب ومؤسس على شيء قبله وهو: تجاوز الأحراس والأهوال في متأخر الليل,ودخوله عليها خدرها وقت نومها حين نضت عنها ثيابها.

وهذه الأمور كلها أوقعت في نفسها ردة فعل كان ما ظهر منها هذا البيت,وبالأصح ما نقله الشاعر على لسانها من قول.

وكان سبب هذا القول (الخوف).

الخوف على سلامته من هؤلاء القوم القيام الذين يتربصون به الموت, ويشرّونه له,الخوف من الأحراس ومن أهوال المعشر, ولا خوف سواه ,لا خوف من فضيحة ولا خوف من عار يلحق بهما,أو بأحدهما,وهذا خاص بالمعلقة كما سيأتي.

أما شبيه بيت المعلقة الآخر ,فأول ما يلحظ فيه أن قولها (سباك الله...) مترتبٌ ومؤسّس على قوله السابق:

سَمَوتُ إِلَيها بَعدَ ما نامَ أَهلُها سُموَّ حَبابِ الماءِ حالاً عَلى حال (1)

ونتيجة لسموه إليها ودخوله عليها, استشعرت الخوف من عار الفضيحة وأحست به,ولم يكن الخوف هنا على سلامته كما في المعلقة,لأنه ليس في هذه القصيدة من حراس ولا أهوال معشر,بل قوم نيام لا يخشى منهم ولا من شرهم,بقدر ما يخشى من افتضاح الأمر وانكشاف الستر أمام السمار والناس.

(1) سموت إليها أي سموت إلى المرأة ,وأراد نهضت إليه شيئا بعد شيء لئلا يشعر بمكاني,وحباب الماء: طرائقه,وحالاً على حال:أي شيئاً بعد شيء حتى صرت إلى الذي أردت. ينظر الديوان ص31.

وفي بيت المعلقة تجد هذا اليمين على لسان بيضة الخدر, قد سبق بيمين آخر على لسان عنيزة, حين قال:

وَيَوماً عَلى ظَهرِ الكَثيبِ تَعَذَّرَت عَلَيَّ وَآلَت حَلفَةً لَم تُحَلَّلِ [1]

وهذان اليمينان خاصان بالمعلقة دون ما سواها من القصائد,ووقعت في المعلقة من النساء وحدهن وليس من امرئ القيس الذي لم يحلف أي يمين في المعلقة.

أما البيت الشبيه فيلفت فيه قولها(سباك الله) الذي هو دعاء عليه بمعنى: أبعدك الله وجعلك سبيّاً بعيداً[2]واللّافت في الأمر هو العدول عن اليمين إلى الدعاء – وليس كمثل ما في المعلقة - ,فما السبب في هذا العدول وما الذي يختفي وراءه؟

الذي يظهر أن السبب في هذا العدول عن اليمين إلى الدعاء, أنه لو كان يمينا لتوالت ثلاثة أيمان في ثلاثة أبيات متتاليات,فتكون هكذا:

- فَقالَت يمين اللهِ إِنَّكَ فاضِحي
- فَقُلتُ يَمينَ اللهِ أَبرَحُ قاعِداً
- حَلَفتُ لَها بِاللهِ حِلفَةَ فاجِرٍ [3]

وحينها يكون الأمر أشبه بمجلس قضاء منه بمجلس غزل,وفيه ما فيه.

وهذا قد يفسر نوعاً ما سبب العدول عن اليمين إلى الدعاء,مع ملاحظة أن هذه القصيدة لم تحلف عليه فيها امرأة واحدة,وإنما هو الذي حلف يمينين متتاليين,وهذا بخلاف المعلقة,التي حلفت عليه فيها امرأتان ولم يقل يميناً واحدةً هناك.

فهل لهذا ارتباط بتغيرات فكرية حدثت في عقل الشاعر,اختلفت في زمن الشباب حين قال المعلقة,عن وقت الكهولة حين قال هذه القصيدة ,والتي - قطعاً- قد قالها بعدما شاخ ,كما سيتبين هذا؟ ربما.

ولا يمكن إغفال ما بين الدعاء عليه بالمباعدة وبين إرادة البعد عن الفضيحة من مناسبة؛لأنها ((إنما قالت له ذلك ,ضجراً لما خشيته من الفضيحة)) [4]فإذا ابتعد مسبب الفضيحة ابتعدت الفضيحة,فهذا دعاء مناسب تماماً للمراد.

---

(1) الكثيب رمل مرتفع,وتعذرت: تصعبت من العذر,ولم تحلل:أي لم تستثن من يمينها. ينظر الديوان ص 12

(2) وقيل المعنى:(اللعن) متوجهاً إلى المخاطب,و قيل المعنى (أذهب الله عقلك).
ينظر:خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب,لعبد القادر البغدادي, تحقيق/عبد السلام هارون,ط مكتبة الخانجي, القاهرة, ج 10 ص44.
وشرح الأعلم الشنتمري ص108

(3) الديوان ص31-32.

(4) شرح الأعلم ص108.

على أنه قد يكون قولها (سباك الله) من قبيل قولهم (لحاك الله)و(تربت يداك) و (ثكلتك أمك) كما في حديث معاذ ,دعاء غير مراد به حقيقته. [1]

وبالعودة إلى بيت المعلقة فإنه يلحظ أن الشاعر قريب جداً إلى قلب هذه المرأة (بيضة الخدر) وحبيب إليه ،وأن سلامته تعني لها الشيء الكثير , بل إن اختيارها لليمين يعضّد هذا أيضاً,وفرق جلي في ودّ من يقول : يمين الله, ومن يدعو عليك ويقول: سباك الله.

لكل هذا آثرت أن تحلف بالله يميناً ولا تدعو عليه, مع ما قد يكون في الدعاء عليه من الإيحاش له, و الإخباث لنفسه,بعدما تجشم من الصعاب والأهوال في الوصول إليها ما تجشم.

والذي يفهم من البيتين أن المرأة في بيت المعلقة كانت ترومه وتوده ,بخلاف الأخرى التي كانت تبعده وتخوفه وتصده.

ونجد في بيت المعلقة قولها(ما لك حيلة) ,وقد فسّر العلماء المراد بنفي الحيلة عنه ,فمن قائل إن المراد ((مالك حيلة تجيء والناس أحوالي)). [2]

وهو على هذا المعنى ناظر إلى قوله:

تَجــــــاوَزتُ أَحراســـــــاً عَلَــيَّ حِــراص لَــو يُشَــرّونَ [3]
[illegible]

والمراد بهؤلاء الناس الذين شغلوا أحوالها (الحراس والحماة) الذين يرومون قتله لمنعه من الوصول إليها.

ومن البيّن أن مثل هذا لا يقال له بعد تجاوزه الحراس ودخوله المخدع,وإن كان ولا بد منه فيقال قبل هذا,ولذلك قال الإمام الباقلاني إن : في هذا البيت تعليقاً واختلالاً. [4]

ويصحّ المعنى إذا كان المراد التعجب كيف تأتت له الحيلة والناس حولها ,أن يزورها ويدخل عليها مخدعها.

وقالوا أيضاً إن المعنى ((لا أقدر أن أحتال في دفعك عني)). [5]

---

(1) فقد ورد في حديث له رضي الله عنه قوله :((...يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به,قال:ثكلتك أمك يا معاذ ,هل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم.))
ينظر:سنن ابن ماجة ,تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي ,ط دار الفكر,ج2 ص1314.

(2) نقله ابن الأنباري في شرح القصائد السبع الطوال عن الأصمعي, ص53.

(3) يشرون:يظهرون,الديوان ص13

(4) : إعجاز القرآن ,تحقيق السيد صقر,ط دار المعارف, ص267.

(5) نقله ابن الأنباري عن ابن حبيب ص 53,وقال به الزوزني أيضا,ينظر:شرح المعلقات السبع للزوزني, ص27.

وهذا المعنى مفهوم من معنى البيت السابق (تجاوزت أحراسا...) ومبني على أنها كانت تروم إبعاده عنها من كل سبيل ,ولكنه كان يتخطى جميع الحواجز والمعوقات في سبيل الوصول إليها,وفيه معنى أنها غير راغبة فيه أو في زيارته,وإلا لما حاولت أن تدفعه عن نفسها.

والسياق لا يقوّي هذا المعنى ولا يؤيده,فإنك لا تجد فيه كلمة واحدة تتبرم فيها بمجيئه أو تثبت فيها أنها غير مرحبة بقدومه,ما عدا بيت الدراسة والذي لا يوحي بالردع أو الصدّ ,بقدر ما يوحي بالتهالك عليه,والعجب منه , والخوف عليه أيضاً, كيف وقد قالت العرب عن هذا البيت إنه ((أغنج بيت في الشعر)) (1)فلا يمكن أن يكون معنى الصد والتبرم والدفع صحيحاً,بناءً على ما تقدم.

وقالوا أيضاً إن المعنى:(ليس لك حجة في أن تفضحني) (2)والحق أن خشية الفضيحة ,والخوف من عارها مسألة لم تكن واردة في المعلقة أصلاً ,حتى إنه لم يهتم بهذا الأمر- أعني خوف الفضيحة- ولم يذكره ,وهي أيضاً لم تبد تخوفاً ظاهراً منه , ولعل هذا التفسير إسقاطٌ لمعنى البيت الآخر المشابه له على بيت المعلقة, ولو كان هذا التفسير في القصيدة الأخرى لوجد له عدة أدلة أو مسوغات تدعمه دعما ظاهراً لا لبس فيه ولا تمحل, أما في هذه القصيدة فإن السياق يأباه.

وقال آخرون إن المعنى ((ليس لك وجه مجيء إلينا)) (3)ويظهر لهذا القول معنيان ,فإن كان المراد أنه ليس له وجه حق في الوصول إليها , فإن سابق المعرفة بينهما حرمة,والذي يظهر أنها معرفة وطيدة بينهما,وليست قريبة العهد,فهذا المعنى قد لا يصح لما فيه من مباشرة وتناقض.

وإن كان المراد أنه ما من طريق يمكن أن تسلكه إلينا , فيقال فيه ما قيل في المعنى الأول من أنه لا يقال له بعد وصوله إليها مثل هذا , وحمله على معنى التعجب :كيف تأتى له الوصول ,أولى.

وقال التبريزي إن المعنى : ((ما لك حيلة في التخلّص, ويجوز أن يكون المعنى :مالك حيلة فيما قصدت له)). (4)

---

(1) ينظر:شرح المعلقات السبع الزوزني ص27.
(2) نقله ابن الأنباري ولم ينسبه إلى قائل معين,ص53,والزوزني في شرحه ص27.
(3) نقله ابن الأنباري ولم ينسبه إلى قائل معين,ص53.
(4) شرح القصائد العشر ,للتبريزي,ط مؤسسة المعارف ,لبنان,1423هـ,ص 35.

والأول معنى دقيق لطيف,ومفهومه : أنك وصلت ودخلت وانتهيت إلي من بينهم ,فكيف لك في الخروج والخلوص من بين أيديهم.
وفي هذا المعنى تخوف عليه وإشفاق مما قد يناله من أذى على أيديهم,فيأتي الرد المباشر الذي يفيض قوة, وجسارة, وحدّة قلب ,رد بالفعل وليس بالقول, وذلك هو قوله:

خَرَجتُ بِها أَمشي تَجُرُّ وَراءَنا عَلى أَثَرَينا ذَيلَ مِرطٍ مُرَحَّلِ[1]

وفي هذا عدة أمور من الشجاعة, والأخذ بالحزم, ومعرفة الموارد والمصادر , ولاحظ الفعل (خرجت) الذي جاء فعلاً مباشراً ليقطع كل وهم قد يصل إلى عقل قد يسأل فيقول:
فما كانت حيلتك في التخلص؟
حيث لا معنى لتكلف الجواب على السؤال ؛لأنه قال مباشرة (خرجت) فنقل الكلام إلى ما بعد اللقاء.
والمعنى الآخر في كلام التبريزي قد يكون المراد به (أنك قصدت إلى زيارتي دون أن تحتال لتلك الزيارة) وهذا المعنى ألطف من الأول, وسوف يأتي الحديث عنه.

وهناك معنى آخر استخلصه الدكتور /محمد أبو موسى,عندما تعرض للأبيات في كتابه (الإعجاز البلاغي) بين فيه أن ((التي فاجأها لدى الستر وقد نضت لنوم ثيابها ,قالت له "مالك حيلة"وكأنها تعتذر عنه ,وأن الذي هو فيه طبْعٌ له طُبِعَ عليه وخِيمٌ ,ونفس هكذا خلقت ,فلا حيلة له فيما يفعل ,ولن تذهب عنه غوايته ,فلا قيمة للوم ولا تعنيف,ولا تمنع,"فقمت بها أمشي تجر وراءنا" وكأنه قد ألفها وألفته)).[2]
وقال الدكتور في رؤية جديدة له عن هذا الجزء من البيت في كتاب حديثٍ إنها((لم تنكر عليه إلا أنه تجاوز الحيلة و في اقتحامه لمخدعها, وجاء معتدّاً بقوته ومجده وعزه))[3],وهو قريب من الرأي الثاني في كلام التبريزي, وإليه تعود جذوره ,مع زيادة عالية في الحسن ,وتلك هي الاعتداد بالعز والمجد.

---
(1) ينظر الديوان ص14.
(2) الإعجاز البلاغي,د/محمد أبو موسى,ط الثانية ,مكتبة وهبة,1418هـ,ص300.
(3) الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى ص 65.

ومفهوم كلام الدكتور أنك تركت سبل الحيلة في زيارتي وقصدت إلى طريق الجسارة والقوة والتحدي , وكأنك لا تعرف من طرق الاحتيال ما تصل بها إلى ما تريد , فتسلك هذا الطريق الخطر,معتدّاً بعزك وقوتك ومجدك.

استدل الدكتور على أن المراد نفي الحيلة عنه هو, بدخول النفي على الخبر المقدم في قوله: (ما لك حيلة) حيث إن الأسلوب في هذه الحالة يفيد الاختصاص. (1)

ويدعم هذا أيضاً أن الشطر الثاني معطوف على جواب القسم الذي ينفي عنه الحيلة, والشطر الثاني يثبت له وجود الغواية التي هي متناسبة مع عدم سلوك سبيل الحيلة بالاستمرار في الجسارة.

وهذه المعاني كلها بتقاربها وما تحمله معها من دلالات وأدلة تترابح وتثرى ولا تتعارض, بل تزيد من فرص الفهم الأوسع للمراد ,وتفتح الآفاق أمام ذلك الفهم.

أما الشطر الثاني من البيت (وما إن أرى عنك الغواية تنجلي) فهو آخذ حكم القسم لأنه معطوف على جواب القسم كما تقدم ولا يمنع هذا من أن تكون العماية هنا هي (ترك الحيلة) هناك,والتي لا يزال معتقداً إياها.

وهذا البيت ينبئ بصفات في امرئ القيس تعتقدها هذه المرأة فيه, بل وتحلف وتؤكد عدم تبدلها منه, بالقسم , وإن الزائدة للتوكيد,وهذا منفذ للشاعر أخبر فيه بصفات له, تكون محل تصديق إن قالها غيره, واعتقدها سواه , فكان هذا ما حصل على لسانها.

وفي الأخرى قولها (إنك فاضحي) وتأكيد هذه الجملة يشي بشيء مما اعتمل في صدرها من خوف الفضيحة,حتى إنها اعتقدت أنه بفعله هذا إنما يسعى لفضحها قصداً وبدءاً ولاثمة شيء آخر يسعى إليه.

وقولها (أَلَستَ تَرى السُمّارَ وَالناسَ أَحوالي) مرتبط بقولها (إنك فاضحي) فهذا الاستفهام الإنكاري التوبيخي, وما يحمله من لوم وتقريع وتعنيف يبين مدى الهلع الذي عانت منه وقاسته بسبب عدم اختياره الوقت المناسب, وبسبب أنه لم يتوق الافتضاح في هذا المجيء , بل إن دخوله والحالة هذه(السمار والناس حولها) يبين أن دخوله دخول من ليس له أدنى نظرة ,وليس له أقل رؤية, أو أدنى اكتراث , وهذا كله بيان لمقدار خوفها من الفضيحة التي كادت أن تلمّ بها.

على أنه يلحظ هنا أمر آخر ,وهو أنها لم تكن راغبة في زيارة امرئ القيس لها ؛ولذلك كثرت أعذارها وتخويفاتها له، فمثلا قولها(ألست ترى السمار) قال فيه

---

(1) ينظر: السابق ص 65-66.

البطليوسي : ((كأنها تخوفه السمار)) [1], فهي تريد ردعه وإبعاده ولكن هيهات, وقبل هذا قولها :(سباك الله) لو حمل على معنى إرادة الدعاء .
على أن تخويفها له بالسمار هو ما اضطره إلى أن يحلف لها في قوله:

فَقُلتُ يَمينَ اللهِ أَبرَحُ قاعِداً وَلَو قَطَعوا رَأسي لَدَيكِ [2]

ومفهومه أنها ربما قالت له:اذهب أو لا تبق عندي إما خوفاً وإما بحجة وجود السمار والناس ,فرد عليها بهذا اليمين.
وكأن هذا لم يكف,فحلف لها يمينا أخرى فاجرة بأن الناس قد ناموا, ولم يبق منهم مصطل ولا سامر, وبعد هذا كله بقي تنازع الحديث بينهما ,والذي انتهى بإسماحها ,ثم إخباره عنها بأنها كانت صعبة لا تراض إلا بعد لأي ومشقة.
وخوف الفضيحة الذي نشر رواقه على هذه المرأة (سلمى) لم يكتنفها وحدها بل قد كان داخلاً فيه امرؤ القيس أيضاً , فقد خشي الفضيحة أيضا في هذا القصيدة بخلاف ما كان عليه , وما كن عليه صويحباته في المعلقة,لأنه قال في خواتيم هذه القصيدة:

صَرَفتُ الهَوى عَنهُنَّ مِن خَشيَةِ وَلَستُ بِمُقليِّ الخِلالِ وَلا قالِ [3]

وفسر الأعلم (الردى)هنا بالفضيحة وقال :((خشية الردى: أراد خشية الفضيحة ولم يرد الهلاك لأنه قد نفى في شعره أن ذلك لا يدرك منه لعزته ومنعته)). [4]
وهذا دليل أن خوف الافتضاح كان من سلمى ومن امرئ القيس في هذه القصيدة على حد سواء.
كما أن نفس الشباب في المعلقة لا يهيئ لظهور معنى الخوف من الافتضاح,بعكس الأخرى التي بالقطع قد قالها بعد ما شاخ و بالقطع أيضا أنها مما قيل بعد المعلقة

---

(1) شرح الوزير البطليوسي ص129.
(2) يمين الله أبرح :أي لا أبرح, والأوصال: جمع وصل , وهو كل عضو ينفصل عن الآخر.
ينظر الديوان ص32.
(3) قوله :(من خشية الردى) أراد خشية الفضيحة,ولم يرد الهلاك ؛لأنه قد مضى في شعره أن ذلك لا يدرك منه لعزته ومنعته,والخلال :المصادقة,أي لم أصرمهن – لأنني قليتهن أو لأنهن قلينني- ولكن خشية الافتضاح والعار.
ينظر الديوان ص35.
(4) ينظر شرح الأعلم ص114.

[1]لأن خوف الفضيحة ومراقبة المجتمع والاهتمام بالسمعة الحسنة من المعاني التي يكون لها حضور أكبر عند التقدم في العمر,بخلاف الشباب وغوايته.

***

(1) ينظر الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى , ص 197, وزعامة الشعر الجاهلي , عبد المتعال الصعيدي, ص: 54.

وقال امرؤ القيس: [1]

خَرَجــتُ بِهــا تمشـــي تَجُــرُّ   عَلـى أَثَرَينـا ذَيـلَ مِـرطٍ مُرَحَّلِ [2]

وهو يشبه قوله: [3]

دَخَلــتُ عَلــى بَيضــاءَ جُــمٍّ   تُعَفّــي بِـذَيلِ الـدِرعِ إِذ جِئـتُ [4]

---

(1) الديوان :ص14.

(2) المرط:كساء من خزّ أو صوف أو كتان,وقيل هو الثوب الأخضر, وجمعه مروط,ويؤتزر به, والمرط يقال لكل ثوب غير مخيط.

المرحّل:ضرب من برود اليمن,وسُمّي مرحلاً لأن عليه تصاوير رحل, فمعنى المرط المرحل:الإزار أو الكساء الذي عليه تصاوير الرحال.

ينظر:اللسان (مرط ,رحل).

(3) الديوان ص171.

(4) جمّ عظامها:جم العظم فهو أجم إذا كثر لحمه,وامرأة جماء العظام: كثيرة اللحم عليها.

تعفي: بمعنى تمحو وتخفي.

الدرع: درع المرأة قميصها,وهو أيضا الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها.

المودق:الموضع والمسلك.

ينظر اللسان :(جم,عفا,درع,ودق).

البيت الأول من المعلقة وهو من مقطع حديثه عن بيضة الخدر التي لا يرام خباؤها ,والتي قد حرست وحصنت بحراس وأهوال,ولكنه تمكن من أن يدخل عليها خدرها في هدأة من الليل,فكان أن ذعرت وخافت عليه, وخشيت كثيراً على سلامته, وشكّت في قدرته على الخلوص سالماً من بين أيديهم, فحلفت له يميناً تنفي فيه الحيلة عنه, وتثبت فيه الغواية له , فرد مباشرة بما يوحي باجتيازه الحراس والأهوال , بقوله:

خرجت بها...

أما البيت الشبيه فهو من قصيدته التي مطلعها:

ألا اِنعِم صَباحاً أَيُّها الرَبعُ وَاِنطِقِ وَحَدِّثِ حَـديثَ الرَكـبِ إِن شِـئتَ وَاِصـدُقِ (1)

وفيها حدث عن الذين رحلوا بليل ووصف حمولهم,ثم عزّى نفسه بثلاثة أمور:

- سفره على ناقة جسرة.
- دخوله على حسناء جماء المرافق.
- غدوه في رحلة صيد.

أما الأمر الأول فقد افتتح الحديث عنه بقوله:

فَعَزَّيـتُ نَفسـي حـينَ بـانوا بِجَسرَةٍ أَمونٍ كَبُنيانِ اليَهودِيِّ خَيفَقِ (2)

ووصف منها أوصافاً,ثم عطف على قوله (بجسرةٍ) قوله:

وَبَيـتٍ يَفـوحُ المِسـكُ فـي ...ه بَعيدٍ مِنَ الآفاتِ غَيرِ مُرَوَّقِ (3)

ويليه بيت الدراسة:

دخلت على بيضاء...

وبالعودة إلى بيت المعلقة فإن أول ما يلحظ فيه هو قوله (خرجت) والتي تكونت من مسند ومسند إليه,وكأنه يعتدّ بذكر الفاعل ويشهره , لفتاً منه إلى شجاعته وجسارته,وأنه شخص لا يهاب ما يمكن أن يهاب عادةً.

---

(1) انعم صباحا:تحية أهل الجاهلية,وقالوا الدعاء للربع والمراد أهله.
ينظر: الديوان ص168.

(2) حين بانوا:أي حين انقطعوا,والجسرة:الناقة الطويلة,وقيل التي تجسر على السير والأهوال ,والأمون الناقة الموثقة الخلق,أو التي يؤمن عثارها,والخيفق:الطويلة.
ينظر الديوان ص169.

(3) يفوح بمعنى ينفح ويضوع,والحجرات النواحي, وغير مروق:أي ليس له رواق.
ينظر الديوان ص171.

وأنت واجد في الأبيات الأُوَل من المقطع ,أن ذكر المسند إليه (الضمير) قد تكرر فيها,وهذا يشير إلى أي مدى بلغ به اعتزازه بنفسه,لترداده: فعلت وفعلت وفعلت,وهذه الأفعال على الترتيب هي:

(تمتعتُ,تجاوزتُ,فجئتُ,خرجتُ,قلتُ.)

كما أنه لما كان سعيه ليثبت ما يتمتع به من جسارة وقوة,وأثبت لنفسه القدرة على الدخول إليها من بين الحراس,كان من الإمعان في إثبات هذه القوة والجسارة أيضاً أن يخرج بها من أمامهم,وهذا أشدّ, وفيه المزيّة والقوّة ,فكأن كلمة (الخروج) في هذا البيت مقصودة لذاتها,لأن ((خروجه بها وتجاوزه بها ساحة الحي, أكثر تحدياً للأحراس ,وأهوال المعشر,من اجتيازه إليها)) [1].

وهذا يبين أيضاً ويدعم أحد تفسيرات قولها في البيت السابق:(مالك حيلة) والتفسير هو ((مالك حيلة في التخلص)) [2]فكان قوله في البيت التالي لقولها:(خرجت بها...)تبياناً لمقدار شجاعته, وإمعاناً أكبر في تصوير قوته,وعظيم حيلته في التخلص.

أما البيت الشبيه فأول ما يلحظ فيه قوله:(دخلت)الذي هو ضد قوله في بيت المعلقة (خرجت) ,والدخول هنا إلى بيت عظيم,فالبيت لفتاة من علية القوم, كيف والمسك يفوح ويضوع في جنباته, وهو بيت بعيد عن الآفات كل الآفات حيث:((أومأ إلى أن هذه الحسّانة التي دخل عليها,لم يدخل عليها أحد لا قبله ولا بعده, لأن هذا البيت سليم من الآفات,بهذا العموم لمعنى الآفات)). [3]

وهذا معناه أن دخوله كان إلى بيت نظيف وليس إلى بيت من بيوت الخنا, والدخول إلى بيت فيه هذه المميزات مما يتمدح به الشاعر,وهو لا يتمدح بدخول بيوت الفجور والدعارة,ولهذا فإنه لا يجد حرجاً في إضافة هذا الدخول إلى نفسه , بل أراه مغتبطاً بهذا الدخول,ولا سيما أن هذا البيت الذي دخله (غير مروّق) كما ذكر في البيت السابق , والبيت ((غير المروق هو القصر)) [4],ودخول القصر لا يتسنى لكل أحد,فضلاً عن أن يكون الداخل من أهل الفجور والخنا.

ويلحظ في بيت المعلقة اعتداده بنفسه ,من خلال الجار والمجرور(بها) والمعنى: أنا الذي أخرجتها من خدرها,حيث ((أفادت الباء تعدي الفعل, والمعنى: أخرجتها من خدرها)) [5] ,والفعلان المضارعان (تمشي وتجرّ) دلا على تجدد الحدث من فاعلهما

(1) الشعر الجاهلي ,د/محمد أبو موسى ,ص66.
(2) ينظر :شرح القصائد العشر, التبريزي ص35.
(3) الشعر الجاهلي د/محمد أبو موسى,ص203.
(4) السابق نفسه.
(5) شرح المعلقات السبع,الزوزني ص27.

المحذوف (بيضة الخدر) الذي دل السياق عليه,ويفهم من هذا أنها سعت لجر الرداء,وأنها كانت مهتمة بإخفاء الأثر أكثر منه,فـ((أومأ بهذا إلى حالة الخطر التي استشعرتها هي ولم يستشعرها هو,فجرت ثيابها على أثريهما)) (1)
وكل هذا متساوق مع روح الجسارة والتحدي والعنجهية,التي كانت تفيض منه في المعلقة.
أما قوله :(ذيل مرط مرحل) فإنه أومأ به (إلى مكانتها ونعمتها وعزها في قومها) (2),حيث إنها تجر ثياب الصوف والخز على التراب لإخفاء الأثر,ولا ننس أنها ثياب (مرحّلة) قد بذل في عملها الجهد ,واستفرغ الوسع والطاقة, فهي قيّمة غالية لا محالة, ويدعم هذا - أعني كونها في عز ونعمة - يدعمه ما ذكر من صفا ت سابقة لها,أقربها تلك الحراسات والتحصينات التي لا تكون إلا للعلية من الملأ.
أما قوله في البيت الشبيه: (على بيضاء) فهو دليل على أنها ذات شأن في هذا القصر التي هي فيه, لأنه خصص دخوله عليها ,كما يقول - مثلا- من دخل على ملك أو أمير :دخلت على كريم,أو عظيم وهكذا,على أن اختياره لهذه الصفة فيها من بين صفاتها يدل على أنها صفة لافتة فيها,فكان ذكرها أولى من ذكر غيرها.
وبيضاء في هذا البيت قد تتوسع دلالاتها فتدل على بياض منشؤه الخلقة وبياض منشؤه الدعة والراحة,وكلاهما مراد ,فالأول واضح بما يدلّ عليه قوله ,وبما يتبادر إلى الذهن ,والعرب تحبه كثيراً ,والتدليل على ذلك من التكلف.
والبياض الذي يكون نتيجة الدعة والراحة,والنعمة وعدم العمل الشاق, مستشفّ من القصر الذي تسكنه,والذي يستحيل أن يكون بلا خدم,ومأخوذ من (جم عظامها) لما فيه من العافية والنعمة التي هي فيها, نتيجة الخدمة والوفر الذي تعيش فيه.
وتعفي فعل مضارع يدل على التجدد والحدوث, وحذف المسند إليه لظهوره بدلالة السياق,وحين تكون التعفية بذيل الدرع فإنها تدل على طوله وسبوغه ,وأنها تستخدم ذيل هذا الدرع لإخفاء الأثر,غير آبهة بما يحصل له من الفساد,وسبوغ الثياب وعدم الاكتراث من دلالات الغنى واليسار.
وقد يكون المعنى أنه فاجأها بهذا الدخول,وهي لابسة درعها الصغير(ثوب البيت),وقت مجيئه,فما كان منها إلا أن تستخدم ثوبها الذي تلبسه لتمحو آثاره, وقد يكون أراد من ذكر الدرع الإشارة إلى حداثة سنها,فالدرع يطلق أيضا على ثوب الجارية الصغيرة.

---

(1) الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى ,ص67.
(2) السابق نفسه.

***

وقال امرؤ القيس: (1)

إذا قلت هاتي نوليني تمايلت عَلَــيَّ هَضَــيمَ الكَشْــحِ رَيّــا (2)

وهو يشبه قوله: (3)

فَلَمّــــا تَنـازَعنــــا الحَـــديثَ هَصَرتُ بِغُصنٍ ذي شَماريخَ (4)

(1) الديوان: ص15.
(2) نوليني:النائل العطاء,وقيل النولة:القبلة,فيكون المعنى قبليني.
تمايلت: من الميل وهو العدول إلى الشيء والإقبال عليه.
والهضيم:بمعنى اللطيف,والهضيم من النساء اللطيفة الكشحين, واستشهد في لسان العرب بالبيت.
الكشح:ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف,وقيل هو الخصر.
ريا:الري ضد العطش,والمراد هنا الامتلاء,أي امتلاء الساق.
المخلخل: موضع الخلخال من الساق.
ينظر: اللسان (نول,ميل, هضم,كشح ,روي,خلل)
(3) الديوان ص24.
(4) المنازعة هي المجاذبة في الأعيان والمعاني.
وأسمحت:تأتي بمعنى الموافقة على المطلوب,والمتابعة والانقياد,وتقال أيضا لمن جاد وأعطى عن كرم وسخاء.
هصرت:الهصر أن تأخذ برأس شيء ثم تكسره إليك,من غير بينونة,واستشهد في اللسان بالبيت.
والشماريخ: مفردها شمروخ,وهو العثكال الذي عليه البسر.
ينظر :اللسان (نزع,سمح,هصر,شمرخ).

البيت الأول من المعلقة ,وهو من حديثه عن بيضة الخدر. [1]
والبيت الثاني من قصيدته التي مطلعها:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي [2]

وهويأتي في سياق حديثه عن(بيضاء العوارض) سلمى ,وماكان منه معها.

وأول ما يلحظ في بيت المعلقة أنه مصدر بـ(إذا) الشرطية التي دخلت على الفعل الماضي (قلت) ,وقد أعطى هذا التركيب معنى مفاده :أن هذا القول منه محقق كثير الوقوع,وليس بالمرة الأولى التي يحدث فيها هذا الأمر منه ,بل يمكن أن يكون قد سبق بمرات كثيرات.

ثم إنه أردفه بفعلي أمر هما (هاتي ونوليني) وهذان الفعلان يفهم منهما ((أنه لم يسع هو نحوها ليصيب منها ما يشتهي,كما هو الشأن في صاحب الصبوة,وإنما ثبت في مكانه وأصدر لها أمرين(هاتي ونوليني) فأجابت وتمايلت)) [3],وهذا الذي حدث -أمره وإجابتها- أمر مخالف للمعهود في مثل هذه الحال, والسر الكامن وراء هذا ,أن هذا الحديث الذي ساقه امرؤ القيس هذا المساق ((ليس حديث صبوة,وإنما هو حديث اقتدار ,وسطوة ,واستعلاء)). [4]
وقوله (نوليني) بمعنى قبليني, واقع في سياق ومساق قوله الآخر في نفس القصيدة,طالباً التمكين في هذا الفعل الذي يبدو أنه معتاد عليه:

ولا تبعديني من جناك المعلل [5]

وقوله "تمايلت" جواب إذا في صدر البيت,وفاعل هذا الفعل هو "الصاحبة" والضمير المستتر يعود إليها,وهذا الجواب مترتب على أوامر سابقة هي (هاتي و نوليني) ,وهذان الفعلان أمران صادران من الشاعر إلى حبيبته على سبيل الحقيقة, والدليل على أنهما على سبيل الحقيقة و الاستعلاء هو قوله "تمايلت" الذي يحمل معنى: المبادرة بالتنفيذ لما أمرت به,وهذا التنفيذ دليل على أن الأمر على حقيقته ولم

---

(1) الديوان ,ص:15.
(2) الديوان ص 27.
(3) الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى ص70.
(4) السابق نفسه..
(5) حيث أراد بالجنى ما يجتنيه منه من القبل وغيرها. الديوان ص12.

يكن على جهة الطلب أوالالتماس؛لأنه لو كان طلباً أو التماساً فإنه لا محالة سيكون الجواب تمنّعاً وتأبّياً, كما هي الحال في مثل هذا,ولكن هذه المبادرة بالتنفيذ دلت على أن هذا الأمر على حقيقته .

وعلى هذا فامرؤ القيس في المعلقة لم يرد أن يثبت حبّاً أو صبوة كما سبق أن قيل ,بقدر ما أراد أن يثبت القدرة والسطوة , ولهذا أدلة أخرى من سياق القصيدة وأبياتها.

ومن هذه الأدلة مثلاً قوله في مطلع الحديث عن هذه الصاحبة :

وَبَيضَةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤُها تَمَتَّعتُ مِن لَهوٍ بِها غَيرَ مُعجَل [1]

وهذا صريح في أنه اقتحم مكاناً لا يرام اقتحامه,لما ذكر من موانع, ثم إنه تمتع بالتلهي بها على مهل ومن دون إعجال ,وهذا دليل قوة وسطوة,ودليل على انعدام الخوف أو الاكتراث.

ومن الأدلة أيضاً قوله:

تَجاوَزتُ أَحراساً عَلَيَّ حِراص لَو يُشَرّونَ [2]

وفيه دليل أنه اقتحم مكاناً صعباً، محصناً، محوطاً بالحراسة المهولة,وفيه ما فيه من الأدلة على ذكاء العقل وحدة الفؤاد والقدرة على احتياز المراد.

وبالعودة إلى البيت فإن الجار والمجرور (علي) فيه روح الزهو والمسرة بتنفيذ الأوامر وحصول المطالب.

وتلاه وصفها بأنها (هضيم الكشح ريا المخلخل),وهذا الوصف فيه أمور :

أولها/ أنه لا يزال في مطلع فصل الوصف , وفي بدايته فصدره بهذا الذي كان ناتجاً عن إجابتها له ,وتمايلها عليه,وقد يكون أول ما لفته بعد هذا التمايل والالتزام أمران هما:

(دقة خصرها وامتلاء ساقيها.)

لأن هذين الأمرين هما أظهر الأمور عنده والحالة هذه.

ثانيها/ أنه في قوله السابق في مفتتح الفصل,لم يكن إلا مجملاً لحديث هو ينوي أن يفصله فيما بعد ولذلك ثلاثة أدلة:

الأول:أن قوله (مهفهفة بيضاء غير مفاضة) [3]تفصيل لقوله (هضيم الكشح), أليست (مهفهفة) و(غير مفاضة) هما الوجه الآخر لقوله: (هضيم الكشح)؟

---

(1) الديوان ص13.

(2) السابق نفسه.

(3) الديوان ص 15.

الثاني/ أن قوله (غذاها نمير الماء غير المحلل) [1]فيه إشارة إلى الامتلاء والري بالماء الصافي,الناجع في البدن.
و(ريا المخلخل) فيه معنى الامتلاء والري من النعمة في لحم الساقين.
أما قوله فيما بعد :

وَكَشحٍ لَطيفٍ كَالجَديلِ مُخَصَّرٍ وَساقٍ كَأنبوبِ السَقِيِّ المُذَلَّلِ [2]

فهو البيت الذي يؤكد ما نرمي إليه من أن قوله (هضيم الكشح ريا المخلخل) في بيت الدراسة ليس إلا إجمالاً لما سوف يفصل الحديث فيه فيما بعد.
فأنت واجد أن الشطر الأول تفصيل لقوله :(هضيم الكشح) وتوسيع للدلالة فيها.
والشطر الثاني تفصيل لقوله :(ريا المخلخل) وتوسيع لدلالتها أيضاً.
الثالث/ جمع الشاعر لهما في نصف بيت ,وهو قوله (هضيم الكشح ريا المخلخل) يوحي بارتباطهما في ذهنه ارتباطاً لا فكاك منه,والدليل على هذا أنه عندما أراد الحديث عنهما مرة أخرى جاء بهما في بيت كامل ,ولم يتخلف أحدهما عن الآخر قال:

وَكَشحٍ لَطيفٍ كَالجَديلِ مُخَصَّرٍ وَساقٍ كَأنبوبِ السَقِيِّ المُذَلَّلِ

فأنت واجد أنه قد فصل هنا ما اختصره هناك,ولارتباطهما في عقله معاً جاء بهما مرة أخرى معاً وهذا دليل أنهما عنده مترابطان لا ينفكان,وليس بخاف أن هضيم الكشح قد توسعت دلالتها ودخل عليها التصوير في الشطر الأول:(وَكَشحٍ لَطيفٍ كَالجَديلِ مُخَصَّرٍ), وقوله (ريا المخلخل) قد توسعت دلالتها ودخل عليها التصوير في قوله في الشطر الثاني :(وَساقٍ كَأُنبوبِ السَقِيِّ المُذَلَّلِ).
ثالثها /- أي ثالث الأمور المذكورة في وصف (هضيم الكشح ريّا المخلخل) - أن كلمة (ريا) جاءت متفقة في اللفظ والموقع مختلفة في المعنى مع البيت السابق عليها في القصيدة ,حيث قال:(ريا القرنفل) وهنا (ريا المخلخل) وهذا من حسن البناء وإحكامه[3].

أما البيت الشبيه فيلحظ فيه أنه مصدر بـ(لما) وهي ظرفية مضمنة معنى الشرط,اقتضت جملتين ,وجدت الثانية (هصرت) بعد وجود الأولى (تنازعنا الحديث

---

(1) السابق ص 16.
(2) السابق ص17.
(3) ينظر: الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى ,ص69.

و أسمحت),وهنا يمكن القول إن (لما) في هذا البيت لبنة محكمة من لبنات بنائه,تمدّ بسبب إلى جميع كلماته.

وقوله :(تنازعنا) فيه معنى التشارك والتفاعل والتجاذب بين اثنين,لأن هذا الباب (فاعل وتفاعل) كما تقول:(نازع وتنازع) يقتضي أن يكون الأمر ((من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه))(1),وهذا يدل على أن الأمر هنا مع هذه المرأة لم يكن سهلاً بل كان فيه من التنازع والتجاذب الشيء الكثير, وقد عطف على هذا الفعل الذي لقي فيه منازعة ومشاركة الفعل الذي نتج عن تلك المنازعة,وهو قوله:(وأسمحت) والذي يفهم منه أنها ((انقادت وسهلت بعد صعوبتها وامتناعها)). (2)

وهذا المعنى ذكره الأعلم بهذا النص ليربط بين معنى الكلمة وسياقها.

فبعد أن سما إليها سموّ حباب الماء,وما جابهته به من صد في قولها (سباك الله),وحلفه لها بعدم مبارحة المكان, بعد أن خوفته الناس ولو قطعوا رأسه,وأوصاله عندها,ثم اضطراره إلى الحلف بالله فجوراً بأن الناس قد ناموا,وتنازعه الحديث معها وتجاذبهما إياه ,بعد كل هذا (أسمحت) ,فهذا الإسماح لم يكن مجرد موافقة وليان وانقياد سهل,بل كان من الصعوبة بما أشار إليه من قبل,وبما قاله بعد ذلك :(ورضت فذلت صعبة أي إذلال) فقوله:(صعبة)((يشير إلى أنها لم تذل إلا بعد تصعّب وتعذر)) (3).

ثم يأتي في صدر الشطر الثاني جواب (لمّا) وهو قوله :(هصرت) وهذا الفعل فاعله امرؤ القيس,والضمير فيه يعود إليه,وسياق الأفعال الذي ورد ضمنها متوافق معها,فإنك واجد في المقطع:

[تنورتُ,نظرتُ,سموتُ ,فقلتُ ,حلفتُ,ثم **(هصرتُ)**وبعده**:رضتُ,فأصبحتُ.]**

وهذه الأفعال كثيرة مفعمة بالحركة,وكلها مسندة إلى ضمير الفاعل,الذي يعود إلى امرئ القيس,ولا يخلو هذا من الدلالة على أمور منها:

- الرد المباشر على ما زعمته صاحبته بسباسة من أنه قد كبر ولا يحسن اللهو,ولا يخفى أن الرد بجملة من الأفعال التي أسندها إلى نفسه,يحمل دلالات

---

(1) شرح الوزير البطليوسي ,ص130.
(2) شرح الأعلم ,ص 109.
(3) الشعر الجاهلي د/ محمد أبو موسى ص70 .

القوة والقدرة على الفعل - اللهو وغيره - مما يجزم بتكذيب هذا الزعم ,وهذه الفرية التي نالته على لسان صاحبته, ولأن الرجل في موقف المدافع عن نفسه الذاب عنها فقد أكثر من هذه الأفعال المضافة إليه.

- أن الفعل (هصرت) يلحظ مجيئه بعد فعلين هما(تنازعنا وأسمحت) والتنازع كما مر (منهما) والإسماح كان (منها) هي ,فلا عجب أن يكون بعدهما الفعل الذي يكون منه هو ,الذي هو (الهصر).
- يلحظ التدرج من تنازع الحديث,وما فيه من أخذ ورد وجذب وشد, إلى (أسمحت) وما فيه من موافقة وليان بعد تصعب وتعذر,إلى (هصرت) الذي سيكون نتيجة حتمية لذلك التدرج ,وتلك المسيرة .

أما قوله:في الشطر الثاني:

"هصرت بغصن ذي شماريخ ميال"

فإنه ليس ببعيد من قوله في المعلقة:

"هضيم الكشح ريا المخلخل"

وذلك لأن هضم الكشح ولينه ودقته ,إنما يكون إذا كان الخصر نحيلاً دقيقاً,وهذه الصفات مجتمعة في قوله:

"هصرت بغصن ذي شماريخ ميال"

فإن الغصن المراد يكون في أغلبه نحيلاً دقيقاً ليناً ميالاً ,قابلاً للهصر بسبب امتلائه,وارتوائه من الماء, وهذا بسبيل من (هضم الكشح وارتواء المخلخل).
وهذا المعنى - أعني الحياة والري والماء والنظارة - معنى يدور في مقاطع القصيدة ,وذلك في مثل قوله:

ألحّ عليه كل أسحم هطال

أي لزم هذا المكان كل سحاب أسود غيداق.
وقوله:

بوادي الخزامى أو على رس أوعال

حيث ذكر الوادي والبئر في زمن النعيم والوفر.
وقوله:

سموّ حباب الماء

وقوله:

وبيت عذارى يوم دجن

وقوله:

ولم أسبأالزق الروي

وقوله:

لغيث من الوسمي رائده خال

وقوله: **وجاد عليه كل أسحم هطال.** [1]

ولا ننسى أن هذا الشطر الأخير تكرر معظمه في بدايات القصيدة,وبالتحديد في بيتها الرابع, وفي هذا من الإلحاح على المعنى المراد ما فيه.
وهذا كله من علامات الخير والحياة والوفر,لأن الماء والخضرة والارتواء,وتمايل الأغصان وتثنيها من علامات الحياة الوادعة الرغيدة,وهي إشارة إليها أيام الشباب والقوة, التي هو يبكيها في هذه القصيدة.

***

وقال امرؤ القيس: [2]

مُهَفهَفَةٌ بَيضاءُ غَيرُ مُفاضَةٍ تَرائبُها مَصقولَةٌ كَالسَجَنجَلِ

(1) الديوان ص 27,الأبيات:4- 6-20-33-38-42-43.
(2) الديوان: ص 15.

[1]

وهو يشبه قوله: [2]

لَطيفَــةِ طَــيِّ الكَشــحِ غيــرِ   إذا انفَتلَت مُرتَجَّةٍ غَيرِ مِتفالِ [3]

---

(1) مهفهفة :المهفهفة هي الجارية الخميصة البطن,الدقيقة الخصر الضامرة,واستشهد في لسان العرب على هذا المعنى ببيت الدراسة,ونقل قولهم: (هفهف الرجل إذا مشق بدنه فصار كأنه غصن يميد ملاحة).
والمفاضة من النساء العظيمة البطن المسترخية اللحم, وإذا دخلت المرأة في حد ما يكره من الضخامة فهي مفاضة.
ينظر: فقه اللغة وسر العربية ,لأبي منصور الثعالبي,تحقيق د/فائز محمد , ط الأولى ,1427هـ - 2006م ,دار الكتاب العربي ,بيروت ص 47.
والترائب :موضع القلادة من الصدر,واستشهد في اللسان أيضا بالبيت.
والصقل : الجلاء.
والسجنجل: يرد على معان منها المرآة.
ينظر: اللسان (هفّ ,فيض,ترب,صقل,زجل)
(2) الديوان ص 30.
(3) لطيفة :يقال جارية لطيفة الخصر إذا كانت ضامرة البطن.
والكشح جانبا البطن وقيل الخصر.
وانفتلت بمعنى انصرفت.
مرتجة:من الرجّ وهو الحركة والاضطراب.
والمتفال: التي ليست بمتطيبة ,أو المنتنة الريح.
ينظر :اللسان (لطف,كشح ,فتل,رج ,تفل).

البيت الأول من المعلقة ,وجاء في سياقة تفصيله لأيامه الصالحات التي أجملها سابقاً,وعدّ منها يوم دارة جلجل ,يوم عقر للعذارى مطيته,وذكر منها حديث فاطمة,وحديث بيضة الخدر,وهذا البيت من حديثه عن بيضة الخدر,الذي هو أطول أحاديثه وأوفاها وينقسم إلى قسمين:

الأول/ وصف فيه دخوله على بيضة الخدر وما تبع ذلك الدخول.
الثاني/ وصف فيه بيضة الخدر وأبان فيه عن محاسنها.

وبيت الدراسة هو ثاني أبيات القسم الثاني,وهو شديد الارتباط بما قبله وبما بعده من أبيات,قال:

إذا قلت هاتي نوليني َتمايَلَت عَلَــيَّ هَضــيمَ الكَشــحِ رَيّــا المُخَلخَ[1]
مهفهفة بيضاء...البيت
كَبِكرِ مُقاناةِ البَياضِ بِصُفرَةٍ غَذاها نَميرُ الماءِ غَيرُ المُحَلّلِ [2]

حيث وصفها بأنها ضامرة البطن والخاصرة ,ممتلئة الساق,خفيفة اللحم في بياض,من غير أن تكون عظيمة البطن أو مسترخية اللحم,ولها صدر مستوٍ وممتلٍ في نعومة وصقالة كالمرآة.

أما شبيهه فهو من قصيدته التي مطلعها:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي[3]

وقد ورد البيت في سياق حديثه عن بيضاء العوارض (سلمى) وهي من اللواتي قد عرفهن ولها بهن ,وافتتح حديثه عنها بهذا الوصف المباشر لأسنانها بالبياض,وبأنها ناعمة رخصة لعوب,ينسى عندها قميصه ,لفرط استئثارها بلبّه,وغلبتها على عقله,ثم يشبهها بكثيب الرمل المحدودب في لينه وامتلائه وسهولته,ثم وصفها بأنها لطيفة الخصر ضامرته,غير عظيمة البطن ولا مسترخية اللحم ,ولا منتفخة الجنبين,يرْتجّ

---

(1) الديوان ص15
(2) البكر هنا البيضة الأولى من بيض النعام,وخصها لأن الأولى لا يخلص بياضها خلوص سائرها,وهي أيضا الدرة التي لم تثقب,يريد أن المرأة بيضاء يخالط بياضها صفرة. والمقاناة :المخالطة. والنمير:الماء العذب الناجع في البدن . وغير المحلل:أي غير المكدّر.
ينظر: الديوان ص16.
(3) الديوان ص27.

جسدها ويضطرب من النعمة إذا هي انصرفت أو تحركت,وليست بتاركة للطيب حتى تضجّ رائحتها ,فرائحتها زكية دائماً,وهذا بيت الدراسة.[1]

والذي يلحظ فيه أنه مملوء بصفات تابعة (لبيضاء العوارض) حيث جاءت جميعها مجرورة (لطيفةِ,غيرِ مفاضة,مرتجةٍ ,غيرِ متفال) وهذه الصفات قيود الغرض منها زيادة التخصيص بالصفات المقتضية بيان المحاسن , وإظهار مواطن الجمال,في هذه الحسناء (بيضاء العوارض) (سلمى).

وبالعودة إلى بيت المعلقة الذي هو أغنى وأخلب من صاحبه فإن أول ما يلحظ فيه أنه بدئ بكلمة

---

(1) قد حيرني هذا البيت كثيراً,وذلك أنه وصفها في الشطر الأول:بلطافة الخصر ونفى عنها عظم البطن,ووصفها في الشطر الثاني بأنها ترتج من النعمة , ونفى عنها خبث الرائحة. والتناسب واضح في الشطر الأول ,في حين أنه يكاد يكون معدوماً في الشطر الثاني,إلا بتمحل,بل هو كذلك ,إذ لا علاقة بين الاهتزاز من النعمة ونتن الرائحة ,إلا إذا ارتبط هذا بشيء خاص بالشاعر,ولا أظنه.

وأستطيع القول إن هذا مخالف لسنن الشاعر البيانية في مثل هذا,فهو إذا أثبت صفة في بيت ما فهو ينفي نقيضها ,معتمداً أسلوب النفي والإثبات معاً,والأدلة على هذا كثيرة,ومنها في المعلقة البيت الشبيه :

مُهَفهَفَةٌ بَيضاءُ غَيرُ مُفاضَةٍ

فأثبت بقوله :"مهفهفة" أنها ضامرة.

ونفى بقوله:"غير مفاضة" أن تكون متسعة البطن ,كبيرته,وكما يرى فهذا نفي وإثبات لقريب من قريب.

= وقال:

وَبيضَةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤُها   تَمَتَّعتُ مِن لَهوٍ بِها غَيرَ مُعجَلِ

والتمتع يقتضي وقتاً وتمهلاً , ثم قال: "غير معجل" فنفى التعجل,وهذا نفي وإثبات.

وقال:

كَبِكرِ مُقاناةِ البَياضِ بِصُفرَةٍ   غَذاها نَميرُ الماءِ غَيرُ المُحَلَّلِ

ونمير الماء: هو الماء العذب الناجع في البدن ,وغير المحلل:أي غير المكدر,مثبتاً العذوبة ونافياً الكدر.

وقال:

وَتَعطو بِرَخصٍ غَيرِ شَثنٍ كَأَنَّهُ   أَساريعُ ظَبيٍ أَو مَساويكُ إِسحلِ

فأثبت بالرخص :النعومة ,ونفى: بغير شثن,ما يضادها من الخشونة.

وقال:

أَلا رُبَّ خَصمٍ فيكِ أَلوى رَدَدتَهُ   نَصيحٍ عَلى تَعذالِهِ غَيرَ مُؤتَلِ

فأثبت بنصيح كثرة النصح ,ونفى عنه بقوله :غير مؤتل التقصير.

وقال:

وَباتَ عَلَيهِ سَرجُهُ وَلِجامُهُ   وَباتَ بِعَيني قائِماً غَيرَ مُرسَلِ

فأثبت حفظه له ونفى ما يضادها من الإهمال والإرسال.

وفي نفس القصيدة التي منها بيت الدراسة ,وفي البيت الذي يليه مباشرة قال:

إِذا ما الضَجيعُ اِبتَزَّها مِن ثِيابِها   تَميلُ عَلَيهِ هَونَةً غَيرَ مِجبالِ

فقال: "هونة" فأثبت لها لطف الجسم ورقته,وقال:"غير مجبال" فنفى عنها الثقل,والضخامة التي تصير بها كالجبل.

وتبقى علامات استفهام حيرى ,حول تلك المخالفة منه للسنة البيانية التي كان هو قد اختطها لنفسه حتى يظهر لها جواب.

ينظر الديوان ص:13,وما بعدها.

وشرح الأعلم ص: 104,وما بعدها

(مهفهفة) والتي هي كلمة جارية كالماء الرقراق, أو النسيم الهفهاف,والتي وقعت خبرا لمبتدأ محذوف ,تقديره:(هي),عائد على بيضة الخدر التي وصفها ,فهذا المسند إليه قد حذف كما هو شرط البلاغة في الحذف ,عند المدح ,ولا شكّ أن تعداد صفات الجمال من المدح[1].

على أنه يلمح فيه اهتمام بالمسند أوجب أن يذكره دون المسند إليه , وأن يقدمه في صدر البيت,ليقول: إنني معني أتم العناية بهذه الصفة من صفاتها.

و(بيضاء وغير مفاضة) قيدان للمسند الغرض من ذكرهما فوق المدح زيادة التخصيص,والتوضيح ,والإبانة ,لصفات أخر من صفاتها.

أما قوله (ترائبها مصقولة) فهما مسند ومسند إليه ذكرا جميعاً على ما هو الأصل في الكلام ,وحسُن هذا الذكر,لمّا كان الغرض زيادة التدقيق في الوصف,والمدح ,واستحضاراً للمعاني الأخر التي لا تتحقق إلا بالذكر.

وفي ختام البيت تشبيه رائع جداً ,حيث شبه ترائب صاحبته أي صدرها ,في استوائه وامتلائه وبريقه ونضارته ,بالمرآة المجلوّة . [2]

وقد استخرج الخطيب التبريزي معنًى لافتاً من هذا التشبيه,حيث قال بعد أن شرح البيت :((وإنما يصف المرأة بحداثة السن)) [3] ,حيث رأى من التشبيه الواقع في الشطر الثاني من البيت أن الشاعر شبه جزءاً من جسم المرأة يتبين فيه أكثر من غيره,صغر سنها من عدمه,وأنه إنما شبه ترائبها الممتلئة بالمرآة المصقولة ,ليشير إلى أنها فتاة يافعة حديثة السن,وهذا ملمح ذكي جداً لم أجد أحداً من الشراح قد أشار إليه فيمن قرأت لهم.

ونظر في هذا التشبيه العلامة/محمود شاكر,واستخرج معنى آخر وهو:

أنه إنما تكون ترائبها مصقولة ناعمة مستوية إذا كانت في صحة وعافية ونعمة ,وحسن غذاء وامتلاء واستواء,ويرى الدكتور/أبو موسى هذا الرأي أيضاً [4], وهو فهم آخر وملمح لافت في أن نعومتها واستواءها وامتلاءها ,يوحي بالصحة والرفه والنعمة ,ويدعم الدكتور هذا الملمح ,ووجهة النظر هذه ,بالسياق الذي وردت فيه

---

(1) ذكر الإمام عبد القاهر هذا النوع من الحذف في الدلائل ص149,وهو ما وسم بالقطع والاستئناف.

(2) ينظر: التشبيه عند امرئ القيس,د/محمد شادي,ص 57.

(3) شرح القصائد العشر ,التبريزي,ص 37.

(4) ينظر: طبقات فحول الشعراء ج1 هامش ص 88.

والشعر الجاهلي,ص 71-72.

,فيقول:((وكأنه لما ردد الكلام في خفتها وضمور كشحها ,استدرك بنفي ما يتوهم من يبسها وفرط ضمورها ,فذكر الترائب المصقولة...)). [1]

وهذان الفهمان غنيان جداً كما ترى ,ولا تدافع بينهما,فإن حداثة السن صفة مطلوبة وإن لم يصرح بها .

والإشارة إلى أنها منعمة في أتم صحة وأكملها,بعد وصفها بالرشاقة والخفة, لدفع توهم الهزال ,مما يؤكد صفات الجمال فيها.

وإن كان قد يُظن أن الصحة والعافية تظهر في جميع البدن ,ولا تختص به الترائب دون ماعداها من أجزاء الجسم ,بينما تكاد تكون الترائب المجلوة مختصة بمعنى حداثة السن عند الإطلاق,والحمل على ما اختص به المذكور ,أعلى من الحمل على العموم- في رأيي-.

وأخيراً قبل ختم الحديث فإنه لابدّ من إرجاع البصر مرّةً أخرى إلى كلمة (مهفهفة) في أول بيت المعلقة ؛لنكتشف أن هذه الكلمة واقعة موقعها من جهات عدة:

أولاً :

من حيث أصوات الحروف في الكلمة.

وذلك أن حروفها حاكية لمعناها ,بما فيه من خفة وحركة وهواء,ثم إن الفاء والهاء من الحروف

المهموسة[2],وكل منهما قد تكرر مرتين ,فأحدث وقعاً موسيقياً خاصاً, حكى معنى الكلمة ,بما

يلحظ من خروج الهواء عند نطق الهاء والفاء مع تكرارهما.

ثانياً :

من حيث علاقتها بالسياق.

فقولهم (هفهف الرجل إذا مشق بدنه فصار كأنه غصن يميد ملاحة),وعليه فالمرأة يقال لها :(مهفهفة) إذا مشق بدنها...,وكأن معنى الهفهفة مرتبط بالريح والأغصان ,والملاحة والإمالة, وكلمة البيت (مهفهفة) لها تعلق بسوابقها وثيق,ففي البيت السابق

---

(1) الشعر الجاهلي ,ص71-72.

ورأى الباقلاني أن الغرض من هذا التشبيه هو تخصيص الترائب بالضوء.

ينظر: إعجاز القرآن ص270.

(2) الحروف المهموسة عشرة حروف مجموعة في قولهم (سكت فحثه شخص).

ينظر:سر الفصاحة ,لابن سنان الخفاجي,شرح عبد المتعال الصعيدي,ط محمد صبيح ,ص20.

وينظر:دراسات في فقه اللغة ,د/صبحي الصالح,ط دار العلم للملايين الطبعة السادسة عشرة,2004م,بيروت,ص:281.

تجد كلمة (تمايلت) والتمايل والهفهفة قريبان ,وتجد الهفهفة أيضاً تناغي قوله في البيت السابق (هضيم الكشح) [1]فهما أيضاً قريبان.

ولأن الهفهفة تكون من الأغصان الريا فقط ,والملأى بالحياة دون اليابسة , فإن الهفهفة قريبة من(ريا المخلخل).

ويجوّد الشاعر مرة أخرى فيجعل قوله في البيت (غير مفاضة) قريباً من قوله في البيت السابق عليه (هضيم الكشح).

ويجعل أيضا(الترائب المصقولة) أي الممتلئة الناعمة ,تنظر إلى قوله في البيت السابق (ريا المخلخل) أي الساق المملوءة.

ذاك فيما يخص السباق ,أما فيما يخص اللحاق,فإن كلمة (بيضاء) في بيت الدراسة,قد تداركها الشاعر في البيت التالي,ليكمل الحديث عنها وليوسع القول فيها.[2]

فقال :إنها في بياضها كدرة البحر,أو البيضة البكر التي شابتها صفرة,ثم أكمل سرد صفاتها....

***

وقال امرؤ القيس[3]

وَجيدٍ كَجيدِ الرِئمِ لَيسَ بِفاحِشٍ   إِذا هِيَ نَصَّتهُ وَلا بِمُعَطَّلِ[4]

وهو يشبه قوله : [5]

لَيالِيَ سَلمى إِذ تُريكَ مُنَصَّباً   وَجيداً كَجيدِ الرِئمِ لَيسَ[6]

(1) ينظر:الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى ص72.
(2) السابق نفسه.
(3) الديوان: ص16.
(4) الجيد :هو العنق ,وقيل مقلده,وقيل مقدمه,وقد غلب على عنق المرأة.
والنص :رفع الشيء,وكل ما أظهر فقد نُص,ونصّته :رفعته.
والفحش :القبيح من القول والفعل,وفحشت المرأة إذا قبحت وكبرت.
والمعطل: تقال للمرأة إذا لم يكن عليها حلي,ولم تلبس الزينة,وخلا جيدها من القلائد.
ينظر:اللسان (جود ,فحش,نص,عطل).
(5) الديوان :ص28.
(6) منصّباً : الثغر المنصب هو المستوي النبت ,كأنه نصب فسوي.
ينظر اللسان:(نصب).

البيت الأول من المعلقة ,وقد ورد في سياق تذكر الأيام الصالحات,والتي ذكر منها ما كان مع بيضة الخدر,ثم وصفها بعدة أبيات منها بيت الدراسة.

وهذا الفصل الذي وصفها فيه ,بدأه بوصف هضم كشحها,وامتلاء مخلخلها أي ساقها,وأنها مهفهفة بيضاء صغيرة في السن كبيضة النعام البكر,أو كدرة البحر,وأنها تصدّ عنه حيناً وتبدو له حيناً بخدّ أسيل ناعم ,وتتقي عذالها والوشاة ,بنواظر كنواظر مطافيل وحش وجرة.

وأن لها جيداً كجيد الريم,إذا مدته ونصّته ظهر أنه ليس بفاحش ولا بمعطل من الحلي,قال:

وجيد كجيد....

أما البيت الآخر فهو من قصيدته التي مطلعها:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي(1)

وهذه القصيدة قد أُضمرت معنى ينتظم جميع أبياتها ,وهو : معنى تغير الحال,واستحالة دوامه,وأن الشاعر تحول من شباب إلى كبر ومن القوة إلى الضعف, وما يلحق ذلك من إحساس بالهم والغم,وما يستدعيه من الأسى والشجن. (2)

ومطلع القصيدة يلفت إلى هذا المعنى,كيف وقد قال فيه الأعلم :((كأنه يعني بذلك نفسه,فضرب المثل بوصف الطلل))(3).

حيث وصف هذا الطلل - نفسه - بأنه بال قديم ,بعد أن حياه ودعا له بالنعيم,ثم استدرك:

كيف ينعم من كان له هذا العمر المديد؟

وهل يحصل على النعيم إلا سعيد الحظ,قليل الهموم والمخاوف!؟

وقد استدعاه حديثه عن نفسه التي رأى أنها بالية فانية ,ضعيفة خائرة , متغيرة عما كانت عليه ,استدعاه إلى ذكر شيء له علاقة بما هو فيه,شيء أشبهه في هذا التغير,فذكر سلمى وذكر ديارها المتغيرة ,التي أصابتها سنة التغير أيضاً,في أربعة أبيات ,رابعها بيت الدراسة.

ودارت الثلاثة الأول ,حول التغيير والتحول الذي حدث ((وأن الحال صار على حال لم يكن عليه أيام سلمى,وأن هذا التغيير والتحول له أثر بالغ في نفس الشاعر بدليل

---

(1) الديوان ص27.

(2) ينظر:الشعر الجاهلي,ص193,بحث (من التشابه اللفظي),د/دخيل الله الصحفي ,ص741.

(3) شرح الأعلم ,ص98.

تكراره,وأن ماعهدته سلمى لم يبق منه شيء ,وأن هذا التغير قد عم حتى أصاب الطلا الذي هو ولد البقرة والبيض الذي هو بيض النعام...)) (1).

وكأنه حين حدث عن هذا التغيير الذي حدث في حياته وفي حياة سلمى,تذكر لياليهما النيّرة التي قضّياها معاً ,فهيجت مشاعره أن يذكر زمن السعد ببيت يجعله ختام مقطعه هذا فكان بيت الدراسة : **ليالي سلمى...**

وأول ما يلحظ في بيت المعلقة أنه قد أفرد وأخلص لوصف الجيد فقط ولم يشرك فيه معه غيره ,وهذا الإفراد بالذكر دليل احتشاد لهذا الموصوف واهتمام به ,ولم يكن شبيهه الآخر مثله في هذا فقد ضم موصوفين هما: (الثغر والجيد).

ثم إنه بدأ بالواو العاطفة في أول جملة منه في قوله: (وجيد كجيد الرئم) وقد اختلف العلماء فيها ,فمن قائل إنها عاطفة على قوله :(وتتقي بناظرة ...وجيد...) (2).

ومنهم من قال إنها عاطفة على قوله: (تصد و تبدي ...عن أسيل ...وجيد...) (3).

وعطفها على الأخير أحسن ؛لأن الاتقاء والصدّ ,والتعمية على العذال, إنما تظهر وتخفى بعمل العين خاصة دون ما عداها من الأعضاء

كما قال عمر بن أبي ربيعة:

إذا جِئـت فَـامنَح طَـرفَ عَينَيـكَ لِكَـي يَحسِبوا أَنَّ الهَـوى حَيـثُ (4)

وعندما تعطف الجيد على الناظرة لتشركهما في الاتقاء, تكون قد أعطيت الجيد وما يتبعه عملاً ليس له,وهو مشاركته العين في الاتقاء , وهذا لا يحسن من الجيد ,بل وكيف يكون ؟

ولكنك عندما تعطفه على أسيل تكون قد أشركته معه في عمل الصد والإبداء ,والظهور والإخفاء؛لأن عمل المخاتلة عامة (الصدّ والإبداء ...) يكون بالخد الأسيل وبالجيد وبالفرع وغيره,حتى العين تدخل في عمل المخاتلة ,وعلى هذا فإنه يحسن العطف على (أسيل) أكثر من غيره.

أما كلمة الجيد فهي الكلمة الأم في البيت والجذر الذي تعود إليه كل كلماته ,ويلحظ أنها وقعت في صدره لفظاً ومعنى,متقدمة على كل ما سواها,وعند الإمعان في البيت تجد أن هذه الكلمة تكررت في البيت كثيراً إما بنفسها أو بعود الضمائر

---

(1) الشعر الجاهلي ,د/محمد أبو موسى.ص193.

(2) ينظر :شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ,ابن الأنباري,ص61.

(3) ينظر:شرح المعلقات السبع ,الزوزني,ص32,حيث قال: وتبدي عن عنق ...فعطف على تبدي .

وخزانة الأدب ,ج10 ,ص129.

(4) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ,ص124

عليها, ففيه :(وجيد كجيد الرئم ليس- فخبر ليس الضمير (هو) يعود على الجيد - وفاحش اسم فاعل يشتمل على ضمير مستتر تقديره (هو) ,وهو فاعله يعود على الجيد ,إذا هي نصته –أي الجيد – وقوله (معطل) اسم مفعول يشتمل على ضمير مستتر تقديره (هو) ,وهو فاعله يعود على الجيد).

وكل هذا يدل على أهمية خاصة لهذا الجيد الذي هو بصدد الحديث عنه.

ثم شبه جيد هذه الصاحبة (بيضة الخدر) بجيد الرئم في طوله, واستوائه ورشاقته وجماله,كما يرى الدكتور/محمد شادي. [1]

ويرى الدكتور/محمد أبو موسى:أنه سعى ليشبه عنقها بعنق الريم,لما فيه من النعومة والطراوة ,والطفولة والجمال. [2]

وإن كانا قد اتفقا في صفة الجمال,التي هي صفة عامة وشاملة,إلا أنهما قد اختلفا في الصفات الأخر,واختلافهما في الصفات الأخر مع تقاربها, يفتح الباب أمام فكرة عدم تحديد هذه الصفات ,وأنها كلها مرادة ,وأن ذلك التحديد لم يكن مراد الشاعر ومقصوده, وإنما يتاح للعقل أن يجمع كل مابين الطرفين من صفات التشابه, وبذلك يكون الباب مفتوحاً أمام كل الاحتمالات الممكنة.

ثم شرع في كلام بين فيه بعض أحوال هذا الجيد عند إتلاعه ونصه واستشرافه - وهذه الحالة يزداد فيها الجيد طولاً إلى طوله - ثم نفى عنه في هذه الحالة أن يكون جيد محبوبته ,فاحشاً في طوله ,ولا معطلاً من حليه.

ثم قال:(إذا هي نصته) وأول ما يلحظ هنا أن (إذا) دخلت على الفعل الماضي المحذوف الذي دل عليه المذكور. [3]

ودخولها على الفعل الماضي - في البناء الأول للكلام - يفيد الدلالة على الوقوع القطعي,وأنه أمر محقق كثير الوقوع,ويفهم من هذا أن نصها لجيدها أمر كثير الوقوع,بل الغالب على جيدها أن تنصه وترفعه بشكل دائم فتظهر منه صفة التلع ,والتي هي شموخ حسي,وهي صفة مستحسنة في المرأة أن تكون تلعاء,مستشرفة العنق,فحبيبته هذه لا ترى إلا ممتدة العنق, حتى صار هذا الامتداد كأنه طبيعة فيها, أوخلقة لها.

ويحسن هنا أن نذكر قول الجاحظ في أن الأعناق الطوال ثلاثة ذكر منها عنق الظبي[1].

---

(1) ينظر: التشبيه عند امرئ القيس ص 64,ومن التشابه اللفظي,د/دخيل الله الصحفي,ص743.

(2) ينظر: الشعر الجاهلي ,د/محمد أبو موسى,ص75.

(3) إذا ولي (إذا) ضمير أعرب فاعلا لفعل محذوف ,يفسره المذكور,والتقدير هنا: إذا نصته هي.

ينظر:مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ,ابن هشام الأنصاري,ط دار الفكر,ص97.

فإذا عرف هذا فإنه من الممكن أن يفهم أن عنقها طويل ؛ لأنه كعنق الظبي كما قال, ولكن لأن النص فيها عادة مستحكمة قد صارت كالخلقة,فقد يفهم أن طولها قد فحش ,وزاد عن القدر المحمود,وخرج عن حد الاعتدال,بسبب هاتين الصفتين (أن جيدها كجيد الظبي,وصفة النص الدائم منها) فبادر بنفي هذا الفحش المتوهم بقوله :(ليس بفاحش).

وأمر آخر هو أنه لو كانت صفة الطول الفاحش ثابتة في عنق الظبي,للزمه أن ينفيها في كل مرة يشبه فيها عنق المرأة بعنق الظبي ,لأنه - على هذا- طول ثابت في عنق الظبي و معلوم فحشه والوصف به كله غير مستحسن.

وليس الأمر كذلك, فإنه في البيت الشبيه قال:

لَيــالِيَ سَــلمى إذ تُريــكَ مُنَصَّــباً وَجيداً كَجيدِ الرِئمِ لَيسَ بِمِعطالِ

ولم ينفِ هنا صفة الطول الفاحش,كما في بيت الدراسة ,بل أثبت له صفة الطول المتعارف دون أن ينقص منه ,وليس كما قيل من أن الشاعر((كان يسعى في الواقع إلى تحديد العنق تحديداً تعادلياً مادياً...لذلك رأيناه يعدل من عنق الريم نازعاً منه بعض الطول - ليس بفاحش - مضيفا إليه بعض الحلي - ولا بمعطل))(2),وإنما كان سبب هذا النفي صفة النص التي أكثرت منها هناك.

فعلم من هذا أن صفة الطول المفرط الفاحش ليست بالصفة اللازمة الثابتة في عنق الظبي,ولو كانت طويلة فاحشة خِلقةً للزمه أن ينفي الفحش هنا كما نفاه هناك .

فالداعي إذاً إلى نفي الفحش هناك ,هو صفة النص والتلع الزائدة هناك التي سبق الحديث عنها,تلك الصفة التي أكثرت منها إكثاراً جعل سبق الظن بفحش هذا الطول يخامر العقل أو يلم, فبادر بالنفي.

أما قوله (ليس بفاحش) فمن العلماء من جعل معناه :(ليس بكريه المنظر ولا قبيح)(3)ترحيبا للدلالة فتشمل المنظر والطول والحسن والنعومة ...وكأنهم نظروا إلى تقديم(ليس بفاحش) ليكون النفي نفيا لكل فحش.

ومنهم من جعله مجاوزة القدر المحمود , والخروج عن الطول المألوف(4).فخصّوه بصفة الطول,التي سبق الكلام عليها,التي لا تظهر إلا بالنص والمد.

---

(1) ينظر:البرصان والعرجان والعميان والحولان,للجاحظ,تحقيق/محمد الخولي,ط الثانية,1402هـ -1981م,مؤسسة الرسالة ,بيروت,ص 319.

(2) نقلا عن (التشبيه عند امرئ القيس) د/محمد شادي.ص194.,من كلام إيليا حاوي.

(3) ينظر:شرح القصائد السبع لابن النباري,ص61,وشرح القصائد العشر,للتبريزي,ص39,وشرح البطليوسي,ص88.

(4) ينظر:شرح المعلقات السبع للزوزني,ص32,والشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى,ص75.

وتوسط آخرون ,فجمعوا بين القولين ,فقالوا:المراد ليس بكريه المنظر ولا فاحش الطول. [1]

فلم يقصروا الدلالة على الطول وحده ,ولم يعمموها عليه وعلى غيره,فلا يتبين من بين الصفات,ولكن بين بين, فيكون قوله (ليس بفاحش) بمعنى :ليس بكريه منظره نعومة وجمالاً ورقة ولا بقبيح طولاً مفرطاً زائداً عن حد الاعتدال.

أما قوله :(ولا بمعطل) فمعلوم أنها معطوفة على الفاحش,أي: ليس بفاحش وليس بمعطل,وأراد بهذا أن يصفها بكل ما يغري بها من جمال وثروة. [2]

وبالعودة إلى البيت الشبيه ببيت المعلقة ,نجد أن أول ما يلفت فيه ذلك الحذف الذي جعله في صدر البيت, حيث أضمر الفعل وباشر بذكر مفعوله,والفعل المحذوف هو(اذكر) ومعموله (ليالي) ويقال فيه أنه عندما تحدث عن سلمى,وتغير حالها,تذكر ما قد قضاه معها من أوقات جميلة , وليال سامرة ,فسارع إلى إيداع كلمة (ليالي) أذنك ,لأهميتها عنده ,ولتدرك أنه معني بإخبارك عن هذه الليالي,وأنها قريبة من روحه ,ولها شأن في نفسه, تستحق أن تقدم على ما سواها ,بل ويحذف ما قد يؤخر التلذذ بذكراها. [3]

وتلحظ إضافة المفعول إلى(سلمى) حيث يلفت إلى أن سبب حسن هذه الليالي المذكورة هو (سلمى), وأنه لا حسن لهذه الليالي يمكن أن تضاف إليه سوى (سلمى),ألا يقال : ليالي منى,وليالي الوصل,وما إلى ذلك,أما هو فآثر أن يقول: ليالي سلمى,ليلقي في روعك ولأول وهلة انه لا اسم يستحق أن يضاف إلى هذه الليالي سوى اسمها,ولا شيء تمتاز به هذه الليالي عن غيرها,إلا أنها ليالي سلمى,مع ما في ذلك من اختصار وتلذذ بذكر هذه الإضافة.

وهنا قد يبرز سؤال يقول : ما الذي جعله يذكر سلمى دون غيرها؟

بمعنى: لمَ لمْ تكن المذكورة (هر) ,أو(فاطمة) ,أو (فرتنى) ,أو أي صاحبة أخرى من صويحباته الكثر فيضيف هذه الليالي إليها؟

حينها لن يتغير شيء مما رمى إليه من أغراض مع سلمى, من الاختصار,والتلذذ والتعيين,لأن هذه المعاني غير مرتبطة بالاسم أو الشخص .

---

(1) ينظر:خزانة الأدب ج10 ص130,وشرح الأعلم ,ص76.

(2) ينظر: الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى ص 75.

(3) ذكر هذا النوع من الحذف ,الإمام عبد القاهر الجرجاني,في دلائل الإعجاز ,ص 147.

والحق أنه لا يعقل أن يكون اختصاص سلمى بالذكر هنا قد جاء عبثاً,أو لأنها هي التي خطرت على عقله حينها,فهذا بعيد,و الإجابة عن هذا السؤال تظهر حين نعرف أمراً قبله يختص بامرئ القيس نفسه في هذه القصيدة.

فإنه لما كانت القصيدة تدور حول معنى (تغير الحال واستحالة دوامه,وما يتبعه من هم وبؤس) وأول حال أراد الشاعر الحديث عنها هي حاله هو,الذي انتقل من حال النعيم والأنس والهناء ,إلى حال البؤس والألم والشقاء,وقد سبق قول الأعلم الشنتمري في هذا الأمر.

أقول لما ذكر حالته ,التي تغيرت ناسب على ذلك أن يذكر من صويحباته من تغير حالها أيضاً ,فكانت سلمى من تغير حالها مثله,وليس لنا في إثبات تغير حالها إلا ما يخبرنا هو به,كيف وقد رضيناه شاهداً عدلاً من نفسه على نفسه,ومن شعره على شعره,حيث أخبر أن ديارها قد تغيرت بسبب لزوم المطر إياها,وأخبر أنه يحسبها لا تزال مقيمة في مرتبعها تبصر أولاد الظباء,وبيض النعام ,في المكان الذي عهدها فيه,في وادي الخزامى, أو هضبة أوعال,وكل ذلك قد تغير,قال الأعلم شارحاً الأبيات :((تظن سلمى على العهد الذي كنت عهدتها عليه بهذه المواضع ,أي: لما كنت فيه من القوة ولين العيش,كنت تحسب أن تلك الحال لا تتغير)). (1)

ونخلص من هذا إلى أنه خص سلمى بالذكر لأن حاله المتغيرة قد ناسبتها حال سلمى المتغيرة أيضاً.

ولا يخفى ما يحمله اسم (سلمى) من دلالات السلام والعيشة الراضية الهنية,التي كان يعيشها فيما مضى,واعتباره مجرد اسم حضر في عقل الشاعر فأورده في شعره يبعد أن يكون سمة للشاعر الذي يحكم فنه وقوله, ولا سيما امرؤ القيس الذي يُعرف العتقُ والتجويدُ في شعره.

وهناك أمر آخر يختص بهذه الليالي .

وهو :لم خُصّت ليالي سلمى بالذكر دون أوقاتها الأخر,كالنهار مثلاً؟

بمعنى:هل لذكر الليالي ارتباط بأمور أخرى مع سلمى في القصيدة,جعل ذكرها آكد وأمثل؟

إن جمع الشاعر (الليالي) يفيد أنها ليال كثيرة,وأنها لم تكن ليلة ولا ليلتين, وأيضاً فالليل وقت الهدوء والسلام والهناء,وهذا يرجح ذكر الليالي على غيرها,وأيضاً فإنه

---

(1) شرح الأعلم ص 100-101.

لا يمنع حقيقة مفادها أن لقاءاته معها وصحبته إياها,كان في الليل معظمها,إن لم تكن كلها,ويقوي هذا ما ذكره عنها في حديثه الثاني في

مقطع أبياته كلها تمد خيام الظلام على هذه العلاقة :

قال:

تَنَوَّرتُها مِن أذرُعاتٍ وَأهلُها بِيَثرِبَ أدنى دارها نظر عالي (1)

واستشراف النار إنما يكون ليلاً.

وقال:

نَظَرتُ إلَيها وَالنُجومُ كَأنّها مَصابيحُ رُهبانٍ تَشُبُّ لِقَفّالِ (2)

حيث حدد وقت نظره إلى نار محبوبته,بوقت توقد النجوم وازدياد لمعانها,وهذا يكون في جوف الليل.

وقال:

سَمَوتُ إلَيها بَعدَ ما نامَ أهلُها سمو حباب الماء حالا على حال (3)

فبين أن وقت مجيئه إليها كان ليلاً.

وقال على لسانها:

ألَستَ تَرى السُمّارَ وَالناسَ أحوالي (4)

فدلّ على أن زيارته لها إنما كانت في وقت السمر في الليل.

وقال:

---

(1) تنورتها :أي مثلت نارها وتوهمتها,ولم يرد نظر العين,وأذرعات من حدود الشام ,ويثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم,وأدنى دارها نظر عال: أي مرتفع بعيد.
الديوان ص31.

(2) نظرت إليها أي :نظرت إلى هذه النار تشب لقفال ليلاً,والنجوم كأنها مصابيح رهبان.السابق نفسه.

(3) سموت إليها :أي سموت إلى المرأة ,وأراد نهضت إليها شيئا بعد شيء لئلا يثعر بمكاني,فكنت في ذلك كحباب الماء,وهو يعلو بعضه بعضا في رفق ومهل,وحباب الماء :طرائقه,وحالاً على حال:أي شيئا بعد شيء حتى صرت للذي أردت.
السابق نفسه.

(4) الديوان ص 31.

حَلَفْـتُ لَهــا بِــاللهِ حَلفَــةَ فــاجِرٍ   لَنــاموا فَمــا إِن مِــن حَـديثٍ وَلا صــالِ[1]

فبين أنه أتاها في الليل حين نام السمار والمصطلون .

وليس في المقطعين اللذين ذكر فيهما سلمى ما يدل على أنه زارها زورة واحدة في وضح النهار,فذكر الليالي هنا بصورة الجمع هي الطريقة المتوافقة مع السياق ,المطابقة للواقع كما سبق.

ويلحظ أن اسم (سلمى) في البيت جاء مطابقاً في المكان للأبيات الثلاثة السابقة عليه في نفس المقطع ,فإذا عرفنا أن المقطع أربعة أبيات ,اشتملت جميعها على ذكر سلمى,وأن سلمى وقعت ثاني كلمات كل بيت ,فإننا سندهش أكثر من ذي قبل من هذا التنسيق العجيب, يقول:

دِيــارٌ لِسَلمى عافِياتٌ بِذي خـالٍ
وَتَحسِـبُ سَـلمى لا تَـزالُ تَـرى طَـلّاً
وَتَحسِبُ سَلمى لا نَزالُ كَعَهدِنا
لَيــالِيَ سَـلمى إِذ تُريـكَ مُنَصَّـباً

فإذا لحظت ما جاءت عليه هذه الكلمة في المقطع,ومكان ورودها فيه,ومطابقة بيت الدراسة للأبيات السوابق عليه,لم يخف عليك بعد ما في هذا من تنميق, ودقة, وموسيقى, وحسن تكرار[2],كل أوقع في مكانه الذي ليس غيره أفضل منه- فيما أرى- .

أما قوله :(إذ تريك منصبا وجيدا ...) فإن فهمه على أنها سعت عن قصد وإرادة لتريه وتبرز له مزية ثغرها على غيره ,باستوائه ,وكونه غير شتيت , ولا مختلف شائن,وتريه أيضاً مزية جيدها عن جيد غيرها ,الذي يشبه في تلعه جيد الرئم ,مما لا يحسن علاوة على ما فيه من مباشرة ,وهل يصح أن تقول امرأة كائنة من كانت في الجمال لحبيبها:انظر إلى ثغري كيف هو حسن اتساقه وانظر إلى جيدي...

---

(1) الفاجر هنا: الكاذب,والصالي الذي يصطلي بالنار,يقول: لما خوفتني من السمار أقسمت لها كاذبا أن ليس منهم أحد إلا نائماً.
الديوان ص32.

(2) وعاب بعضهم على امرئ القيس تكراره (سلمى) في أربعة أبيات متواليات ,واعتُذر عنه بأن للتكرار مواطن يحسن فيها ومواطن يقبح فيها,فإذا كرر على جهة التشوق والاستعذاب في الغزل,والنسيب,فذلك الحسن صرفاً,حيث نقل ابن رشيق أنه لم يتخلص أحد تخلص امرئ القيس ولا سلم سلامته في هذا الباب-يعني باب التكرار- وهذا يدل على أن التكرار فن لا يجيده إلا القلة الذين يوقعونه في حاق موقعه,كامرئ القيس,واستشهد بأبياته على هذا الحسن الذي ذكرت.
ينظر: العمدة ,ج2,ص25

فتكون كمن (تنقّق نفسها عليه) كما قال التبريزي.
ولكنّ الأجمل أن يحمل على أن ثغرها لاستوائه واتساقه وحسن نبته ,وجيدها في حسنه وطوله وتلعه ,قد لفتا الألحاظ وجلبا إليهما النواظر ,فكأن داع يدعو إلى رؤيتهما ,ويعجّب من حسنهما,بل كأنها هي لحسنها تدعوك لتنظر وتبصر وتتأمل,كما يدعوك التمثال الجميل لمزيد من النظر فيه ,ما قد يؤدي إلى إعجابك بجزء منه يستغرق كل نظرك وتفكيرك,وقل مثله في منظر ماتع,أو لوحة فنية ,أو قصيدة شعرية.
وقد يكون لفرط إحساسها بأنوثتها,ومعرفتها ما امتازت به,كأنها تعرض من نفسها مواطن الجمال (1),لا بالتصريح ,ولكن بما يغري بمزيد من النظر والتأمل.
فكأنها تأخذ بيده وتبصره فيبصر,وحينها سيكون أول شيء يستحضره عند رؤية جيدها جيد الظبي وحينها سيدرك الفرق بينهما سريعاً لأن جيد الظبي عاطل وجيدها محلى بالذهب.
وهنا سؤال يقول:
ما الذي جعله حين يذكر لياليه مع سلمى,يتذكر ثغرها وجيدها,ولم يتذكر غيرهما؟ بل ويذكرهما ذكراً حسناً لا يكدره شيء من النزق أو الطيش وهل لهذا ارتباط بسياق القصيدة؟
أما الأول فيغلب على الظن أن سبب تخصيصهما بالذكر دون غيرهما أنهما لفتاه أشد اللفت ,حتى لكأنهما يبصرانه محاسنهما فيبصر,ويعرّفانه جمالهما فيعرف,فلم يكن نسيانهما أو تجاهلهما بالأمر الممكن بعدها.
وأما الآخر وهو ذكرهما ذكراً حسناً لا يُكدّره شيء,فلنعرف السبب علينا أن نعلم أولا أن امرأ القيس ذكر (سلمى) في قصيدته هذه في موضعين,وقد وصفها في كلا الموضعين.
أما الموضع الأول:فكان في بدء القصيدة في أربعة أبيات ,مطلعها قوله:

دِيارٌ لِسَلمى عافِياتٌ بِذي خالٍ　　أَلَحَّ عَلَيها كُلُّ أَسحَمَ هَطّالِ (2)

ومن هذا المقطع بيت الدراسة.

وأما الموضع الثاني: ففي تسعة عشر بيتا بدأها بقوله:

وَمِثلُكِ بَيضاءَ العَوارِضِ طِفلَةٌ　　لَعوبٍ تُنَسّيني إِذا قُمتُ سِربالي

(1) ينظر:(من التشابه اللفظي في شعر امرئ القيس) د/دخيل الله الصحفي.
(2) الديوان ص27.

(1)

وتوسط المقطعين قول لإحدى صواحبه ,لعله هو سبب قول القصيدة حين ((عيرته الكبر وأنه لا يحسن اللهو)) [2]قال:

أَلا زَعَمَت بَسباسَةُ اليَومَ أَنَّني كَبِرتُ وَأَن لا يُحسِنُ اللَهوَ أَمثالي [3]

فقد أحدث قولها في نفسه وجْبةًعظيمةً ,وأخبثها أيما إخباث ,وانعكس كل هذا على ذكر سلمى في الموضع الذي تلا قول صاحبته بسباسة.

وهنا يمكن القول إنه كان في المقطع الأول رقيقاً عذباً صبّاً ليس بفاحش في القول,فذكر ثغرها وجيدها أحسن ذكر.

أما المقطع الثاني فقد جاء بعد زعم صاحبته بسباسة ,فجاء فاحشاً في كلامه مع أن الفتاة هي نفسها (سلمى) وما ذاك إلا نتيجة لوقع زعم بسباسة في نفسه وكونه في موقف المدافع, الغاضب لنفسه,المحامي عن ذاته ورجولته.

ويلحظ أيضاً أن البيت كله قائم على جملتين ,هما:(ليالي سلمى) و (إذ تريك) وبقية البيت إنما جاء وصفاً تابعاً ومكملاً لهما.

وإذا تقرر أن (ليالي سلمى) خصت بالذكر لاعتبارت سبق الحديث عنها ,فإن جملة (إذ تريك) تجمل دلالات أخرى غير ما تقدم ,منها:

أنك تلاحظ أن من قام بالفعل هنا (سلمى) ومن مفعولاته (امرؤ القيس) وهذا الفعل منصرف بكامل دلالاته إلى سلمى, ولا يوجد في المقطع غيره,وهذا يدل على علاقة بسلمى من نوع خاص - لا سيما المقطع الذي سبق قول بسباسة - أما المقطع الذي ذكرها فيه بعد زعم صاحبته فإنه غريب في وصف هذه العلاقة ,فأنت واجد فيه :

(تنورتها, نظرت إليها,سموت إليها ,فقلت يمين الله,حلفت لها بالله,هصرتُ, رضتُ, فأصبحتُ)

وهذه الكلمات لها دلالات مغايرة تماماً لما أوحت به كلمة (تريك) ثم إن كلمة (تريك) فيها إتاحة لمجال الرؤية وحاسة البصر فقط ,وليس هناك عمل آخر من أعمال

---

(1) السابق ص30.

(2) شرح لأعلم ص101,وقد يكون هذا دليل من زعم أنه نظم بداية القصيدة في زمن ,ثم عاد إليها في وقت آخر بعد قول بسباسة وأكملها.

(3) الديوان ص28.

الجوارح الأخرى,وكأنه بهذه الكلمة يبين حدود العلاقة مع (سلمى) في تلك الليالي ,على العكس تماما من المقطع الثاني,والدلالات المتنوعة لكلماته.
وأخيراً فإنه يلحظ التناظر والتقابل والتناغي بين كلمات البيت وأبيات القصيدة الأخرى.
فمثلاً قوله عن سلمى في المقطع الأول (إذ تريك منصباً) يمدّ بسبب إلى قوله عنها في المقطع الثاني (فمثلك بيضاء العوارض) ولا يخفى ما بين (المنصّب) وهو الثغر المستوي النبت,وبين(بيضاء العوارض) أي:الأسنان البيضاء,من تقارب,لأن الحديث بهذا وهذا هو عن امرأة واحدة.

ويلحظ في قوله (ليس بمعطال) أنه ساق بعده وصفاً للذهب والحلي الذي تلبسه الآنسة عالياً في الجودة ,وهو قوله:

كَأنَّ عَلى لَبّاتِها جَمرَ مُصطَلٍ أَصابَ غَضىً جَزلاً وَكَفَّ [1]
وَهَبَّت لَهُ ريحٌ بِمُختَلَفِ الصَوا بِأَجذالِ [2]
صَباً وَشمالاً في مَنازِل قَفّال

فناسب قوله: (ليس بمعطال) أن يصف ما تزين به المعاطل وهي أعضاء المرأة من الذهب والحلي,فكان المقطع التالي مؤدياً إلى التكامل في رسم الصورة ,ولا يستبعد أن يكون المراد الإيماء إلى أن هذه المرأة التي يحدث عنها (سلمى) من ذوات الغنى والجمال والثروة ,لأنه قال عنها في آخر المقطع الثاني:

وَماذا عَلَيهِ إن ذَكَرتُ أوانِساً كَغِزلانِ رَملٍ في مَحاريبِ أَقيالِ [3]

---

(1) كأن على لباتها: شبه توقد الحلي بجمر غضى ,وخص الحلي لأن جمره أبقى الجمر.والأجذال :أصول الشجر,وذكر المصطلي؛لأنه يقلب الجمر ويتعاهده لئلا يخمد.
الديوان ص29.
(2) هبت له :يعني للجمر,والصوى:الأكم الصغار, والقفال: الراجعون من السفر.
السابق ص30.
(3) غزلان الرمل:الآرام وهي أحسن من غيرها,والمحاريب :الغرف,والأقيال: الملوك .
السابق ص34.

وهـذه إيمـاءة إلـى الملـك والسـيادة ,فيكـون هـذا ممـا جعلـه يصـفها بأنهـا غيـر معطال,والمعطال كما في اللسان :التي ليس من عادتها لبس الحلي[1]

ولا يلزم أن يكون من فقر كيف وقد أثبت لها الملك والسيادة.

***

(1) ينظر: اللسان مادة (عطل).

قال امرؤ القيس[1]:

تُضــيءُ الظَــلامَ بِالعِشــاءِ كَأنّهــا مَنــارَةُ مَمســى راهِــبٍ مُتَبَتِّــلِ [2]

وهو يشبه قوله [3]:

يُضيءُ الفِراشَ وَجهُها لِضَجيعِها كَمِصباحِ زَيتٍ في قَناديلِ ذبّالِ [4]

---

(1) ديوان امرئ القيس, ,ص17.

(2) الظلام :أول الليل,والعشاء:هو أول الظلام من الليل وقيل هو: من صلاة المغرب إلى العتمة ,منارة :المنارة هي العلامة تجعل بين الحدّين,والمنارة التي يؤذن عليها,والممسى:هو المساء ضد الصباح, من بعد الظهر إلى صلاة المغرب,وقال بعضهم إلى نصف الليل وكلمة ممسى ككلمة مصبح, والراهب :المتعبد في الصومعة ,والتبتّل:الانقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى,يقال للعابد إذا ترك كل شيء وأقبل على العبادة.

ينظر اللسان:(ظلم,عشا,نور,مسا,رهب,بتل).

(3) الديوان,ص 29.

(4) تضيء الضوء جمعه أضواء,وضاءت و أضاءت أي استنارت وصارت مضيئة,والضجيع هو المضاجع,قال الأزهري(ضاجع الرجل جاريته إذا نام معها في شعار واحد وهو ضجيعها وهي ضجيعته.),مصباح زيت:المصباح السراج وهو قرطه الذي تراه في القنديل وغيره ,ذبال:الذبالة الفتيلة التي تسرج,ويقال للفتيلة التي يصبح بها السراج ذبالة والجمع ذبال وذبّال.

(ينظر اللسان:ضوأ,ضجع,صبح,ذبل).

والقناديل :جمع قنديل وهو مصباح من زجاج.

ينظر:تاج العروس من جواهر القاموس,للزبيدي,تحقيق/عبد الستار أحمد فراج,ط 1385هـ - 1965م,الكويت, (ق ن د ل).

ورد البيت الأول في المعلقة, في سياق حديثه عن أيامه الصالحات , والتي انتظم وصفها والحديث عنها في خمسة وثلاثين بيتاً,بدأها بقوله:

أَلا رُبَّ يَومٍ لَكَ مِنهُنَّ صالِحٍ   وَلا سِيَّما يَومٍ بِدارَةِ جُلجُلِ (1)

وتنتهي عند قوله: وليل كموج البحر.
وضمّ هذا الفصل الطويل عدة أحاديث عن: يوم دارة جلجل يوم عقر للعذارى مطيته,ودخل خدر عنيزة,وحديثه مع فاطمة, ثم حديثه عن بيضة الخدر.
وحديثه عن بيضة الخدر كان أطول الأحاديث وأوفاها,فقد انتظم في مقطع أبياته اثنان وعشرون بيتاً بدأها بقوله:

(2)
وبيضة خدر لا يرام خباؤها   تمتعت من لهو بها غير معجل

ثم وصفها في آخر المقطع في ثلاثة عشر بيتاً,بعدة أوصاف غاية في الجمال والدقة,فهي هضيم الكشح ريا المخلخل,مهفهفة بيضاء قونيت بصفرة, مصقولة الترائب,ووصفها بأنها تصد وتبدي عن خد أسيل وتتقي بعين لظبية ذات أطفال, ولها جيد كأحسن ما تكون أجياد الآرام,ليس بطويل فاحش ,وليس بعاطل من الحلي,ولها شعر كثيف شديد السواد يغطي متنها,له غدائر متعلية,ولها كشح كأنه من لطافته قد جدل ,وساق مستو كالأنبوب,ولها أصابع ناعمة رقيقة في تناولها وأخذها,ثم قال:

تُضيءُ الظَلامَ بِالعِشاءِ كَأَنَّها   مَنارَةُ مَمسى راهِبٍ مُتَبَتِّلِ

وبالنظر إلى ما بعد البيت من أبيات فإننا نجده يصفها بأنها تضحي وفتيت المسك يعلو فراشها بعد نومات الضحى التي هي من عاداتها,وأنها لا تلبس ملابس العمل والخدمة فهي مكفية مخدومة.

ثم ذكر أن مثل هذه المرأة ,تسبي الحليم,وتغرقه في الهوى والصبابة,وأن كل الرجال قد تركوا الصبا واللهو والهوى ,أما هو فلا يستطيع أن يتركه مع بيضة الخدر,مع كثرة الخصوم والعذال والناصحين له بالترك والمباعدة,إلا أنه يردهم في كل حين.
أما شبيهه الآخر وهو قوله:

---

(1) دارة جلجل:موضع يقال له الحمى,والدار والدارة واحد,ولها خبر مشهور ,رواه الفرزدق. ينظر الديوان ص10.
(2) شبه المرأة بالبيضة لبياضها ورقتها,وأضافها إلى الخدر لأنها مكنونة غير مبتذلة,وقوله :غير معجل:أي لم أفعله مرة ولا مرتين فأعجل عنه ,ولكن فعلته مراراً.
ينظر:الديوان ص13.

يُضـــيءُ الفِـــراشَ وَجهُهـــا   كَمِصباحِ زَيـتٍ فـي قَناديـلِ ذبّـالِ

فهو من قصيدته التي مطلعها :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي   وهل يعمن من كان في العصر [1]

وقد ورد البيت في سياق حديثه عن النساء اللواتي قد عرفهن,ولها بهن, بعد أن رد ما زعمته صاحبته(بسباسة), وما عيرته به من الضعف والكبر,حيث كذبها صراحة ,ثم شرع في ذكر مغامراته مع النساء كنوع من البرهنة والتدليل على ما قال,حيث ذكر من هذه الأدلة ثلاث مغامرات له مع (الآنسة,وبيضاء العوارض,وجمّاء المرافق) جاءت في سبعة وعشرين بيتاً من أبيات القصيدة,كانت الأولى منها في أربعة أبيات .

بدأها بقوله:

وَيـا رُبَّ يَـومٍ قَـد لَهَـوتُ وَلَيلَـةٍ   بِآنِسَـــةٍ كَأَنَّهـــا خَـــطَّ تِمثـــالِ [2]

ثم بيت الدراسة.

وأول ما يلحظ في بيت المعلقة استخدامه للفعل تضيء وهو فعل مضارع يفيد التجدد والحدوث,وهي الكلمة الأم في البيت والتي بني عليها بقية أجزائه, أعطت دلالة قوية ومباشرة في أن هذه الموصوفة تضيء وتضيء وتتجدد منها الإضاءة حتى لكأنها مصدر من مصادر الضوء المعروفة , والمسند إليه الفاعل محذوف لكونه معلوما عند المخاطب ,فلا يحتاج إلى إعادة ذكره ,وهو(بيضة الخدر) التي:تصد, وتبدي, وتتقي, وتعطو, وتضيء أيضاً, من دون ذكر للفاعل في جميع الأفعال السابقة,ولهذا الحذف أثر واضح في فنية البيت ليتسق بذلك مع سياق الأبيات السابقة عليه واللاحقة له ,والتي اكتفت بذكر الفعل.

والظلام متعلق من متعلقات المسند, وهو مفعول به عرف بالألف واللام لإرادة الاستغراق والشمول والتمكن فكأنه يقول:تضيء الظلام كل الظلام, ويلحظ أن بين الضوء والظلام طباق جمع بين المتضادات.

---

(1) دعا للطلل بالنعيم وأن يكون سالما من الآفات وهذا من عاداتهم كأنهم يعنون بذلك أهل الطلل,وهل يعمن بمعنى وهل ينعم.
ينظر: الديوان ص27.

(2) آنسة:أي امرأة ذات أنس,ويقال الآنسة:ظبية تؤنس شخصاً -أي تبصره- فترتاع,وقوله:(خط تمثال) أي نقش صورة.
ينظر الديوان ص 29.

بالعشاء:الجار والمجرور قيد الغرض منه زيادة التوكيد, لأن حرف الجر هنا هو(الباء) وهو بمعنى حرف الجر(في) ((وتقديره: تضيء الظلام في العشاء ...وإنما أبدلت الباء من الفاء لأن معناهما متقارب,)) (1),ويلحظ أنه صور في هذا البيت ليلها,وصور في الذي يليه نهارها,فقال:

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها   نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

ثم شبهها بمنارة الراهب المتبتل الذي يلحظ فيه أنه جاء مؤكداً بـ(كأنّ) مناسباً لدعواه في أن من قدرتها إضاءة كل الظلام.

و يلاحظ عند العودة إلى بيت المعلقة أنه وصفها بأنها تضيء الظلام المتمكن لأنه لا معنى لذكر لفظ (العشاء)بعد (الظلام) -لأنه لا يكون العشاء أصلا إلا في الظلام -,إلا معنى أن هذه المرأة تضيء الظلام الشديد الحالك والمتمكن لأنه في وقت العشاء,وليس الظلام الطارئ والذي قد لا يكون في الليل, وهذا من المبالغة في وصفها بالإضاءة.

وشبهها بمنارة الراهب التي يوقد نيرانها في الليل فتبدد ظلامه, ولعل المناسب للسياق أن يكون المراد بالمنارة الصومعة لا المسرجة,فلن تكون إضاءة هذا الظلام الشامل المتمكن بمسرجة صغيرة متوافقة مع السياق,فإما أن يكون المراد ناراً يوقدها الراهب في أعلا المنارة(2) ,وإما أن تكون مجموعة من السرج الكبيرة(3).

وقد أثار تخصيصه المنارة بمنارة الراهب المتبتل دون غيره,أثار خلافاً بين العلماء في العلة الكامنة وراء هذا التخصيص,فذهب الوزير أبو بكر عاصم البطليوسي إلى أنه ((خص الراهب لأنه لا يطفئ سراجه.)) (4) ,وقال الزوزني :((خص مصباح الراهب لأنه يوقده ليهتدى به عند الضلال,فهو يضيئه أشد الإضاءة)). (5)

أما الدكتور محمد أبو موسى فلم يقتنع بهذه التعليلات وقال إنها معانٍ ضعيفة لا تنهض,وأشار إلى أنه من الممكن أن يحمل المعنى على أن الراهب المتبتل هو الشاعر,وبيضة الخدر هي منارته التي انقطع يتأمل فيها مواطن الجمال المبهر. (6)-

---

(1) ينظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية ص92..
(2) شرح ديوان امرئ القيس للشنتمري ص78.
(3) الصاحبي لابن فارس, ص 432.
(4) ينظر:شرح الأشعار الستة الجاهلية,ص92.
(5) ينظر:شرح المعلقات السبع للإمام الزوزني ص36.
(6) ينظر: الشعر الجاهلي ص80.

مبتعداً عن الدلالة الحرفية للألفاظ ومؤثراً حمل دلالات الشعر على نوع من الاتساع - وهذا الذي قاله الدكتور محمد أبو موسى, يُلمح في كلام د/ عبد الله الطيب حيث قال:((يضيء البرق كأنه المحبوبة لأنها هي منارة الراهب,والحليم هو الشاعر,والراهب لا شك حليم,فجعل الراهب نفسه رمزاً)). [1]
ولا شك أن كلام الطيب هو ما ذهب إليه الدكتور أبو موسى ,إلا أنك محتاج للتأمل للوقوف على ما أراد فهو متلفّع بالغموض.
وقريبٌ منهما ما ذهب إليه الدكتور/ محمد شادي حيث يقول:(صور امرؤ القيس لامرأته وجهاً عليه جلال الهدوء, وروعة الوقار والهيبة,وهذا مستشف من تصويره بمرآة [2]الراهب المتبتل ,فإنه لم يذهب إلى ضوء باهر ولكن إلى ذلك الجلال الذي ملأ نفسه بالخشوع)) [3]ويقول في مكان آخر عن البيت إنه:((ربما دل على لحظات من التأمل الخاشع)) [4].
وعلى كل فلا تناقض بين هذه التعليلات ؛لأن كل واحد منها يسطع من الزاوية التي نُظر إليه منها.

أما البيت الشبيه فيلحظ أنه ابتداه بقوله (يضيء) الذي هو فعل مضارع وقع في صدر البيت لفظاً ومعنى,أما اللفظ فلأنه وقع في مفتتح البيت ولم يسبق بشيء,وأما المعنى فإن هذه الكلمة هي ما بني عليه البيت,وهي الكلمة الأم فيه,وكل كلمات البيت الأخرى راجعة إليه,ولهذا الفعل دلالته المعلومة في التجدد والحدوث,فكأنه حين قدم هذه الكلمة كان معنياً بها أشد العناية,وكأنه يقول لك:وجهها يضيء ويضيء وتتجدد منه الإضاءة,و(الفراش)مفعول يضيء ومما لا يحتاج إلى طول نظر أن يعلم أنه مقدم على الفاعل,والعلة لهذا التقديم هو الاهتمام والعناية,وعرفه بالألف واللام ليفيد الاستغراق والشمول,ولعله حين قدم المفعول(الفراش)كان يلحظ معنى كلمة أخرى في البيت كانت تلح عليه هي كلمة(ضجيعها),أعني المعنى الذي في قولهم: (ضاجع الرجل جاريته إذا نام معها في شعار واحد),فهو يرى نفسه ضجيعها في فراش واحد هذا الفراش هو الحسنى في نظره,وهو كل ما يراه ويهتم لأمره في هذه اللحظة,فلا غرو أن يقدمه ويعرفه بالألف واللام ,ليعطي معنًى هو:أن هذه الإضاءة شملت الفراش كله ,واستغرقته كله,لأنه هو المهم في تلك اللحظة, ولأنه غير معني بالمكان أو الجو المحيط به كعنايته بهذا الفراش.

---
(1) المرشد ج4 ق 1 ص273.
(2) لعله خطأ مطبعي والمراد: بمنارة.
(3) التشبيه عند امرئ القيس محمد شادي ص 84.
(4) المرجع السابق.ص 191

وفـي تركيب(وجههـا لضـجيعها) تقـارب بـين مصـدر الضـوء والمحتـاج إلـى هـذا الضوء,وجاء أسلوب التشبيه موضحاً للمعنى حيث جاء الشطر الأول كالدعوى,وجاء التشبيه في الشطر الثاني كالدليل عليها.

وبالعودة إلى المقطع وسياق أبياته ودلالاتها يلحظ أنه بني على تذكر الماضـي, وهذا ما توحي به عبارة(ويا رب يوم قد لهوت وليلة),وكذلك يلحظ أنـه كان حفيّاً برسم صورة مونقة لصاحبته,فهي

ذات أنس,تامة الخلق,كأنها تمثال مصنوع ,قد بالغ صاحبه في تحسينه,ولها وجه يضيء الفراش[1]لضجيعها كما يضيء مصباح الزيت في ذبالة القنديل[2]وقد علل ابن أبي عون لتخصيصه المصباح بمصباح الزيت بقوله:((ضوء الزيت أنور من غيره ,وأقل دخاناً)). [3]

وقال الدكتور محمد شادي في حديثه عن المشبه به في هذا البيت وعن سر ذكره قال:((ومع اجتهاده في زيادة ضوء هذه المصابيح بأن جعلها في قناديل صانعي الفتائل ,فإنها على كل حال لا تعدو أن تكون مصابيح وربما حدا به إلى هذا المشبه به على ضآلته أن المرأة بالفراش مع ضجيعها,فلا يستحب حينئذ الباهر من الأضواء ولو كان منبعثاً من وجهها)) [4]

واستخدام امرؤ القيس لكلمة(ضجيعها) دون ما عداها مما هو في وزنها ككلمات(سميرها,صديقها,عشيقها..) يكاد يجيب به صراحة على زعم صاحبته (بسباسة) وذلك أنه قد ألح في المغامرتين الأولى والثانية على هذه الكلمة,يقول في مقطع الآنسة :

يُضيءُ الفِراشَ وَجهُها لِضَجيعِها.

---

(1) قد عد العلماء هذا البيت الأصل في معنى إضاءة الأحساب والوجوه,ومن ثم تعاورت الشعراء هذا المعنى من بعد امرئ القيس,ينظر:الأشباه والنظائر للخالديين ج1 ص159 ,وينظر أيضا:شرح الأشعار الستة الجاهلية ص122.

(2) قال الوزير أبو بكر البطليوسي(في قناديل ذبال,أراد في ذبال قناديل).ينظر:شرح الأشعار الستة الجاهلية ص122.

(3) ينظر:التشبيهات لابن أبي عون.طبعة جامعة كمبردج.1950م , ص 95.
ولعل الشاعر كان يحاول أن يوجد في المشبه به معنى الصفاء والنقاء,فأضاف إلى المصباح الزيت الذي هو أنور من غيره ,وأقل دخانا,وقد يكون هذا المعنى أيضاً هو الذي كان يريده في (منارة الراهب المتبتل) إذ قد يلحظ معنى الصفاء والنقاء في الترهب والتبتل أيضاً,ويكاد أن يكون هذا المعنى مشتركا بين الشبيهين- في رأيي-, والله أعلم.

(4) التشبيه عند امرئ القيس ص56.

ويقول في مقطع بيضاء العوارض: إذا ما الضجيع ابتزها...,ولها مثيلات في نفس المقطع ,مما يدل على شدة وقع زعم بسباسة على نفسه حيث((أوغل وأوشك أن يلامس مالا يصرح به)). [1]

ومع كل هذا فإن القصيدة تمثل بكاءً من الشاعر على حاله, مقنّعاً بالمكابرة,يكاد يفصح بالمكتوم هنا أوهناك ,دلّ على ذلك ما صرح به في نهايات القصيدة في قوله:

كَـأنّيَ لَـم أركَـب جَـواداً لِلَـذَةٍ   وَلَـم أتَـبَطّن كاعِبـاً ذاتَ خِلخـالِ [2]

حيث دل على أن هذا كان في الماضي, وما ذكره لهذا الذي ذكر إلا تحسرٌ وتوجعٌ لفقده ,وكذلك استخدامه للفعل الماضي في مغامراته التي استشهد بها على كذب (بسباسة), يكاد يوقعه في تصديقها دون أن يعلم.

وأخيراً يلاحظ من خلال البيتين المتشابهين أن الشاعر كلف بالمواءمات والموافقات في شعره ,فمثلاً استخدم الشاعر كلمة (تضيء) وهي مأخوذة من الضوء الذي يكون مصدره الحرارة كالشمس والنار,ولم يستخدم كلمة (تنير) مثلاً, والتي هي مأخوذة من النور والذي لا يصدر عن حرارة كالقمر ,قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا } [يونس : 5],وذلك مراعاة منه للمشبه به في البيتين(المصباح والمنارة) اللذان مصدر إضاءتهما النار,ومن مواءماته أيضاً أنه عندما أراد منها أن تضيء مكاناً صغيراً ومحدداً(الفراش)جعل (وجهها) هو الذي يضيء,ولزم على هذا أن يكون المشبه به صغيراً ومحدداً فكان(مصباح الزيت),وعندما أراد منها أن تضيء شيئاً كبيراً وغير محدد(الظلام) جعلها كلها تضيء(كأنها) ولزم على هذا أن يكون المشبه به كبيراً(منارة الراهب) والتي هي أقوم بإضاءة هذا الظلام الكبير من المصباح والقنديل والله أعلم.

***

(1

(2) ولم البم ... ذهب عني
الشباب وتغير ...
ينظر: الديوان ...

قال امرؤ القيس: [1]

وَقَـد أَغتَـدي وَالطَيـرُ فـي وُكُناتِهـا   بِمُنجَــرِدٍ قَيــدِ الأَوابِــدِ هَيكَــلِ [2]

وهو يشبه قوله: [3]

وَقَـد أَغتَـدي قَبـلَ العُطـاسِ بِهَيكَـلٍ   شَـديدٍ مَشَـكِّ الجَنـبِ فَعـمِ المُنَطّـقِ [4]

---

(1) الديوان,ص:19.

(2) الغدوة:البكرة ,مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس.
الوكنات :الوكن عش الطائر.
والمنجرد:الماضي المنسلخ من الخيل عند السباق,الديوان ص19
أو هو قصير الشعر,شرح الأعلم ص83.
هيكل: الهيكل الضخم من كل شيء,والهيكل من الخيل الكثيف العبل اللين,أو الفرس الطويل الضخم,وكذلك الهيكل هو النبت الذي طال وعظم وبلغ,وكذلك الشجر.
ينظر اللسان:(غدو,وكن ,هكل)

(3) الديوان ,ص172.

(4) شديد مشك الجنب:أي شديد مغرز الجنب في الصلب. والمنطق:موضع النطاق,وأراد به موضع الحزام من وسطه. ينظر شرح الأعلم ص326.
وفعم أي ممتلئ,وقيل الفائض امتلاءً.
ينظر اللسان:(فعم) .

أما البيت الأول فهو من المعلقة وقد سبق البيان أن هذه القصيدة قد بنيت في أساسها على الذكرى,وكأن كل ما فيها قد نسج على هذا الخيط - خيط الذكرى - وعُلِّق عليه,ومطلع المعلقة دليل واضح وبيّن في كشف هذه الحقيقة,ألم يقل:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسِـقطِ اللِـوى بَـينَ الـدَخولِ فَحَومَـلِ[1]

فهو ما بكى غير الذكرى,ذكرى الأحباب ومنازلهم التي بسقط اللوى,في ذلك المكان...,ثم شرع في تحديد المنازل على وجه الدقة, وبين أنه لا يزال يذكر أنه بقي منها بعضُ آثارٍ لم تنمح بالكلية؛بسبب ما تعاورتها من ريحي شمال وجنوب ,إذا غطت إحداهما المكان كشفته الأخرى وهكذا,وذكر أيضاً أنك ترى بعر الظباء في عرصات الدار وقد يبس وضمر من تقادم العهد وكأنه حب الفلفل,دلالة على أن الدار قد سكنها غير أهلها منذ آمادٍ بعيدة.

وكان مما تذكره ذلك اليوم الذي تحملوا فيه فبقي بعدهم يذري دموعه كناقف حنظل ,ليس بمِلْك نفسه وقف هذا التوكاف وذلك الانهمال,ثم ذكر ما يسمعه من أصحابه الذين يقولون له:اصبر وتجمل,وذلك بعد ما رأوا منه بكاءه الثاني الذي أظهره في قوله: قفا نبك...,والذي هو غير بكائه الأول عندما تحمّلوا.

وعلى كل فقد بين الشاعر أنه موقن أن السبيل الوحيد لشفائه من برحائه ,عبرات يسفحها عند بقايا هذا الرسم, على أن هذا الرحيل كان دأباً وعادة لآخرين كانوا يروعونه بالفراق مرة بعد أخرى,كأم الحويرث وأم الرباب اللتين رحلتا أيضاً ,ففاضت دموعه حتى بلل محمله.

وفي مقابل تلك الأيام التي ذكر بؤسها بترحل أحبابه,وعفاء ديارهم, وتذكره لبكائه الأول , ثم بكائه الثاني,وتذكره أم الحويرث وأم الرباب ,وبكائه عليهما أيضاً,يأتي في مقابل كل تلك الذكريات المؤلمة ,ذكريات أخرى صالحة ,فليست الأيام كلها أيام بؤسٍ وبكاء,فإن فيها أيام أنس وصفاء؛ولأنه موقن بهذا قال بعد هذا متذكراً ما مضى:

أَلا رُبَّ يَومٍ لَكَ مِنهُنَّ صالِحٍ وَلا سِـيَّما يَـومٍ بِـدارَةِ جُلجُـلِ[2]

---

(1) السقط :منقطع الرمل,واللوى:حيث يلتوي ويدق,والدخول وحومل:موضعان. ينظر الديوان:ص8.

(2) السابق ص:10.

ثم راح يفصل هذه الأيام الصالحة,فذكر يوم عقر للعذارى مطيته,يوم دخل خدر عنيزة,ويوم تعذرت عليه على ظهر الكثيب,وهذا من ذكرياته في ما يخص الأيام,وقابلها بذكرى له في إحدى الليالي مع بيضة الخدر,فقال:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها.... (1)

وإذا كانت ذكراه مع بيضة الخدر ذكرى حسنة في الليل, فقد قابلها بذكرى بائسة له في الليل أيضاً,حيث قال:

وليل كموج البحر أرخى سدوله... (2)

ومن الذكرى أيضا تذكره ليوم غدا فيه إلى الصيد باكراً- وهو بيت الدراسة-:

وقد أغتدي والطير في وكناتها.... (3)

وختم هذا اليوم بذكر رواحه من رحلة الصيد تلك.
ومن الذكرى أيضاً تذكره لليلة ماطرة ,وهي ما بعد قوله:

أحار ترى برقا أريك وميضه.... (4)

حيث بين أن ما حصل كان في الليل,وختمها في الغداة أو في الضحى من صباح الغد .

وكل هذا يبين أن الذكرى كانت الروح التي تسري في القصيدة - إن صح القول- وأنه تذكر الأحباب عندما رحلوا, والمنازل عندما خليت, وقابلها بذكرى الوصال في الأيام الخوالي,ثم ذكرى ليلة حسنة وأخرى بائسة,ثم ذكرى يوم صيد من الغداة إلى الرواح,وقابلها بذكرى ليلة ماطرة منذ الليل إلى الصباح,وهكذا تترابط فصول القصيدة ترابطاً محكماً,وتنضوي جميعاً تحت لواء الذكرى.

أما البيت الشبيه فهو من قصيدته التي مطلعها:

أَلا اِنعِم صَباحاً أَيُّها الرَبعُ وَاِنطِقِ وَحَدِّث حَديثَ الرَكبِ إِن شِئتَ وَاِصدُقِ(1)

---

(1) السابق,ص:13.
(2) السابق,ص:18.
(3) السابق,ص:19.
(4) السابق,ص:24.

وفي هذه القصيدة حديث عن الأحبة الذين ترحلوا بليل,فقد زموا رحالهم ,وشرعوا في السفر,ووصفهم وصفاً دقيقاً,ترى فيه الملكية تسري في الأبيات,كما أظنها كانت تجري في دماء من وصفهم,لما ذكر من عزّ ونعمة كان هذا الركب فيها.
وعلى كل فقد تتبع طرف الشاعر هذا الركب حتى حالت بينهما الرمال,وهم في رحلة الحياة يقصدون مكانا آخر يحلونه؛ولهذا الأمر الجلل الذي أصاب الشاعر,فقد حاول أن يُسرّي همه,ويعزي نفسه,حين فقْدهم ,وعند ذهابهم, بما تسلى به الهموم,وتنسى به الأحزان,فعزى نفسه بسفر على ناقة جسرة قوية, فقال:

فَعَزَّيتُ نَفسي حينَ بانوا بِجسْرَةٍ   أَمـونٍ كَبُنيـانِ اليَهـودِيّ خَيفَـقِ (2)

ثم وصف هذه الناقة وما فيها من سرعة,وجد في السير,كأنها في السماء الغمام,وفي الأرض النعام,ثم عطف بالواو أمراً آخر عزى به نفسه,حيث كان مما تسلى به أيضاً عن ذلك الهم المصمي دخوله إلى بيت عظيم,يفوح الطيب من جنباته,دخله على حسناء منعمة,وقد مضى هزيع من الليل, ثم قال:
وقد أغتدي قبل العطاس بهيكل...
وكان اغتداؤه هذا من الأمور التي يعزي بها نفسه ,وأدخلها ضمن ما سلى بها أحزانه,وكان هذا المقطع آخر مقطع في القصيدة,ضمّ وصف حصانه ووصف الصيد,في أكثر من عشرين بيتاً.
والبيتان وقعا مطلع فصل الصيد في القصيدتين معاً,فكل واحد منهما يشكل مفصلاً مهما من مفاصل القصيدة التي هو منها.
ومع كونهما يشكلان مفصلين مهمين لقصيدتيهما,فإنهما أيضاً يشكلان رابطاً ,ووصلة, بين فصلهما وبقية أجزاء القصيدة,فإذا كانت المعلقة مبنية على الذكرى فإن من الذكرى تذكر اليوم الذي اغتدى فيه إلى الصيد وراح.
وكذلك بيت القصيدة القافية فإنه فيه ((لا يزال يعزي نفسه عن الذين بانوا,ولاتزال الأحداث موصولة بحديث الركب)) (3) الذي حدث عنه في مطلع القصيدة كما سبق.
ويلحظ في البيتين أنه ابتدأهما بقوله:(وقد أغتدي).

---

(1) الديوان ص 168.
(2) حين بانوا:أي حين انقطعوا,والجسرة:الناقة الطويلة,والأمون:الناقة الموثقة الخلق,والخيفق:الطويلة.
ينظر الديوان:ص169.
(3) الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى,ص203.

أما الواو فهي في بيت المعلقة عاطفة لمجموع ما بعدها على مجموع ما قبلها,أي أنها عطفت تذكر هذا اليوم الذي اغتدى للصيد فيه ,وما تبعه على ليلته التي كانت كموج البحر,وما تبعها.

وفي بيت القافية تكون هذه الواو عاطفة لما بعدها على ما قبلها,أي أنها جمعت بين ما بعدها وما قبلها في أنهما جميعاً مما فعله لأجل السلوّ,والعزاء عن المحبوبة,فكأنه قال:

فعزيت نفسي حين بانوا بجسرة ...,وبيت...,وغدوّ...

أما(قد) فتأتي في اللغة لمعان منها التحقيق والتكثير[1],ووردت في بيت المعلقة حاملة دلالة (التحقيق)[2],ويمكن أن تحمّل (قد) في بيت المعلقة دلالة (التكثير) ,اعتماداً على أمور:

الأول/ أن البيت وما بعده مسوق للذكرى,وهذه الذكرى تحمل غير قليل من الفخر والعجب,ويناسبهما مع التحقيق التكثير.

الثاني / أن هذه الواو السابقة عطفت ما بعدها على قوله:(وليلٍ...) والواو في (وليل) هي واو (رب) التي من معانيها التكثير,وقبله قوله:(وبيضة خدر...) وهي واو(رب) أيضا التي تدل على التكثير,وهذا يؤنس بقول أن معنى التكثير مراد هنا أيضاً.

الثالث / أن السياق العام في المعلقة سياق تكثير ,سواء في الأيام الصالحة أو غير الصالحة,وفي الليالي والغدوات وغيرها,ويقاس هذا عليها.

الرابع / أن الفعل الذي جاء بعد (قد) فعل مضارع,ودلالته التجدد والحدوث, والاغتداء فعل يكون في اليوم مرة واحدة,فكيف يتجدد؟

إلا إن كان المراد أنه يتجدد في أيام أخرى ,وبالأصح في غدوات أخرى ,مما يعني الكثرة,والتي هي مرادة هنا بلا أدنى شك.

أما (قد) التي في بيت القصيدة القافية فهي تفيد التحقيق.

وأما قوله :(أغتدي) فهو فعل مضارع يدل على التجدد والحدوث و ((فيه معنى الاحتفال والاحتشاد ,وأنه يغدو وهو موفور النشاط ,مجموع الهمة,وهذا المعنى الزائد هو أهم ما في الكلمة,لأنه يحدث عن نفسه,وعن احتماله واحتفاله بالشيء الذي هو بصدده,وتوفير نفسه له,واجتماع قدرته على إنجازه))[3].

ثم يفترق البيتان عن بعضهما في اللفظ ,ويتشابهان في المعنى,فيقول في بيت المعلقة (والطير في وكناتها) يريد أن يعبر عن بكوره الذي يسبق فيه الطير؛لأن الواو في

---

(1) مغني اللبيب,لابن هشام,ص180.

(2) الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى,ص:99.

(3) السابق,ص99.

رأس الجملة هي واو الحال,فيكون غدوّه والحال أن الطير لا تزال في وكناتها,فهو غدو مبكر جداً,والشاعر كنى عن صفة التبكير التي يدعيها بتلك الألفاظ التي ليست مرادة في ظاهرها, وإنما المراد ما تحتها من المعاني,فإذا كان يغتدي والطير في وكناتها ,فهذا يعني أنه يخرج للصيد ولم تخرج الطيور بعد من أعشاشها في الصباح,والطير تخرج مبكرةً جداً,فإذا كان يسبق السابقات في البكور ,فإنه يدلنا على نوع من الغدو, خاص بامرئ القيس,يحق له أن يتمدح به.

أما قوله في القافية :(قبل العطاس) فمعناها أنه يغدو للصيد مبكراً ((قبل أن يتنبه الناس ,فيسمع صوتاً أو عطاساً)) [1]فهو يريد أنه يبكر إلى الصيد والناس نيام,لا يسمع لهم صوت أو عطاس,وهذا معنى أول.

ومعنى آخر,فقد قال ابن قتيبة إن المراد أنني أغتدي ((قبل أن يتنبه إنسان فيعطس فأتطير منه)). [2]

وهو معنى يرد عن العرب ,واستشهد له ابن قتيبة بغير هذا,ولكنه في هذا البيت بعيد,ولذلك روى الأعلم هذا المعنى بصيغة التمريض (قيل) ,قال:((وقيل المعنى قبل أن يسمع عطاس الإنسان فيتشاءم به ,ويمسك عن تنفيذ ما عزم عليه من أمره)). [3]

والأعلم أعلم حين أخر هذا القول,وقدم المعنى الأول الذي يعتقد صحته ولا ريب, ثم إنه حين أظهرها أظهرها مضعّفاً لها.

وذلك ؛لأنه ليس من الواضح في شخص كامرئ القيس يصف كل ذلك البكور والاهتمام والاحتشاد والتأهب, ثم يربطه بعطاس أو غيره,وإذا كان مراده من البيت الشبيه أنه إنما يصور البكور,- وقد تحقق هذا ولا إشكال فيه - فهو في هذا مثله ولا فرق بين الشبيهين في الدلالة على هذا الغرض ,أضف إلى ذلك أنه لا يوجد في ديوان امرئ القيس تطيّراً أو تشاؤماً أو اعتقاداً في مثل هذه الأمور على طول ديوانه,دلالة على أن هذا أمر غير وارد في قاموس حياته ,الذي يعلنه شعره.

أما قول ابن قتيبة فهو قد يصح عندما يقطع البيت عن سياقه,ويغض الطرف عن قائله ,ولا يلتفت إلى شبيهه,وإنما يكتفى به مفرداً إفراد البعير المعبّد كما قيل,والله أعلم.

وقال في المعلقة:(بمنجردٍ) والمنجرد ((هو الفرس القصير الشعر)) [1], والفرس ((لا يحمد لقصر شعره ,ولكن المقصود هو لازم هذا المعنى, وهو العتق وكرم العرق)). [2]

---

(1) شرح الأعلم .ص:326.

(2) المعاني الكبير في أبيات المعاني, لابن قتيبة,ط الأولى 1405هـ- 1974م ,دار الكتب العلمية بيروت.ج 1,ص:270.

(3) شرح الأعلم ,ص:326.

وقد يكون المنجرد هو ((الماضي المنسلخ من الخيل عند السباق)) (3), فيكون مراده أنه يغتدي بفرس يقال فيه (منجرد) أي ماض منسلخ,فيريد بها الدلالة على السرعة والتفرد والتقدم, وهي صفات تظهر في كل سابق من الخيل,وهذه الصفات هو لهج بها في قصيدته, وفي نفس البيت تجد قوله (قيد الأوابد) الذي يفيد معنى السرعة.
وأبياته اللاحقة تحمل هذه المعاني أيضاً,فقوله:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَعاً(4)

يحمل الدلالة على معنى السرعة في الكر والفر والإقبال والإدبار.
وقوله:

مِسَحٍّ إذا ما السابِحاتُ عَلى الوَنى   أَثَرنَ غُباراً بِالكَديدِ المُرَكَّلِ (5)

يحمل معنى التفرد ؛لأن فرسه متفرد بسح الجري في حين أن السابحات تكون في حالة ركل للأرض,من الونى وشدة ما تعاني,فمن التفرد أن يكون فرسه ساحاً للعدو والبواقي غير كذلك.
وقوله:

عَلى العَقبِ جَيّاشٍ كَأَنَّ اِهتِزامَهُ   إِذا جاشَ فيهِ حَميُهُ غَليُ مِرجَلِ(6)

فيه معنى جيشان سرعته على الجري بعد الجري.

---

(1) شرح الأعلم,ص:83.
(2) الشعر الجاهلي,د/محمد أبو موسى,ص:101.
(3) شرح الأعلم,ص:83.
(4) الديوان,ص19.
(5) السابق,ص20.
(6) السابق نفسه.

وقوله:

دَريـرٍ كَخُـذروفِ الوَليـدِ أمَـرَّهُ   تَقَلّـبُ كَفّيــهِ بِخَـيطٍ مُوَصَّـلِ [1]

فيه تصل السرعة ذروتها.

وقوله:

فألحَقَنــا بِالهادِيــاتِ وَدونَــهُ   جَواحِرُها فـي صَـرَّةٍ لَـم تزَيَّـلِ [2]

يحمل معنى التقدم والسبق واللَّحاق,وكل ما سبق يأتي معضّدا لمعنى (المنجرد) يراد به الماضي السريع من الخيل,وهو المعنى الذي يترجح في بيت مطلع الفصل, لوروده في تالي الأبيات,واتساقه معها.

ثم قال في بيت الدراسة (قيد الأوابد) ,فاستجيد له هذا القول ونسبت إليه أوّليّته,فقد قال ابن قتيبة إن أبا عبيدة قال :((هو أول من قيد الأوابد,يعني في قوله في وصف الفرس:(قيد الأوابد) فتبعه الناس على ذلك)) [3].

وفي الطبقات قال ابن سلام :((سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب، واتبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والتبكاء في الديار، ورقة النسيب وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء والبيض,وشبه الخيل بالعقبان والعصي,وقيد الأوابد, وأجاد في التشبيه))(4),وتناقله من بعدهم على هذا القدر من الاستحسان والاستجادة.

وفيه استعارة تصريحية حيث حذف المشبه وهو الفرس وذكر المشبه به وهو القيد,وجعل الفرس نفسه قيداً لهذه الأوابد.

وأكثر من هذا وهو أن هذه الكلمة كانت أساساً وجذراً لبيت لحاق الأوابد فيما بعد,حيث جعل هاتين الكلمتين صورة مختصرة هو سوف يفصلها فيما بعد ,وسوف يعود إليها بمزيد من البيان والإيضاح,وذلك هو قوله الذي سبق:

فألحَقَنــا بِالهادِيــاتِ وَدونَــهُ   جَواحِرُها فـي صَـرَّةٍ لَـم تَزَيَّـلِ

---

(1) السابق ,ص21.

(2) ألحقنا بالهاديات :أي ألحقنا الفرس بالمتقدمات من البقر,والجواحر: ما تخلف منها,والصرة:الجماعة ,ولم تزيل: لم تفرق.
السابق ,ص22.

(3) الشعر والشعراء ,لابن قتيبة,ج1,ص133.

(4) طبقات فحول الشعراء ,ج1,ص:55.

وذلك لأن القطعان والأسراب تكون مجتمعة ومتقاربة أكثر وقتها,فإذا ظهر لها ما يروعها,أو اطلع عليها صائد,أو شعرت بخوف,فإنها تتفرق,ويعدو كل منها في جهة من الجهات,وتأخذ يمنةً ويسرةً,فإذا كان الفرس انطلق وتقدم القطيع ولحق بأوائله ,وخلفه المتأخرات منهن, وحالتها أنها لم تتفرق بعد,دلّ هذا على السرعة الخاطفة التي هي كسرعة البرق ,أو هي أسرع,فالمتأخرات من القطيع لم يتفرقن بعد؛ لأنهن لم يدركن بعد وجود فرس أو صائد,إنها إلى تلك اللحظة لم تدرك أنها مطلوبة,ولو أدركت هذا لأوعزت إليها غريزتها بالفرار والتفرق, فلما لم يحدث ذلك كله تبين أن رؤيتها له لم تكن ,وإنما لم تكن لأن فرط سرعته قد لا يدركها البصر,ولهذا كانت سرعته بالنسبة لهذا القطيع كالقيد الذي قيد به فما يستطيع حراكاً ولا تفرقاً.

أما الكلمة الأخيرة في بيت المعلقة وهي قوله (هيكل) فيراد منها عند إطلاقها صفة الضخامة ,مأخوذة من هيكل النصارى أو معبدهم.

ولكن ما السرفي التشبيه بهيكل النصارى؟

استوقفت هذه الكلمة الشراح فقال الأعلم فيها إنه ((شبه ببيت النصارى أو المجوس يقال له الهيكل)) (1)واكتفى بهذا.

وحاول الدكتور/أبو موسى أن يستكنه سرّ هذا التشبيه,فقال:((لم أتبين سراً لذكر معبد النصارى والمجوس هنا ,هل أراد الإيماء إلى القوى الغيبية المبهمة ,وأن لهذا الفرس الذي لم أجد له نظيراً في الشعر حظاً من هذه القوى المبهمة التي لا يخلو هيكل منها)). (2)

يقول الدكتور إن ذكره للهيكل هنا يأتي في سياق تمهيده للبيت الذي يعقب بيت الدراسة,وهو قوله:

مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقبِـلٍ مُـدبِرٍ مَعـاً كَجُلمودِ صَخرٍ حَطّهُ السَيلُ مِن عَلِ

فإنك تلحظ فيه تداخلاً بين المتناقضات ,حيث لا يمكن بحال أن توجد في الحقيقة ,وإن وجدت فإنما في الخيال الشعري,ولذلك قال الدكتورأبو موسى بعد أن تكلم عن هذه المتناقضات في هذا البيت : ((وهذا الذي جعلني أقول إن في كلمة (هيكل) إشارة إلى أن هذا الفرس فيه شيء من القوى الغيبية التي توشك أن تكون خارقة)). (3)

---

(1) شرح الأعلم ص 83 .
(2) الشعر الجاهلي ص 101 .
(3) الشعر الجاهلي,ص101.

وهذا ليس ببعيد عن جو القصيدة ,فإن فيها إشارات إلى مثل أمور الدين والغيبيات ,كبيت المتشابه السابق:

تُضيءُ الظَلامَ بِالعِشاءِ كَأَنَّها   مَنارَةُ مَمسى راهِبٍ مُتَبَتِّلِ [1]

وقوله:

يُضيءُ سَناهُ أَو مَصابيحَ راهِبٍ   أَهانَ السَليطَ في الذَبالِ المُفَتَّلِ [2]

والرهبنة والتبتل ليست ببعيدة من هياكل النصارى ودور عبادتهم.

مع ما أثاره امرؤ القيس من اهتمام بالقوى الغيبية الخفية المضمرة ,في ذكر البرق والسيل,وإتيانه على كل قوي في نهاية القصيدة.

أما بيت القافية الشبيه,فأول ما يلحظ فيه من أوصاف الفرس هو قوله :(بهيكل) وسبق الحديث عنها في البيت الشبيه من المعلقة,إلا أنه يلفت في هذه القصيدة أنه شبه الفرس (بغصن بان ناضر) قال:

فَقُمنا بِأَشلاءِ اللِجامِ وَلَم نَقُد   إِلى غُصنِ بانٍ ناضِرٍ لَم يُحَرَّقِ [3]

ويطلق الهيكل أيضا على ضخام الشجر[4],وجعل فرسه في هذا البيت ((كأنه في حسنه وتثنيه وصفاء لونه غصن بان)) [5],وهذا قريب من قريب.

وإذا كان بيت الدراسة مطلع فصل وصف الفرس,فإن نظرة إلى بيت المطلع في فصل وصف الناقة تبيّن التواشج بين البيتين,ولو كان يجري دمٌ فيهما لكان واحداً.

قال: **فعَزَّيتُ نَفسي حينَ بانوا بِجسرَةٍ**

وقال: **وَقَد أَغتَدي قَبلَ العُطاسِ بِهَيكَلٍ**

والصفتان مجرورتان بحرف الجر في في عروض كل منهما,ولن يبعد من يقول إن هذه سمة ظاهرة في القصيدة,فأنت واجد من المجرورات التي وقعت موقع العروض في القصيدة : **[النيةِ,بجسرةٍ,جهامةٍ,نطيةٍ,عنانهِ,بهيكلٍ,لقانصٍ,بنعمةٍ, بنحرهِ] [1] .**

---

(1) الديوان ص17.

(2) الديوان,ص24.

(3) أشلاء اللجام حدائده,يريد :قمنا إليه فألجمناه,ولم نقده إلى اللجام قوداً.إلى غصن بان:أي إلى فرس كأن غصن بان.

ينظر:الديوان:ص173.

(4) ينظر :اللسان (هكل).

(5) شرح الأعلم,ص328.

وهذا بناء من نوع واحد تراه في أبيات القصيدة.
وأكثر من هذا أن تتشابه بقية الصفات في البيتين أيضاً ,ولا عجب فمصدرهما واحد,وكذلك النسيج والناسج.
قال:

شَديدٍ مَشَكِّ الجَنبِ فَعمِ المُنَطَّقِ

وقال:

أَمونٍ كَبُنيانِ اليَهودِيِّ خَيفَقِ

فالأمون بمعنى ((موثقة الخلق)) [2]تأتي قريبة من (شديد مشك الجنب) بمعنى ((شديد مغرز الجنب في الصلب)) [3]لدلالتهما على قوة الخلق سواء في ناقته أو فرسه.
وقوله:(كبنيان اليهودي خيفق) في ((طولها وشدة خلقها)) [4],قريب من معنى (فعم المنطق) أي ((ممتلئ الجوف)) [5],لدلالتهما جميعا على العظم والضخامة.
وأخيراً فكلمة(فعم المنطق) التي ذكرها في مطلع هذا الفصل تتجاوب مع آخر لحظة في هذا الفصل,وهي تلك اللحظة التي يصبغ فيها نحر الفرس ولبانه بدم صيده ؛إشهاراً له ,ولفعله الذي فعل, والتي تأتي إن صح القول كالتكريم له والإشادة به,أقول تتجاوب مع قوله:

وَقـــامَ طِـــوالَ الشَـــخصِ إِذ يَخضِبونَهُ   قِيامَ العَزيزِ الفارِسِيِّ المُنَطَّقِ [6]

ومن خلال الشطرين الأخيرين في البيتين يتضح ويتجلى أن كل واحد منهما شديد التعلق بقصيدته ,بين الارتباط بأبياتها,وأن كل كلمة من كلماته تمد بسبب إلى بقية أبيات القصيدة,ولاسيما أن الشطرين وقعا مطلع فصل من فصول القصيدة تنضوي تحته أبيات عدة,مما مكّن بأن يكون هناك ترابط واتصال,بخلاف ما لو كان البيت في درج القصيدة.

***

---

(1) ينظر الديوان.ص169- وما بعدها.
(2) شرح الأعلم ,ص322.
(3) السابق,ص326.
(4) السابق,ص322.
(5) السابق,ص326.
(6) وقام أي الفرس,وطوال أي طويل,إذ يخضبونه :يعني بالدم,وذلك إذا صادوا عليه جعلوا على شعر ناصيته ,وعلى عنقه,من ذلك الدم ليعلم أن قد صادوا به,والمنطق:ذو المنطقة شبهه بالرئيس عند الفرس المعظم فيهم.
ينظر الديوان:ص175.

قال امرؤ القيس[1]:

دَريـرٍ كَخُـذروفِ الوَليـدِ أَمَـرَّهُ   تَقَلُّــبُ كَفّيــهِ بِخَــيطٍ مُوَصَّــلِ[2]

وهو يشبه قوله[3] :

فَأَدرَكَ لَم يَجهَد وَلَم يَثنِ شَأوَهُ   يَمُـرُّ كَخُـذروفِ الوَليـدِ المُثَقّـبِ[4]

---

(1) الديوان ص 21 .
(2) درير الفرس على معان منها شدة السرعة،واكتناز الخلق والاقتدار،والخذروف: شئ يدوّره الصبي بخيط في يده فيسمع لها دوي، وتسمى الخرارة،وأمره من الإمرار وهو الفتل .
ينظر اللسان (درر،خذرف،مرر)
(3) الديوان ص 51 .
(4) الشأو: الطلق والشوط أو الغاية أو الأمر.
الثقب: الخرق النافذ،والمراد هنا :الخذروف المثقوب .
يمر : بمعنى اجتاز وذهب واستمرّ .
ينظر اللسان (شأى،ثقب،مرر) .

أما البيت الأول فإنه من المعلقة وقد ورد في فصلٍ وصف فيه غدّوه للصيد بفرس منجرد،وعدد من صفاته في أبيات متتالية فيها ما يبين سرعته،وفيها ما يبين صوته فقال:

مكرٍ...،كميتٍ...،مسحٍ...،جيّاشٍ...،دريرٍ...

فوصف منه هذه الصفات ولما يدخل بعد في وصف الصيد بدليل قوله بعد ذلك :

وَبـاتَ عَلَيـهِ سَـرجُهُ وَلِجامُـهُ وَباتَ بِعَيني قائِماً غَيرَ مُرسَلِ [1]

بمعنى أنه لم يحط عنه سرجه ولجامه مرتقباً الصبح ليصيد به .

ولو نظرت إلى البائية لوجدته قد ذكر البيت في فصل وصف فيه غدوه للصيد بفرس منجرد أيضاً, وعدد من صفاته في أبيات بعده, ثم وصف نعاجاً ترتع ,وطلبها الفرس الذي كأنه في شدة جريه مطر العشي الشديد, ومع سرعة هذا الفرس فقد استخدم الفارس ساقه وسوطه حتى إنه زجره ثم قال :

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه...

وهنا نرى اختلافاً بيّناً بين البيتين،وموقعهما في سياق القصيدتين, فإن بيت المعلقة ورد في فصل وصف الغدو للصيد ووصف الفرس أمّا بيت البائية فإنه وإن ورد في فصل وصف الغدو للصيد ووصف الفرس أيضاً ,إلا أنه ورد ضمن أبيات وصف إدراك الصيد،وهذا اختلاف أوجب أن يكون بيت البائية مبدوءاً بقوله :(فأدرك) لأنه يصف سرعته في الإدراك .

وبالعودة إلى بيت المعلقة ولأنه في وصف الفرس،فإنه قد تابع في ذلك سياقه من الأبيات والتي ابتدأت بقوله :

(مكرٍ ,وكميتٍ ,ومسحٍ ,وجياشٍ) ،فجاء هو **(دريرٍ)** على أنها جميعاً تابعة لقوله (بمنجرد) .

ثم قال : كخذروف الوليد ...ومن الأسئلة التي يمكن أن يكون هذا مكانها،سؤال يتعلق بغرضه من التشبيه في بداية بيت المعلقة وفي نهاية البيت الشبيه ,أعني قوله في الأول: دريرٍ كخذروف ,وقوله في الثاني :يمرّ كخذروف.

وحسنٌ أن يؤسس لكل ما سيأتي بقول العرب في الخذروف,وهو مثل بيّنت به ما كانت تراه فيه من صفة فقالت:((أسرع من الخذروف.)) [1]

---

(1) عني أنه كان مرتقبا الصبح ليصيد فلم يحط عنه سرجه ولجامه.
وقوله :(وبات بعيني):أي حيث أراه لكرامته علي, وقوله (غير مرسل) أي: لم أهمله لأني مستعد لركوبه.
ينظر:الديوان ص 21.

والمثل يبين أهم ما لاحظته العرب من صفات الخذروف وهي صفة السرعة,وعلى هذا بنت مثلها.
وفيما يخصه في قولي امرئ القيس فإن العلماء ممن توجهوا بالشرح لديوانه أو معلقته،قد أبدوا في ذلك آراء عدة .
فمنهم من رأى أن الغرض من التشبيه في بيت المعلقة إنما هو ((السرعة والخفة)) [2],أي أن سرعة هذا الفرس كسرعة الخذروف وخفته كخفته .
وذهب الأستاذ/ محمود شاكر و د/محمد شادي إلى أنه إنما شبه فرسه بالخذروف في سرعته واجتماع خلقه وصوت مروره في الريح . [3]
بينما ذهب الدكتور/محمد أبو موسى إلى أن هذا التشبيه لمحض السرعة. [4]
وبالعودة إلى بيت المعلقة وسياقه،تجد أن بيت المعلقة قد جاء خاتمة أبيات في السرعة ذكرها,ثم ذكر بيت(دريرٍ كخذروف الوليد...) على أنه قمة ما يمكن أن يوصل إليه في وصف سرعته ،وذلك في قوله:

عَلى العَقبِ جَيّاشٍ كَأنَّ اِهتِزامَهُ   إِذا جاشَ فيهِ حَميُهُ غَليُ مِرجَلِ [5]

على أن بقية الأبيات في السرعة وذروتها بيت الدراسة .
أمّا بيت البائية فليس ببعيدٍ من مثل هذا،حيث رأى الأعلم أنه شبه بالخذروف المثقب لخفته وسرعته. [6]
ويرى الدكتور/شادي أنه شبه بخذروف الوليد لأنك لا تتبين له جهة ما،ويحدث أصواتاً متتابعة من فرط سرعته . [7]
وأمر السرعة مفروغ من إرادة الشاعر له,أما الصوت فيعضّد إرادته إياه البيت الذي قال فيه:

إِذا ما جَرى شَأوَينِ وَابتَلَّ عِطفُهُ   تَقولُ هَزيزُ الريحِ مَرَّت بِأَثأَبِ [1]

---

(1) مجمع الأمثال ,لأبي الفضل النيسابوري,تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد,ط دار المعرفة بيروت ,ج 1 ص349.
(2) ينظر: شرح الأعلم ص86 ،شرح البطليوسي ص100 ،شرح المعلقات للتبريزي ص49 .
(3) ينظر: طبقات فحول الشعراء جـ 1 ص 84،ورسالة (التشبيه عندامرئ القيس) د/ محمد شادي ص 110-111.
(4) ينظر الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء ص 111 .
(5) على العقب جياشٍ:أي يجيش في جريه كما تجيش القدر على النار والعقب:جري بعد جري،وقيل:تحريك الفرس بالعقب،أي لايحوجك إلى السوط لنشاطه وسرعته، وأهتزامه :صوت جوفه عند الجري، والحمي:الغلي ،والمرجل:القدر .
ينظر:الديوان ص 20 .
(6) ينظر: شرح الأعلم ,ص144 .
(7) ينظر(التشبيه عند امرئ القيس) د/محمد شادي ص 142 .

وهذا البيت قبل بيت الدراسة بعدة أبيات ,قاله يصف الفرس وهو لم يدخل في وصف الصيد بعد.

وكذلك البيت الذي يلي بيت الدراسة مباشرةً ،وفيه وصف لصوته حيث قال:

تَرى الفأرَ في مُستَنقَعِ القاعِ لاحِباً عَلى جَدَدِ الصَحراءِ مِن شَدِّ مُلهِبِ [2]

أي أن الفرس مرّ ((له حفيف لشدة جريه،فخرج الفأر من جحرتهن ظننه مطراً)) [3].

وكل هذه التأويلات تصح حيث لا تناقض بينها,وينظر فيها كل ناظر حسب ما يظهر له من السياق وعطاءاته المختلفة.

وأخيراً فإنه يلحظ وهو في المعلقة يصف شدة جري الفرس،قد أفاض في ذكر ما من شأنه أن يقوي صفة السرعة فيه فذكر (الإمرار،وتقلب الكفين،والخيط الموصل)،وهذه أمور لا تعلق لها بصيد أو غيره،بل خالصة في تمكين معنى السرعة من خلال التدقيق في صفات المشبه به.

فالإمرار الذي هو إحكام فتل الحبل مما يؤدي إلى سرعة الخذروف، وتقلب الكفين بالخيط هو الذي يؤدي إلى الإمرار،والخيط الموصل إنما وصل نتيجةً للإمرار وتقلب الكفين به ،فبعد أن لعب به كثيراًّ خف فانقطع ووصل،وهذا أسرع لدورانه كما قيل [4].

أما في البائية،فلأنه معني بذكر إدراك الصيد، فقد ذكر ما هو منه بسبيل فذكر (لم يجهد)و(لم يثن شأوه)و(يمر كحذروف الوليد) .

فنفى عنه الإجهاد والتعب في الإدراك الأول .

ونفى أنه أعاد له شوط الطرد ليعطيه فرصةً ثانيةً،ثم بين حاله حين أدرك الصيد،فكأنه قال((أدرك وهو في حالٍ يمر كمر الخذروف)) [5]

---

(1) يقول: إذا جرى هذا الفرس طلقين وابتل جانبه من العرق سمعت له خفقاً كخفق الريح إذا مرت بأثأب،وهو شجر يشبه الأثل،يشتد صوت الريح فيه،وهزير الريح صوتها .
ينظر: الديوان ص 49 .

(2) يقول: مرّ الفرس له حفيف لشدة جريه،فخرجت الفئرة من جحرتهم ظنته مطراً فخشين أن يسيل الأرض فيغرقهم،فبرزن من القاع وهو بطن الأرض إلى الجلد وما استوى من الأرض وصلب.
والملهب: الشديد العدو الملتهب في الجري،ينظر الديوان ص 51 .

(3) ينظر شرح الأعلم ص 86 .

(4) شرح الأعلم ص 86 .

(5) شرح الوزير البطليوسي ص 171 .

فكان ذكر الخذروف لبيان سرعته في الإدراك .
وختاماً يلحظ أن معنى كلمة (أمرّه)في المعلقة هو غير معنى كلمة (يمرّ) في البائية ،مع أن جذرهما واحد.
فهو في المعلقة بمعنى (إحكام الفتل)وفي البائية بمعنى (المرور والتجاوز)،وذلك راجع إلى ما أراد في البيتين .
ففي المعلقة يصف الفرس بأنه يدر الجري دراً كخذروف الوليد, فينصرف الفعل أمره إلى حبل الخذروف.
أما في الأخرى فإنه لم يذكر دراً ولا جرياً وإنما ذكر الإدراك واللحاق بالطريدة, وهو في إدراكه هذا , يمر ويجتاز مسرعاً كخذروف الوليد.

***

قال امرؤ القيس[1]:

فَعادى عِداءً بَينَ ثَورٍ وَنَعجَةٍ   دِراكاً وَلَم يُنضَح* بِماءٍ فَيُغسَلِ[2]

وهو يشبه قوله[3] :

فَصادَ لَنا عيراً وَثَوراً وَخاضِباً   عِداءً وَلَم يُنضَح بِماءٍ فَيَعرَقِ[4]

---

(1) الديوان ص 22.

(2) عادى بمعنى: والى.
والعداء: الطلق الواحد للفرس حتى يلحق الصيد.
والثور: الذكر من البقر.
والنعجة: الأنثى من الضأن و الظباء والبقر الوحشي والشاء الجبلي،والدراك هو لحاق الفرس الوحش وغيرها، وأيضا: اتباع الشيء بعضه على بعض بمعنى: المتابعة.
والنضح: الرش ,فيغسل: يقال للفرس إذا عرق: قد غسل وقد اغتسل واستشهد في اللسان بالبيت
ينظر: اللسان (عدا،ثور، نعج، درك، نضح، غسل)

(3) الديوان ص174 .

(4) عيراً: الحمار أياً كان أهلياً أو وحشياً وقد غلب على الوحشي.
والخاضب الذكر من النعام.
ينظر: (اللسان، عير، خضب)

- غلّط ابن قتيبة من رواه (يُنضح) وصوابه أن تكسر الضاد فتكون (ينضِح) ,وقال البطليوسي بعد أن نقل قول ابن قتيبة :(ويجوز فتحها لمكان حرف الحلق) يعني الضاد,وعلى هذا فيصح أن تكون (ينضِح ,وينضَح) بالكسر و الفتح .
ينظر: كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة , ج 1 ص12,
و شرح البطليوسي ج1,ص 104.

ورد البيت الأول في معلقته في سياق حديثه عن الصيد في مقطع عدد أبياتـه ثمانيـة عشر بيتاً بدأها بقوله:

وقد أغتدى والطير في وكناتها[1]

كان الوصف في العشرة الأولى منها خالصاً للفرس واشتملت الثمانية الأخرى على وصف الصيد والفرس وكان رابعها بيت الدراسة.

وقوله:(وقد أغتدي...) امتداد لخيط ذكرياته الذي علقه في معلقته[2] , ووصف في المقطع بكوره على ظهر منجرد سريع , يكر ويفر ويقبل ويدبر في آن واحد وهو يشبه والحالة هذه جلمود صخر حطه السيل من عل,وهو كميت فيه صلابة وشدة ,كأنه في سرعة جريه مطر منسحّ ,وهو أيضا جياش سريع وافر النشاط في الجـري بعـد الجـري, وبـين أنـه يطـرح الغـلام الخفيـف ويلقيـه عـن صـهوته ,لسرعته,وكذلك يفعل بالأخرق الثقيل إذا ركبه, ويدر جريه كما يدر الخذروف في يد الصبي , ... [3] ,حتى قوله:

فعادى عداءً...

وأول ما يلحظ في بيت الدراسة هذه الفاء في صدره والتي عطفته على ما قبلها, والبيت وما قبله وما بعده أحداث متلاحقة يعدو بعضها خلف بعض , واستدعى تلاحقها, وهذا العداء أن يكون العطف بالفاء؛ لما يفيده العطف بها من ترتيب وتعقيب ومجيء العطف بها في هذا الجزء من القصيدة معجب جدا؛ فإن الصيد إنما يظهر فجأة و يتلو هذا الظهور المفاجئ رؤية الصيادين له مما يثيرهم و يفاجئهم أيضا, ويترتب على رؤيتهم أن يعقبوها مباشرة بالتحرك نحوها، ما يجعل الفعل التالي من قبل الصيد هو الهرب عقب الطلب مباشرة وهكذا ,نوع من الطلب والتعقيب والتوالي لا نظير له.

قال امرؤ القيس في لحظة الصيد تلك:

فَعَـنَّ لَنــا سِــربٌ كَـأَنَّ نِعاجَـهُ عَـذارى دَوارٍ فـي مُـلاءٍ مُـذَيَّلِ[4]

---

(1) الديوان ص 19.

(2) ينظر: الشعر الجاهلي د/محمد أبو موسى ص 99

(3) ينظر الديوان19– 23

(4) (عن لنا سرب) أي عرض لنا قطيع بقر، وشبه إناثه بجوار أبكار يطفن بصنم (دوار) ، والملاء: الملاحف، والمذيل : الطويل المهذب.
ينظر الديوان ص 22.

فَـأدبَرنَ كَـالجِزعِ المُفَصَّلِ بَينَـهُ   بِجيدِ مُعَمٍّ فـي العَشـيرَةِ مُخـوَلِ[1]

فألحقنـــا بـالهاديـــات ودونـــه   جوا حرها في صرة لم تـزيـل[2]

فعادى عداء .... البيت

والفاء الأولى في هذه الأبيات وما بعدها من فاءات، معطوفة بمجموعها على قوله، قبله (وقد أغتدي...) إلى (... وبات بعيني قائماً غير مرسل) من قبيل عطف معنى على معنى.[3]

وكلمة (عادى) في بيت الدراسة جاءت بصفة (فاعل) التي تدل على المشاركة ((فالمعاداة:الموالاة و المتابعة بين الاثنين يصرع أحدهما على إثر الآخر في طلق واحد...)) [4]وما لا شك فيه أن هذه المعاداة كانت بين الفرس وبين الصيد.

وقوله(عداء) جاءت لتقوية و تأكيد فعل المعاداة السابقة، أي: أنه عادى عداءً قوياً شديداً بين...

أما البيت الشبيه فهو من قصيدته التي مطلعها:

ألا انعم صباحا أيها الربع وانطق [5]

ورد البيت في سياق حديثه عن الصيد ووصف الفرس , حيث بدأ المقطع بقوله :

وَقَد أَغتَدي قَبلَ العُطاسِ بِهَيكَلٍ   شَديدٍ مَشَكِّ الجَنبِ فَعمِ المُنَطَّقِ[6]

---

(1) الجزع: الخرز، المفصل: الذي فصل بينه باللؤلؤ،(بجيد معم...)أي بعنق.
ينظر السابق نفسه.

(2) فألحقنا بالعاديات : أي ألحقنا الفرس بالمتقدمات من البقر
والجواحر: ما تخلف منها، والصرة :الجماعة، ولم تزيل أي
لم تفرق والمعنى : أن الفرس جمع بين أوائلها وأواخرها
فلم يفت منها شيء.
ينظر السابق نفسه.

(3) ينظر : الشعر الجاهلي د/ محمد أبو موسى ص116

(4) اللسان : عدا.

(5) انعم صباحا: كانت تحية أهل الجاهلية، وقالوا:الدعاء هو للربع والمراد أهل الربع.
ينظر: الديوان ص:168.

(6) قبل العطاس: أي قبل أن يقوم الناس فيسمع صوت أو عطاس، والهيكل الفرس الضخم المرتفع ، وقوله: (شديد مشك الجنب) أي شديد مغرز الجنب في الصلب، وقوله: (فعم المنطق) أي: ممتلئ الجوف.
ينظر : السابق ص 172.

وأخبر أنهم بعثوا ربيئاً ينظر موضع الصيد ويخبرهم به، فلما رأى الصيد أخبرهم بوجود(صوار، وعانة، وخيط نعام)،فانطلقوا نحو الفرس باللجام ولـم يقودوه إليه لفرط ما هم فيه من العجلة.

وحاولوا إركاب غلامهم عليه فما ركبه إلا بعد جهد ، ثم وصف غلامه فوق فرسه، كأنه راكب على باز محلق في السماء، رأى أرنباً فانقض نحوها، وأوصى الغلام بتصويب الرمي وعدم إجهاد الفرس في الجري لئلا يلقيه عن متنه، وهربت هذه القطعان عندما أحست به ...

ولكنه أدركها، وقد ثنى عنانه لفرط سرعته ، فصاد ثوراً وعيراً و خاضباً في طلق واحد ولمّا يعرق بـعد.

وأول ما يلحظ في بيت الدراسة ، هذه الفاء في صدره، والتي عطفت معقبة فعل الصيد على فعل الإدراك السابق عليه في قوله:

وَأَدرَكَهُنَّ ثانِياً مِن عِنانِهِ كَغَيثِ العَشِيِّ الأَقهَبِ المُتَوَدِّقِ (1)

وعطفهُ بيت الدراسة بالفاء دليل على أنه صاد به فور الإدراك وبلامهلة.

وقوله بعد ذلك(لنا) يحمل دلالات التعظيم , وعلوّ شأن النفس الملكة الشاعرة , إذا كان يقصد التعظيم , فإن كان يقصد نفسه ومن كان معه من الرفقة فهي أبين في الدلالة على التعظيم لأنّ الملك لا يخرج إلا في حاشيه ٍوخدمٍ وحشمٍ حتى وإن كانت الرحلة رحلة صيد, فضلاً عن غيرها.

ومع كل هذا فإن قوله(لنا) في بيت الدراسة يتواءم و يتوافق مع سياق القصيدة , في الدلالة على أنها مما قيل قبل مقتل حجر والد الشاعر . (2)

أي أنها قيلت في وقت الملك والسيادة والرفاهية والنعمة.

وقوله في البيت مما اعتاده الملوك في الحديث عن أنفسهم ,وفي القصيدة أمثلة كثيرة ,من مثل قوله:

بَعَثنا رَبيئاً قَبلَ ذاكَ مُخمِلاً كَذِئبِ الغَضى يَمشي الضَراءَ وَيَتَّقِ (3)

وقوله :

فَقُمنا بِأَشلاءِ اللِجامِ وَلَم نَقُد إِلى غُصنِ بانٍ ناضِرٍ لَم يُحَرَّقِ

نُزاوِلُهُ حَتّى حَمَلنا غُلامَنا عَلى ظَهرِ ساطٍ كَالصَليفِ المُعَرَّقِ

(1) قوله (وأدركهن) يعني الغلام أدرك الحمير، وقوله (ثانياً من عنانه) أي لم يخرج ما عنده من الجري ، ولكنه أدركهن قبل أن يجهد

والغيث: السحاب أو المطر، والأقهب: ما كان لونه إلى الكدرة مع البياض

وقوله: المتودق أي الشديد من المطر.

ينظر: السابق ص 174 .

(2) من التشابه اللفظي في شعر امرئ القيس , د/دخيل الله الصحفي.

(3) الربيئ من يربأ للقوم أي ينظر الصيد من مكان مرتفع , مخملاً: أي يستر نفسه ويخفيها, و الغضى : شجر, الضراء:مشية فيها اختيال وتبختر ,ويتقي:أي يتوقى أن يراه الصيد.

ينظر : الديوان ص 172.

(1)

(2)

وقوله:

فَقُلنــا ألا قَـد كـانَ صَـيدٌ لِقـانِصٍ   فَخبّـوا عَلَينـا كُـلَّ ثـوبٍ مُـروَّقِ [3]

وقوله:

وَرُحنـا كَـأَنَّ مِـن جُـؤاثى عَشِـيَّةً   نُعالي النِعاجَ بَينَ عِدلٍ وَمُشنَقِ [4]
وَرُحنـــا بِكَـــابنِ المـــاءِ يُجنَـــبُ وَســـــــطَنا   تُصَوَّبُ فيهِ العَينُ طَوراً وَتَرتَقي [5]

وقوله:

وَأصـبَحَ زُهلـولاً يُـزِلُّ غُلامَنــا   كَقِـدحِ النَضِـيِّ بِاليَـدَينِ المُفَـوَّقِ [6]

وهذه الأبيات كلها تدل على الروح الملكية التي كانت تسري فيه حين قال: القصيدة ، وقوله(لنا) في بيت الدراسة متوائم مع السياق والسباق واللحاق في القصيدة كما سبق ، وليس استخدامه لضمير المعظم نفسه هو الدليل الوحيد على أنه قالها إبان الملك ، بل إن هناك أدلة أخرى على هذا من مثل((حديثه عن الملوك كما، في قوله: ورحنا كأن من جؤاثى عشية...)). [7]
وهذه الصورة عن ملوك جؤاثي استدعتها ذاكرة الملك الذي يشبه حال الملوك بحال ملوك آخرين .

---

(1) أشلاء اللجام:حدائده ,وإنما يريد:قمنا إليه فألجمناه ولم نقده الى اللجام قوداً, وقوله (إلى غصن بان):يعني إلى فرسٍ كأنه في حسنه وصفاء لونه غصن بان.
ينظر الديوان ص 173.

(2) نزاوله:أي نحاول منه ركوب الغلام,ولم يكد الغلام يركبه إلا بعد معالجه, والساطي: الذي يسطو بنفسه فلا يتوقى ما ركب وما ضرب بحافره.
والصليف :عود من أعواد الرحل,وقوله:المعرّق يعني انه قد بري برياً وبه توصف الخيل العتاق.
ينظر:السابق ص 173.

(3) القانص: الصائد ,وخبوا علينا :أي اضربوا لنا خباءً, وقوله(مرّوق)يعني له رواق.
ينظر: السابق ص175.

(4) كأنا من جواثي:يعني كأنا من ملوك جؤاثى وهي قرية بالبحرين ,المشنق:المعلّق الذي لم يجعل في الأعدال , وذلك لكثرة ما معهم من الصيد .
ينظر:السابق ص 176.

(5) ابن الماء طائر,وسطنا:بيننا,تصوب فيه... أي تنتظر العين إلى أعلاه وأسفله من إعجابها به.ينظر السابق نفسه.

(6) الزهلول:الخفيف,ويزل الغلام أي يلقيه عنه ,والقدح: السهم , النضي: الذي لا نصل فيه , والمفوّق: السهم الذي جعل له فوق.
ينظر : السابق نفسه.

(7) بحث من التشابه اللفظي في شعر امرئ القيس د/ دخيل الله الصحفي0

ومن الأدلة قوله:

فَـأَدبَرنَ كَـالجزعِ المُفَصَّلِ بَينَـهُ   بِجيـــدِ الغُـــلامِ ذي القَمـــيصِ [1]

حيث فسّر الأعلم البيتَ وقال: ((المطوق: نعت الغلام ،أي عليه طوق وهو من لباس الملوك)) [2]

وهذه الصورة أيضا تستدعيها ذاكرة ملك مباشر لما يلبسه أبناء الملوك.

ومن الأدلة أيضاً قوله:

وَقـــامَ طِـــوالَ الشَـــخصِ إذ يَخضِبونَهُ   قِيـامَ العَزيـزِ الفارِسِـيِّ المُنَطَّقِ [3]

حيث قال الأعلم في الشطر الثاني:((شبهه بالرئيس من الفرس المعظم فيهم)). [4]

وهذه الصورة الأخرى تنطق بوصف حال الملك الذي كان فيه، وإنما استدعاها لأنه ملك.

وأخيراً فإن القصيدة فيها أبيات أخرى تنم عن حالة الترف والملك الذي كان فيه تلك الفترة،إبان قوله القصيدة, من مثل قوله يصف مراكب صواحبه حين رحلن:

جَعَلـنَ حَوايـا وَاقتَعَـدنَ قَعائِـداً   وَخَفَّفـنَ مِـن حَـوكِ العِـراقِ المُنَمَّـقِ [5]

وَفَـوقَ الحَوايـا غِزلَـةٌ وَجَـآذِرٌ   تَضَمَّخنَ مِن مِسكٍ ذَكِـيٍّ وَزَنبَـقِ [6]

---

(1) الجزع: الخرز وأدبرن يعني بقر الوحش والمطوق: أي عليه طوق
ينظر الديوان ص 174.

(2) شرح الأعلم ص 330.

(3) قام يعني الفرس، طوال يعني طويل ويخضبونه بالدم إذا صادوا عليه فيجعل على شعر ناصيته وعلى عنقه من ذلك الدم ، ليعلم أن قد صادوا به، وقوله: (قيام العزيز...) شبهه بالرئيس من الفرس المعظم عندهم، والمنطق ذو المنطقه.
ينظر: الديوان ص175.

(4) شرحه للديوان ص331.

(5) الحوايا: جمع حوية وهو مركب من مراكب النساء وقوله(من حوك العراق) يعني مما يحاك بالعراق والمنمق: المزين.
ينظر الديوان ص 168

(6) غزلة: جماعة غزال ، والجآذر أولاد البقر.
وتضمخن : تلطخن و تطيين .
ينظر : السابق نفسه .

وقوله:

وَبَيتٍ يَفوحُ المِسكُ في حُجُراتِـهِ　　بَعيـدٍ مِـنَ الآفـاتِ غَيـرِ مُـرَوَّقِ [1]

وسبقت الإشارة إلى أن هذا البيت غير المروق هو القصر.
وبالعودة إلى بيت المعلقة نجد قوله (بين ثور ونعجة) في حين أنه قال في القافيّة (ثوراً وعيراً و خاضباً) فما وجه الاختلاف وسببه بينهما ؟
أما بالنسبة لبيت المعلقة فإن ما ذكر من (الثور والنعجة) يدخل في معنى السرب الذي ذكره قبل بيت الدراسة حين قال :

فعن لنا سرب كأن نعاجه

والسرب هو : القطيع من النساء والطير والظباء والبقر والحمر والشاء.[2] فالعموم الذي ذكره أوّلا فصله في بيت الدراسة , وقرن بين الثور والنعجه في بيته ليقول : إن قوة الثور كقوة النعجة و أنهما ((سواء ما دام قد طلبهن بفرسه)) [3]
وأما تحديده في القافيّة(للثور والعير والخاضب) وتخصيصهم فإنه عائد إلى التعميم السابق في قوله :

وَقـالَ أَلا هَـذا صُـوارٌ وَعانَـة　　وَخَـيطُ نَعـامٍ يَرتَعـي مُتَفَـرِّقِ [4]

فاختار من الصوار الثور , ومن العانة العير , ومن خيط النعام الخاضب , وهذا الاختيار في أن يكون الصيد موزّعاً على الأنواع الثلاثة يدل على التمكن وليس فقط على حصول الشيء كيفما اتفق , حيث لم يفلت مما ذكر الرابئ شيئاً .
وأمر آخر مهم في هذا البيت وهو أن التخصيص الذي ذكره امرؤ القيس لا يقصد منه التحديد وأن هذا فقط ما صادوه , بل إنه ذكرها لأمور منها :
أولاً : صيدها مصداق لحديث الرابىء عنها ووجودها .
ثانياً : وهو الأهم ليذكر أن صيد هذه الثلاثة كان في طلق واحد في جولة واحدة لا في عدة جولات , لينفذ من ذلك إلى أن فرسه كان من الجودة بحيث صاد كل هذا في شوط واحد ولم يعرق , فأفادنا بيان سرعته وجودته.
ويلحظ فيه الترتيب المتوافق مع إخبار الرابىء فإنه :

---

(1) يفوح وينفح ويضوع واحد , وحجراته نواحيه وقوله (غير مروق) أي ليس له رواق . ينظر : السابق ص 171.
(2) ينظر اللسان : سرب .
(3) الشعر الجاهلي د / محمد أبو موسى ص 119.
(4) الصوار : القطيع من البقر , والعانة من الحمر الجماعة , وكذلك الخيط من النعام ينظر : الديوان ص 172.

قال :

ألا هذا صوار ، وعانة ، وخيط النعام .

فصاد : ثوراً ، وعيراً ، وخاضباً .

من كل جماعة واحد على الترتيب الذي ذكره الرابىء .

وقلت أنه لم يرد التحديد في بيت الدراسة؛ لأنه قال بعده :

وَظَـلَّ غُلامـي يَضـجَعُ الـرُمحَ حَولَهُ لِكُـلِّ مَهـاةٍ أَو لِأَحقَـبَ سَـهوَقِ[1]

فبين أن هناك صيداً آخر أكثر مما ذكر وأكثر من الثلاثة التي عدد ، وللدكتور / محمد أبو موسى : تعليل طريف ورائع في الربط بين المطلع وصيد هذه الثلاثة .[2]

وأيضاً قال في الختام :

وَرُحنـا كَأَنّـا مِن جُؤاثى عَشِيَّةً نُعالي النِعاجَ بَينَ عِدلٍ وَمُشنَقِ

((وإنما قال ذلك لكثرة ما معهم من الصيد المعدول في الأعدال)).[3]

وهذا أبين في الدلالة على أنه أراد الكثير من الصيد ،- وستأتي آراء الشراح في هذا - وأما التخصيص في بيت الدراسة فما هو إلا للأمرين السابقين .

ثم قال في المعلقة (دراكاً) وهو مصدر وضع موضع الحال أي (مداركة).[4]

حيث عبر عن ظفره ((بكلمة واحدة هي مصدر حذف فعله حتى إنه لم يقل : فأدركها دراكاً , كما قال : فعادى عداءً وإنما اختصر خبر الظفر وكأنه خطفه خطفاً)).[5]

ونقل التبريزي أن (دراكاً) أفادت التكثير وأنه ليس المراد ثوراً ونعجةً فقط .[6]

فهما مذكوران ومن وراءهما شيء غير مذكور سكت عنه ((ولو أراد ثوراً ونعجة فقط لاستغنى بقوله (فعادى) وإنما يريد : أنه تابع هذا الفعل مرة بعد مرة))[7]

فأفهمنا من كلمة (دراكاً) أنه صاد كثيراً وقد سكت عنه .

وأخيراً قوله في البيتين : (ولم ينضح بماء)

وختم بيت المعلقة بقوله : (فيغسل) .

---

(1) يضجع الرمح: يعني قد لحقه فهو يطعنه كيف شاء، مهاة: بقرة وحشية لأ حقب : حمار الوحش : والسهوق : الطويل
ينظر الديوان ص 175

(2) ينظر الشعر الجاهلي د/ محمد أبو موسى ص 204

(3) ينظر هامش الديوان ص 176.

(4) شرح المعلقات ، التبريزي ص 52

(5) الشعر الجاهلي د/ محمد أبو موسى ص 119

(6) شرح المعلقات ص 52

(7) شرح البطليوسي ص 105 .

وختم بيت القافية بقوله : (فيعرق).
وأكثر ما تناول العلماء بيت المعلقة ، وشرحوه مراراً وفسروه بما رأوا , ولم يكن ثمة كبير التفات للبيت الآخر فلم يحظ بما حظي به شبيهه ، وأدى احتكاك العلماء بالبيت إلى سطوع آراء عدة فيما يخص قوله : (ولم ينضح بماء فيغسل) .
وإذا كان قد اشتهر أن الضدَّ يظهر حسنه الضدُّ ، فإن الشبيه يظهر أيضاً حسنه وحقيقته شبيهه ، وهذا البيت خير مثال على هذا الأمر.
فقد فسر الأعلم المراد فقال : في معنى (ولم ينضح بماء فيغسل) ,((أي لم يعرق ، وأراد بماء هاهنا العرق ، والمعنى : أنه صاد قبل أن يجهد ويعرق فيكون كأنه قد غسل)). [1]
وقال ابن الأنباري قريبا مما قاله الأعلم ونص كلامه : ((قتلهما ولم يعرق ، أدرك صيده قبل أن يعرق ، وقوله : (فيغسل) معناه : لم يعرق فيصير كأنه قد غسل بالماء)) [2]
وكرر التبريزي هذا الكلام أيضاً . [3]
أما الزوزني فقال : إن المراد أنه ((لم يعرق عرقاً مفرطاً يغسل جسده .)) [4]
وقال البطليوسي : إن المعنى أن الفرس لم يعرق ، فيكون بمنزلة من غسل بالماء .
ووجه آخرقاله وهو : أنه لم يعرق فيحتاج أن يغسل بالماء من عرقه ، وإنما يريد أن الفرس أدرك الطريدة قبل أن يعرق . [5]
وقال الدكتور / محمد أبو موسى في قوله (فيغسل) أفهم منها أنه لم يقصد إلى نفي العرق ، وإنما نفى أن ينضح فيغسل ، يعني نفى النضح المفضي إلى كثرة العرق الذي يكون الفرس فيه كأنه غسل.[6]
وقال في موضع آخر : ((... وكلام الأستاذ شاكر مؤسس على أن امرأ القيس لم ينف العرق كما فهم الأعلم وهذا حق لأن عرق الفرس ليس عيباً عند امرئ القيس وإنما العيب الذي نفاه هو أن يغسل بهذا العرق ، لأن هذا لا يكون عن جلادة وفضل قوة)). [7]
أما ابن قتيبة فإضافة إلى اعتراضه السابق على من رواه بضم الأول في قوله :(ينضح) وجعله من المبني للمجهول ، فقد بيّن أيضاً أمراً آخر وهو أن عرق الفرس

---
(1) شرح الأعلم للديوان ص 89.
(2) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص 96 .
(3) شرح المعلقات العشر ص 51 .
(4) شرح المعلقات السبع ص 52
(5) شرح البطليوسي ج1 ص 104 - 105 .
(6) الشعر الجاهلي ص 119 .
(7) السابق ص 125 .

ليس مذموماً ، قال : ((لم يرد بقوله (ولم ينضح بماء) أن العرق مكروه ، ولكنه أراد سرعة إدراكه إياهما وأن عقرهما قبل أن يعرق الفرس)) . [1]

وقد نفى زعم من قال إن الخيل إذا عرقت غسلت بالماء حيث قال : ((قالوا : والخيل إذا عرقت غسلت بالماء ، وليس هذا بشيء)) [2] ,حيث نفى أن يكون هذا من الكلام الذي يعول عليه أو يؤبه له .

ثم أخيراً بين أن قول امرئ القيس (فيغسل) في بيت المعلقة معناه (فيعرق) ,فهي مرادفة لها,وليس المراد أنها تغسل بالماء, قال : ((قول امرؤ القيس مثل قول معقر بن حمار :

وكل سبوح في العنان كأنها إذا اغتسلت بالماء فتخاء كاسر

لأن اغتسلت في هذا البيت : عرقت)) [3]

إذاً فالغرض من قوله (ولم ينضح بماء فيعرق) أن يبين أنه صاد كل ما ذكر في طلق واحد,ولما ينضح بماء يقال يسببه أنه قد عرق ، ولا حاجة لأي تأويل غير هذا ، ولا سيما أنه إذا قيل (اغتسل الحصان) فمعناها عرق والبيت الشبيه دليل على أن هذا مراد وصحيح ولا يمكن رده ,حيث قال فيه (ولم ينضح بماء فيعرق),وهو أيضا مصداق كلام ابن قتيبة.

ويظهر من كل ما سبق أن امرأ القيس واصف لما يرى وكأنه إنما كان يمتع نظره بما يشاهده ولم يكن في حاجة لما يصاد وهذا يفسر ما تجده من تلذذ برحلة الصيد في القصيدتين ، وما تجده من اهتمام بالهيئة والصورة ، أكثر من الاهتمام بالمصيد نفسه [4] .

***

(1) ديوان المعاني ج1 ص13 .
(2) السابق ج1 ص 8 .
(3) السابق ج1 ص13 .
(4) ينظر من التشابه اللفظي في شعر امرئ القيس د/ دخيل الله الصحفي.

قال امرؤ القيس (1):

وَرُحنـــا وَراحَ الطـرفُ يـنفضُ   مَتى ما تَرَقَّ العَينُ فيـهِ تَسَـهَّلِ (2)

وهو يشبه قوله: (3)

وَرُحنـــا بِكَـــابنِ المـــاءِ يُجنَـــبُ   تُصَوَّبُ فيهِ العَينُ طَوراً وَتَرتَقي (4)

---

(1) الديوان,ص 23.

(2) الرواح : اسم للوقت نقيض الصباح ,وقيل العشي,وقيل من زوال الشمس إلى الليل,وقيل الرواح السير في كل وقت.
والطرف من الخيل الكريم العتيق أو السريع,وقيل:هو الطويل القوائم والعنق,المطرف الأذنين,وقيل: هو الفرس الكريم الأطراف يعني الآباء والأمهات.
ترقى:بمعنى تصعد وتعلو.
ينظر اللسان:(راح ,طرف,رقا).

(3) الديوان ص 176.

(4) يجنب أي يقاد إلى جنبه.
والطور التارة.
والتصويب خلاف التصعيد.
ابن الماء: طائر,شبهه به في خفته وسرعته,الديوان ص176.
وقال الأعلم:طائر طويل العنق,شبه الفرس به في خفته وطول عنقه,ص332.
ينظر اللسان:(جنب,طور,صوب).

أما البيت الأول فهو من معلقته,وهو من فصلٍ وصف فيه الفرس والصيد , وبدأه بقوله:

وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها بِمُنجَرِدٍ قَيدِ الأَوابِدِ هَيكَلِ[1]

ووصف كرّه وفرّه...,وأنه كميت أملس المتن,سريع الجري بعد الجري,لا يستطيع ركوبه الغلام الخفيف ولا الأخرق العنيف,يدرّ عدوه درّاً,ثم شبه خاصرتيه بخاصرتي الظبي, وساقيه بساقي النعامة,وإرخاءه بإرخاء الذئب,وتقريبه بتقريب التتفل,وله متن يبرق كما يبرق مداك العروس أو صراية الحنظل,وهذا الوصف وهو لما يصد بالفرس بعد,لأنه بات وعليه السرج واللجام,لم ينزلهما عنه ,منتظراً الصباح حتى ينطلق عليه ويصيد به,وهو بعين صاحبه ,يراقبه وينظر إليه ,ويقوم على خدمته, ولما استبان الصبح عنّ لهم سرب نعاج كأنهن عذارى يطفن على صنم, فلما رأينه هربن وكأنهن عقد من الخرز فصل بينه باللؤلؤ,فانطلق الفرس خلفهن ولحق بالمتقدمات منهن,وانطلق يعدو بين ثور ونعجة فأدركهما سريعاً ولما يعرق بعد,فصاد به ,وأخذ الطهاة في إعداد الطعام,مابين شواء منضج ومطبوخ معجّل,ثم قال:

وَرُحنا وَراحَ الطَرفُ...

ثم وصف خضابه بدماء الهاديات وكأنه شيب فيه عصارة الحناء قد رجل بالمشط,ثم بين كماله في كل شيء حتى في ذنبه الضافي الذي لا يمس الأرض وليس بأعزل.
أما البيت الشبيه فهو من قصيدته القافية والتي مطلعها:

أَلا اِنعِم صَباحاً أَيُّها الرَبعُ وَاِنطِقِ وَحَدِّث حَديثَ الرَكبِ إِن شِئتَ[2]

حين تحدث عن الركب الذين رحلوا ووصفهم في عدة أبيات,ثم شرع يعزّي نفسه عن فقدهم,فذكر رحلته على ناقة جسرة أمون,وذكر دخوله إلى بيت يفوح المسك في أنحائه,ثم ذكر فرسه وصيده به فقال:

وَقَد أَغتَدي قَبلَ العُطاسِ بِهَيكَلٍ شَديدِ مَشَكِّ الجَنبِ فَعمِ المُنَطَّقِ[3]

وبين [illegible] يرقب لهم الصيد,فأخبرهم بأنه وجد لهم قطيعاً من البقر والحمر والنعام ترتع .
فهبّوا إلى اللجام فألجموا الفرس الذي كأنه غصن بان ناضر,وحاولوا إركاب الغلام على ظهره حتى تمكن من ركوبه,فغدا عليه كأنه على ظهر باز محلق في السماء

(1) الديوان ص:19.
(2) الديوان ص161.
(3) السابق ص172.

رأى أرنباً فهوى إليها,وحين ظهر الصيد لهم هرب منهم و كأنه عقد مفصل ,ولكن الفرس أدرك الصيد وقد ثني عنانه,يمر مر السحاب الممطر.
فصاد لهم من كل قطيع مما ذكر واحداً,ثم ثنى الكرّ فصاد لهم أيضاً غير ذلك,ثم خضبوا فرسهم بدم صيده,وضربوا أخبيتهم واشتَوَوا وطعموا من صيدهم,وراحوا كأنهم من ملوك جؤاثى,ثم قال:

ورحنا بكابن الماء...

ثم أخبر عن حصانه أنه قد أصبح زهلولا نشيطاً يكاد أن يلقي الغلام الذي ركبه عن ظهره,وكأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مفرق.
وأول ما يلفت في البيتين أنهما صدرا بقوله :(ورحنا) وليعرف متى كان هذا الرواح لابد أن يتابع سياق قوله في المعلقة والقافية على حدٍّ سواء.
أما المعلقة فإنه قال:
وقد أغتدي...
فبين أنه يبكر في غدوه للصيد,ثم وصف الفرس وبعد أن أنهى وصفه - وهو لما يصد به بعد ,وإنما سيصيد به بكوره من الغد - بعد أن أنهى وصفه أباته وعليه سرجه ولجامه,وهو موضع نظره وعنايته,استعداداً ليوم الصيد غداً [1],فكان أن صادوا به وطبخوا واشتَوَوا من صيدهم,ثم رجعوا
قافلين من رحلة صيدهم هذه [2],وذكر هذه العودة بقوله:
ورحنا وراح...
أما بيت القصيدة القافيّة فمطلع مقطعه الذي ورد فيه:

وَقَد أغتَدي قَبلَ العُطاسِ بِهَيكَلٍ   شَديدٍ مَشَكِّ الجَنبِ فَعمِ المُنَطَّقِ

---

(1) بهذا يعلم أنه ليس بصحيح ما قيل في تفسير قوله:
وَباتَ عَلَيهِ سَرجُهُ وَلِجامُهُ   وَباتَ بِعَيني قائِماً غَيرَ مُرسَلِ (الديوان ص24)
من(أن هذا الفرس لما جيء به من الصيد وهو عرق لم يقلع عنه سرجه فتأخذه الريح,ولم ينزع عنه لجامه فيعلف على التعب فيؤذيه ذلك)شرح الوزير البطليوسي,ص 107. =
=لأنه بهذا التفسير يخالف الترتيب الصحيح لفعل الشاعر ,والذي هو أنه عزم على الصيد ووصف ما سيصيد به - وفيه (وبات...)- ,ثم عن لهم سرب فصاد... ,ثم قفل عائدا.
أما على ترتيب هذا القول فإنه يكون :قد عزم على الصيد ووصف ما سيصيد به ,وصاد به في هذا الوصف لأنه قال فيه (وبات...), ثم عن لهم سرب فصاد مرة أخرى,ثم قفل عائدا.
وهذا ما لا دليل عليه ,ويرده قول الشاعر نفسه.
(2) ينظر الديوان ص:19-23,والشعر الجاهلي د/محمد أبو موسى ص114-124.

وبين فيه أنه يبكر في غدوه للصيد ,ووصف رحلة الصيد ووصف الفرس,والمصيد أيضاً,وفي نهاية هذا اليوم الحافل بالصيد كان الرواح والقفول بذكر بيت الدراسة :

ورحنا بكابن الماء...

أما فيما يخص هذا الرواح فقد جمع في بيت المعلقة بين رواحهم ورواح فرسهم,وإن كان لم يبين كيف كان رواحهم في مقابل بيانه كيف كان رواح فرسه.

وبيت القافية الشبيه أفرده لوصف رواح الفرس فقط ,فما السبب في هذا؟

أما بالنسبة لبيت المعلقة فإنه قال فيه :(ورحنا وراح الطرف ينفض رأسه) وجملة (ورحنا) إذا لم يقدر لها ما تتم به كانت جملة عاطلة من المعنى - كما يرى د/أبو موسى - حيث قدر بعد قوله (ورحنا) قوله:(وقد أصابنا الإعياء), مستدلاً بما يقابلها في قوله :(وراح الطرف) حيث بين بقوله :(ينفض رأسه) حالة المرح والنشاط والقوة التي راح وهو فيها,منهياً بها يومه الحافل. [1]

وأما بيت القافية فإن في القصيدة قبل بيت الدراسة وأعني تحديداً سباق البيت فإن فيها بيتاً يبين حالتهم هم في وقت الرواح ,والبيت الذي يليه يبين حال الفرس حين الرواح ,والبيت الذي يبين حالهم هو قوله:

وَرُحنـا كَـأَنَّ مِـن جُـؤاثى عَشِـيَّةً نُعالي النِعاجَ بَينَ عِدلٍ وَمُشنَقِ [2]

فلما بين حالهم في الرواح بين حال الفرس أيضاً عندما راح فقال البيت:

ورحنا بكابن الماء...

وبالعودة إلى بيت المعلقة فإن كلمة (الطرف) فيه تاتي على معنى الكريم الأطراف,وتأتي على معنى الفرس السريع,وتأتي على معنى الطويل القوائم والعنق المطرّف الأذنين,وكلها حسن ,وأحسنها الأخير بدلالة أنه إنما يصف حسناً ظاهراً في الأعضاء والشيات,فقوله في الشطر الثاني:

متى ما ترق العين فيه تسهل

يدلّ على أن الكلام هنا متوجه إلى صفات تجلى بالنظر ,وليس بالخبر.

أما قوله :(بكابن الماء) في القافية فهو نظير قوله: (الطرف) في المعلقة,وذلك لأن مدار التشبيه به هنا على صفات الجمال الخارجي أيضاً بدلالة البيت الشبيه,ولأن

---

(1) ينظر:الشعر الجاهلي,ص:124.

(2) كأنا من جؤاثى:أي كأنا من ملوك جؤاثى,وقال ذلك لكثرة ما معهم من الصيد المعدول في الأعدال ,المشنق: المعلق الذي لم يجعل في الأعدال.
ينظر الديوان:ص176.

السبيل لمعرفة وجه الشبه بين الفرس وهذا الطير إنما هي حاسة البصر,وهذا دلّ على أن المراد حسن يجلى بالنظر.

وأغلب الظن أن سبب استخدامه التشبيه في هذا البيت أنه شبه أنفسهم في البيت السابق بملوك جؤاثى,وشبه في البيت اللاحق فرسه بابن الماء, فحين شبه في الأول حسن أن يشبه في الثاني.

بينما هو في بيت المعلقة لم يشبه لا في رواحهم ولا في رواح فرسهم ,فطابق بعدم التشبيه في الحالين.

ثم ترى في بيت المعلقة قوله :(ينفض رأسه) وفي بيت القافية قوله :(يجنب وسطنا) وكلاهما وقع ختام الشطر الأول من البيتين.

وحري بنا التعرف على دلالة كل واحدة منهما ,أما بيت المعلقةفكثير من العلماء جعل معنى (ينفض رأسه) أي :ينفضه من المرح والنشاط. [1],على أن هناك معان أخر (لنفض الرأس) غير هذا,فهي تكون عند التعب أيضاً,واستشهد الأصمعي بقول الهمداني:

تَرى المُهرَةَ الرَوعاءَ تَنفُضُ رَأسَها   **كَلالاً وَأيناً وَالكُمَيتَ المُقَزَّعا**

ثم قال:((فهذا ضدّ ذاك)). [2]

وتأتي أيضاً بمعنى (التخلص من العرق) كما في بيت امرئ القيس:

وَراحَ كَتَيسِ الرَبلِ يَنفُضُ رَأسَهُ   **أَذاةً بِهِ مِن صائِكٍ مُتَحَلِّبِ**[3]

قال الأعلم:((ينفض رأسه من العرق ,وهو يتأذى بريح عرقه)). [4]

وهذه المعاني إنما يرشّحها ويقويها ويدنيها للقبول سياقها,وسياق البيت الذي معنا ,قد وصف فيه فرسه بأنه مسح للجري ,لا يني ولا يفتر,وذكر أنه جياش بالجري بعد

---

(1) شرح القصائد السبع الطوال,لابن الأنباري ,نقلا عن الأصمعي ,ص98,وشرح المعلقات للتبريزي,ص53,وشرح الأشعار الستة الجاهلية,للبطليوسي.ص106.

(2) شرح القصائد السبع الطوال,لابن الأنباري,ص98.

(3) الربل:نبت,والتيس: الذكر من الظباء,والصائك:العرق الثقيل الريح.
ينظر الديوان:ص54.

(4) شرح الأعلم ,ص152.ولعل السبب في قول من قال في بيت المعلقة:

كَأَنَّ دِماءَ الهادِياتِ بِنَحرِهِ   عُصارَةُ حِنّاءٍ بِشَيبٍ مُرَجَّلِ

(أن العرق قد يبس بنحره فابيضّ),أقول السبب هو أنه نقل مثل هذا المعنى - معنى نفض الراس من العرق - إلى بيت المعلقة,فظن أنه نفض رأسه من العرق فسقط على نحره فاختلط بدم الصيد وصار كعصارة الحناء.

الجري يدره دراً,وغيرها كثير مما يدل على أنه يريد معنى المرح والنشاط الدائم الذي لا يشوبه فتور,أو انقطاع,وهو الصحيح.

أما قوله في القافية (يجنب وسطنا) فالمعنى على أنه يقاد إلى الجنب بيننا,وإنما السؤال في هذا هو ما دلالة هذا التجنيب ؟

وعلامَ يدل في الفرس؟

التجنيب هو أن يقاد الفرس إلى الجنب,ويستأنس هنا بقول الأعلم :((كانوا إذا ساروا في غزو يركبون المطايا من الإبل,ويقودون الخيل ليوفروا قوتها ونشاطها)). [1]

وإنما أريد أنه إذا أريد للخيل أن لا تتعب فإنها تقاد - وهذه دلالة التجنيب ومغزاه - ويلزم من هذا أن تبقى على قوتها ووفرة نشاطها,وهذا الأمر ينطبق على قوله في بيت الدراسة (يجنب وسطنا) لأنه يصف فرسه بالنشاط والقوة وعدم التعب حتى بعد الرواح من رحلة الصيد ,هذا أولاً.

أما ثانياً/ فقد أشار إلى هذا المعنى معنى النشاط والقوة في بيت سابق حيث قال:

نُزاوِلُــهُ حَتّــى حَمَلنــا غُلامَنــا عَلــى ظَهــرِ ســاطٍ كَالصَــليفِ المُعَــرَّقِ [2]

ثم أعقب بيت الدراسة بقوله:

وَأَصــبَحَ زهلــولاً يُــزِلُّ غُلامَنــا كَقِدحِ النَضِـيِّ بِاليَـدَينِ المُفَـوَّقِ [3]

وهو يعني أنه أصبح خفيفاً جداً لا يتمكن الغلام من الثبات على ظهره لما هو فيه من نشاط ومرح وحدّة.

ثالثاً/ كل واحد من البيتين المتشابهين يعضّد صاحبه في أن المراد معنى (النشاط والمرح) فيهما على السواء.

وبالعودة إلى بيت المعلقة فإن الشطر الثاني فيه وهو قوله:

مَتى ما تَرَقَّ العَينُ فيهِ تَسَهَّلِ

يأتي في مقابل قوله في القافية:

تُصَوَّبُ فيهِ العَينُ طَوراً وَتَرتَقي

---

(1) شرح الأعلم .ص215.

(2) نزاوله:أي نحاول منه ركوب الغلام ,والساطي: الذي يسطو بنفسه فلا يتوقى ما ركب وما ضرب بحافره,والصليف:عود من أعواد الرحل,والمعرق:الذي قد بري برياً.
ينظر الديوان:ص173.

(3) الزهلول: الخفيف,يزل غلامنا: أي يزل الغلام الذي قد ركبه عن ظهره لنشاطه ومرحه,والقدح :السهم,والنضيّ: الذي لا نصل فيه,والمفوّق: السهم الذي قد جعل له فوق.
ينظر:الديوان ص176.

حيث بين بهما نوعا من نظر الإعجاب المنصرف نحو هذا الفرس,ولكن لم هذا الإعجاب؟

الحقيقة أن هذا النظر الذي سببه ودافعه الإعجاب غير المتناهي من حسنه, راجع إلى الأبيات السابقة على بيتي الدراسة في كلا القصيدتين. (1)

فإن الناظر في تلك الأفعال وتلك الصفات لا يملك بعد أن ينتهي من سردها إلا أن يتوقف للنظر في هذا الفرس الموصوف, وللتملي من صفات الحسن والجمال فيه,خاصة وأن الشطرين السابقين إنما وقعا في ختام الصيد وانتهاء يوم الطرد ذاك,وبعد هذه النهاية فإنه من الطبيعي أن يتوقف هنيهة للنظر في المحاسن والشيات,؛لأن هذا التوقف في مثل هذا الوقت هو التوقف المناسب للتفقد والتأمل,وذلك النوع من النظر إنما يناسب أن يكون في الختام وفي النهاية بعد الإنجاز كما فعل الشاعر.

أما بيت المعلقة فيلحظ في شطره الثاني أنه صُدّر بـ(متى) الشرطية والتي ضمت إلى جناحها أكثر كلمات البيت ,وكأنها الحجر الأساس الذي بني عليه بقية أجزاء هذا الشطر,وأولها فعل الشرط (ترقّ) وفاعله (العين) وجواب الشرط (تسهل) وفاعله الضمير المستتر العائد على العين,مع وجود (ما) الزائدة التي أفادت التوكيد وأفادت معنى آخر وهو حقيقة هذا الأمر وثبوتيته.

واستخدامه اسم الشرط (متى) موفق جداً ؛لدلالتها على الزمن فكأنه قال في أي وقت كان فيه ترق فلا بد أن يعقبه تسهل,منضافاً إليها معنى الشرط الذي هو كالالتزام بين الفعل والجواب,فكلما كان هناك فعل كان هناك جزاء وكلما كان هناك ترق كان هناك تسهل,وأخيراً فإنه لا يُغفل عطاء الفعلين المضارعين (ترق)و(تسهل)في إفادة التجدد والحدوث ,فيما يخص شطر المعلقة.

في حين أن الشطر الثاني من بيت القافية يعتمد على الفعلين المضارعين (تصوب) و (ترتقي) وهما فعلان مضارعان يدلان على التجدد والحدوث ,وهذا التجدد والحدوث يفهم منه إلى أي مدى وصل الحسن به حتى أخذ بمجامع القلوب,وأحداق العيون,فصارت تعيد النظر في أسفله مرة وفي أعلاه أخرى وما تظن أنها انتهت حتى يتجدد لها النظر مرة أخرى,فتعود بدءاً كما فعلت قبلاً وهكذا.

وختاما فإنه ينبغي التنبيه على أن تأويل النظر للفرس بأنه نظر إعجاب تأويل أول, وهناك تأويل ثان.

---

(1) ينظر: المعلقة في ديوانه من قوله :(وقد أغتدي...)ص19 إلى بيت الدراسة,وتنظر القصيدة الأخرى من قوله:(وقد أغتدي...)ص172 إلى بيت الدراسة.

ومن المسلم به بدءاً أن بيت المعلقة قد حظي بتأويلات أكثر من صاحبه, لكثرة ما تطرق إليه أصحاب شروح المعلقات وغيرهم بالنظر والتأويل.

وسوف يقدّم الأعلم لأنه انفرد بتأويل الشطرين في شرحه للديوان,وإن كان هذا التأويل لا يكاد يختلف في أحد الموضعين عن الآخر ,مع زيادته تأويلاً آخر في أحدهما,فهو يقول في بيت المعلقة:((هو حسن الأعلى والأسفل, فالناظر فيه يصعد فيه النظر ويصوبه عجباً به)) [1]وقال به قبله ابن قتيبة أيضاً.

ويفسر شطر القافية مشيراً إلى شطر المعلقة بقوله :

(((تُصَوَّبُ فيهِ العَينُ طَوراً وَتَرتَقي) كقوله:(مَتى ما تَرَقَّ العَينُ فيهِ تَسَهَّلِ) أي تنظر العين إلى أعلاه وأسفله إعجاباً به)). [2]

والغرض الذي يقصد إليه الأعلم واحد في التفسيرين كما هو واضح.

إلا أن الأعلم نفسه خص بيت المعلقة بتأويل آخر قال فيه:((ويحتمل أن يريد أنه لعتقه وتمام خلقه إذا ارتفعت عين الناظر بالنظر إليه راعه منظره فخشي إصابته بعينه فصوب رأسه وكف عنه نظره))[3].

وهذا تأويل انفرد به الأعلم في هذه الرواية من بين ما اطلعت عليه من تأويلات.

وقد قال ابن الأنباري مخصِّصاً هذا التأويل برواية أخرى :((ومن رواه (يكاد الطَّرْف يقصر دونه) أراد يقصر دون بصره الناظر لئلا تصيبه العين)) [4].

وهناك من العلماء من روى هذه الرواية وفسره بخلاف هذا التفسير- لا كما قال ابن الأنباري- فقد قال الزوزني ملخصاً المعنى على رواية (يكاد الطَّرْف...) إنه :((كامل الحسن رائع الصورة وتكاد العيون تقصر عن كنه حسنه,ومهما نظرت العيون إلى أعالي خلقه اشتهت النظر إلى أسافله)) [5].

ونقل ابن الأنباري قول ابن حبيب أن ((معناه :من نظر إلى أعلاه نظرإلى أسفله لكماله,ليستتم النظر إلى جميع جسده)). [6]

ونقل ابن الأنباري أيضا أن ((معناه إذا رفع إليه رأسه ناظر رأى ما يعجبه فسهّل)) [7]وإنما السؤال في مثل هذا التعليل:لمَ سهّل الناظر نظره؟.

---

(1) شرح الأعلم ,ص90,ونقل ابن الأنباري في شرحه,ص98. قريباً منه عن بعض البصريين,واستحب ابن قتيبة هذا التأويل في المعاني الكبير ج1,ص84.

(2) شرح الأعلم ,ص333.

(3) السابق,ص90.

(4) شرح القصائد السبع الطوال,ابن الأنباري,ص:98,وينظر:شرح التبريزي,ص53.

(5) شرح المعلقات السبع ,ص:52.

(6) شرح القصائد السبع الطوال,ابن الأنباري,ص:98, وينظر:شرح التبريزي,ص53.

(7) شرح القصائد السبع الطوال,ابن الأنباري,ص:98

وقال د/محمد أبو موسى:((وهذه الجملة تفيد أن عينك لا تثبت فيه على موضع حسن إلا دعاها حسن آخر في موضع آخر)) [1].

وهذه التأويلات تصح وهي قريب من قريب,ويمكن القول إنها تدور في فلك تأويل الأعلم الأول, من أن سبب النظر إنما هو الإعجاب, وهو التأويل الظاهر والقريب.

ولا إشكال في أن يكون النظر نظر إعجاب ,أو أن يكون النظر لجميع الجسد لتستتم رؤيته كله,وأيضاً لا إشكال في أن العيون إذا نظرت في أعاليه اشتهت النظر في أسافله, ولا إشكال أيضاً في أن كل حسن فيه يدعوك للنظر إليه في أعلاه وفي أسفله,وإنما الإشكال هنا في التأويل بمخافة العين!,الذي ورد عند ابن الأنباري وعند الأعلم.

أما ابن الأنباري فتأويله أسلم التأويلين ؛لأنه نبّه بتخصيصه التأويل (بمخافة العين) على رواية (يكاد الطَّرْف يقصر دونه) إلى أمر قد يكون لافتاً وخاصاً بهذه الرواية - مع علمنا أن تخصيصه منقوض بتأويل التبريزي- وأعني أن ابن الأنباري خصص التأويل السابق بتلك الرواية ؛لأن إقصار الطرف أي (العين) ,إقصاره بمعنى كفه أو حبسه حذر العين يؤيد ويوافق التسهل بمعنى الكف عن النظر مخافة العين,ويفهم من هذا أن هذا التأويل على هذه الرواية يدْعمه ما وجد في الشطر الأول من البيت نفسه.

ويفهم من هذا أيضاً أن ابن الأنباري لا يعتدّ بهذا التأويل إذا جاء لغير الرواية التي اعتمدها,أي إذا جاء كما أوّل الأعلم عندما انفرد بالتأويل الثاني.

وأما تأويل الأعلم الثاني فهو مرجوح بنص كلام الأعلم نفسه حينما ضعّفه , وأورده ثانياً, ثم قوله عنه (يحتمل) .

ثم إن ابن قتيبة من العلماء الذين جعلوا النظر إلى الأعلى والأسفل بسبب (الإعجاب) ,وأضرب عن تأويله بمخافة العين ,مع علمه بمثل هذا التأويل, قد عقب بيت امرئ القيس بقول رجل من جشم:

طرف غدونا بسواد نستره

ثم قال مفسّراً :((نستره مخافة العين عليه)). [2]

فذكره للتأويل الأول دون الثاني ,مع معرفته به ,وذكره له في السياق نفسه,أظنه دلالة قويةً على أن هذا التأويل دون ما سواه هو ما ترجح لديه في شأن هذا البيت,وهو أن النظر فيه إنما هو نظر إعجاب, و ذلك لأن كلمة (تسهل) في بيت المعلقة لا تساعد على فهم معنى (كف البصر حذر العين) خاصة بوجود الجار والمجرور (فيه) في البيت؛لأنه يدل على أن الترقي والتسهل فيه أي في الفرس,فالفرس محل ترقي العين

---

(1) الشعر الجاهلي,ص124.

(2) المعاني الكبير ج 1,ص84.

وتسهلها ,ولو كان المراد من التسهل الكف لكان الجار والمجرور (عنه) وليس (فيه),ولكان المعنى أن العين إذا ترقت في النظر إليه تسهلت عنه أي كفت عنه البصر,خشية أن تعينه.
و(فيه) هنا لا يجوز أن تكون بمعنى (عنه) بدلالة عدم صحة المعنى في البيت الشبيه.
ولو قلت يجوز أن يكون الجار والمجرور في قوله: (تسهل) (عنه) ليكون المعنى :متى ماترق العين فيه تسهل عنه.
قلت فما تقول في قوله :(تصوب فيه العين طورا وترتقي),أيكون المعنى تصوب فيه العين طوراً وترتقي عنه طوراً,والسياق يأبى معنى كف البصر وحبسه؛لأن الناظر هنا يطلب مزيداً من النظر!!.
ومما يُحيّر أن الأعلم لم يذكر هذا التأويل مرة أخرى عندما شرح بيت القافية,فهل لأن بيت القافية لا يقتضيه ؟
وهل أضرب عنه لأنه لم يرتض القول به مرة أخرى وإن كان قد قال به قبل؟
الحقيقة أن بيت القافية على خلاف بيت المعلقة في هذا تماماً,فخوف العين أمر غير وارد في تأويل البيت,وليس هناك ما يدل على أنه من مقصودات الشاعر,كما وجد ما يدل على أنه من الممكن أن يكون من مقصودات الشاعر في بيت المعلقة برواية (يكاد الطرْف يقصر دونه).
ولأن شطر القافية يقول :(تُصَوَّبُ فيهِ العَينُ طَوراً وَتَرتَقي) فدلّ على أنها تطلب المزيد من النظر,لأنها تنظر من الأسفل إلى الأعلى ,وتتطلع إلى ما يشفي الغلة,ويثلج الصدر,ومن كان وصفه المزيد من التطلع والنظر لم يصح فيه التأويل بالخشية من العين ؛ لأن من يخشى أن يعين يكف نظره ويحسر بصره, ولا يطلب المزيد من النظر,والله أعلم.

***

قال امرؤ القيس: [1]

وَأَنـتَ إِذا اسـتَدبَرتَهُ سَـدَّ فَرجَـه بِضـافٍ فُوَيـقَ الأَرضِ لَـيسَ بِأَعزَلِ [2]

وهو يشبه قولـه: [3]

لَهـا ذَنَـبٌ مِثـلُ ذَيـلِ العَـروسِ تَسُـدُّ بِـهِ فَرجَهـا مِـن دُبُـر [4]

---

(1) الديوان : ص 23

(2) الفرج هنا : مابين قوائم الفرس، وذكر في اللسان البيتين استشهاداً على المعنى.
والضافي : السابغ الطويل.
والأعزل : أن يعزل الفرس ذنبه في أحد الجانبين عادة لا خلقة ، وهو عيب.
ينظر اللسان : (فرج ، ضفا ، عزل.)

(3) الديوان: ص 164.
دبر: يريد مؤخر الفرس وخلفها.

(4) ينظر اللسان :(دبر).

ورد البيت الأول في المعلقة في سياق وصف فيه فرسه و صيده الذي صاد به وكان هذا الفصل في ثمانية عشر بيتاً من أبيات المعلقة ، زاوج فيها بين وصف الفرس ووصف الصيد ، بدأه بقوله :

وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها بِمُنجَرِدٍ قَيدِ الأَوابِدِ هَيكَلِ(1)

وختمه بقوله :

وأنت إذا استدبرته سدّ فرجه ...البيت

والذي تقرر سابقاً أن المعلقة قائمة في أسّها على الذكرى حيث يمكن إعادة كل فصل من فصول القصيدة إلى هذا المعنى الذي هي مبنية عليه ، وقد تقرر أنه تذكر أيامه الصالحات وعددها ثم تذكر ما لم يكن صالحاً من أيامه ولياليه فكان أن تذكر الليالي غير الصالحة مثل: (وليل كموج البحر) وأيضاً فإن من الذكرى تذكر الغدوات الصالحة فتذكر رحلات الصيد فقال : (وقد أغتدي) .

أما البيت الآخر ، فهو من قصيدته التي مطلعها :

أَحارِ بنَ عَمروٍ كَأَنّي خَمِر وَيَعدو عَلى المَرءِ ما يَأتَمِر (2)

ولها قصة ذكرت في الديوان سبباً لقول القصيدة ، وملخصها أن امرأ القيس وثعلبة بن مالك أصابا الملك بعد مقتل حجر ، وطمع ثعلبة في ملك امرئ القيس وأراد أن يغصبه فغزاه ، فلما بلغ امرأ القيس ذالك خرج في أصحابه وأكمنهم في الأرض, ودخل بفرسه في معسكر ثعلبة وطعن منهم فارساً وأركض فرسه فلحقه القوم متفرقين ، فخرج لهم أصحابه ، وقتلوا فيهم مقتلة ، وكرّ هو على ثعلبة فأسره و قتله صبراً ، وقال هذه القصيدة . (3)

ومما يلحظ في هذه القصة أنه كان لهذه الفرس التي عدا عليها امرؤ القيس مكان في نفسه وأي مكان ، وذلك لحسن بلائها و فضل غنائها .

وإذا عرف سبب قيل هذه القصيدة فإنه يحسن أن يعرف بعد هذا أن القصيدة مرتبطة بشطري بيت المطلع ، وأن القارئ يستطيع أن يرد جميع فصول القصيدة إلى هذا البيت الذي بنيت عليه القصيدة.

---

(1) الوكنات : المواضع التي تأوي إليها الطيور ، والمنجرد : الفرس القصير الشعر ، وبه توصف العتاق ، والأوابد : الوحش ، والهيكل : الفرس الضخم .
ينظر الديوان ص 19

(2) قوله(خمر) أي خامره داء أو حب أي خالطه ويعدو عليه أي يصيبه وينزل به ، (ويأتمر) أي يهم به ويعزم عليه .
ينظر الديوان ص 154 .

(3) ينظر الديوان ص 153 بتصرف .

وتفسير ذلك : أن قوله في الشطر الأول من بيت المطلع :

أحار بن عمرو كأني خمر

معناه:((يا حارث كأنني قد خامرني وخالطني داء أو حبّ.)) [1]
والذي يتضح من سياق القصيدة أن الذي خامره وخالطه هو الحب وليس الداء والمرض ,وليس المراد (الخمْر) كما قد يفهم بداراً [2],اعتماداً على سياق الموقف [3]؛لأن سياق القصيدة أو سياق النص لا يدعم هذا الرأي.
وذلك أنه قال بعد المطلع ما يقارب الستة عشر بيتاً في التغزل بهرّ و وصفها وما كان من شأنها معه , وهذا هو الحب الذي كاد أن يخامر عقله أو يخالطه ,والأبيات في القصيدة تنطق بهذا والذي لا أشك فيه أنه قد خامره وخالطه .
أما قوله : (ويعدو على المرء ما يأتمر) .
فمعناه أن المرء يصيبه و ينزل عليه مكروه ما يأتمر به ويحمل نفسه على فعله . [4]
وهذا الشطر يلفت إلى فعل ثعلبة الغادر ، الذي منى نفسه وغرها بأخذ ما في يدي امرئ القيس ، فكان أن عاد وبال أمره عليه ,وسقط في حبائله التي كان قد أعدها لغيره ، فأخذه امرؤ القيس واحتوى ما كان في يديه ، بقوة قلب واحتدام جنان ,و بمكائد حرب وحِيَلٍ قد تظن هرباً وليست به ، وتحت إمرته جمع من القبائل, قد لبسوا لباس الحرب واستلأموا لها ,حتى صار ما صار...
فقال بعد المطلع ثلاثة أبيات تصور هذا :

لا وَأَبيكَ اِبنَةَ العامِرِيِّ ... لا يَدَّعي القَومُ أَنّي أَفِر
تَميمُ بنُ مُرٍّ وَأَشياعُها ... وَكِندَةُ حَولي جَميعاً صُبُر [5]
إِذا رَكِبوا الخَيلَ وَاِستَلأَموا ... تَحَرَّقَتِ الأَرضُ وَاليَومُ قَر [6]

والفصل الذي وصف فيه الصيد ورحلته إليه بدأه بقوله :

---

(1) شرح الأعلم ص301.
(2) ينظر : المرشد د/ عبد الله الطيب ج4 ق1 ص106.
(3) إشارة إلى ما قيل من أنه آلى على نفسه ألا يشرب خمراً حتى يدرك ثأره.
(4) ينظر : شرح الأعلم ص 301 .
(5) القوم هم تميم بن مرة ، و أشياعهم : أنصارهم .
ينظر الديوان ص 154 .
(6) استلأموا : أي لبسوا اللأمة وهي السلاح واليوم القر هو البارد ، والمعنى أنه لشدتهم وركض خيلهم تتحرق لأرض تحتهم .
ينظر الديوان ص 154.

وَقَـد أغتَـدي مَعِـيَ القانِصـانِ   وَكُـــلٌّ بِمَربَـــأةٍ مُقتَفِـــر [1]

وهو ينطق أيضا بمعنى قوله : (ويعدو على المرء ما يأتمر) .
وذلك أنه ذكر فيه كلب الصيد ومعركته مع الثور ، حيث طعن الثورُ بقرنه كلبَ الصيد ، فترنح الكلب كمن سيسقط ، ولعل هذا تشبيه بما أراد ثعلبة فعله به من غصبه الملك ، ولكن ما أراده انقلب عليه كما انقلب على الكلب ما أراد أن يفعله بالثور .
وبقي الفصل الذي وصف فيه الفرس ، وهو آخر فصول القصيدة والذي يضم ثمانية عشر بيتاً ، وإني لموقن أن هذه الفرس التي وصفها هي التي ركبها في المعركة ، وهي التي أصاب النجح عليها ، فلا غرابة أن يصفها وبدأ مطلعها بقوله :

وَأَركَبُ في الرَوعِ خَيفانَةً   كَسا وَجهَها سَعَفٌ مُنتَشِر [2]

والر[illegible] وقت [illegible] هذا على أنها فرس الحرب التي نفض يديه منها .
وقد رسم في قصيدته هذه صورة لحياته في شعره ، لهواً مع النساء كما هو هنا مع (هر) ، وصيداً كما في مقطع الصيد ، وحرباً كما في وصف الفرس التي حارب عليها ثعلبة ، وكل فصل من فصول القصيدة مرتبط بسبب يمت إلى قصتها والأمر الداعي لها كما تقرر .
وبالعودة إلى بيت المعلقة ، نجد أن هذا البيت يعد صفة من صفات جمال فرس الصيد ، والتي لم يعتن بها كثيرا بالقياس إلى ما ذكره من صفات العتق و الجلادة في نفس القصيدة .
أما البيت الشبيه فهو أيضاً يصف صفة من صفات الجمال في فرس ركبها للحرب ضمن عدة أبيات تناوبت ذكر صفات الجمال وصفات الجلادة والقوة .
ويلفت في بيت المعلقة أنه بدأه بقوله : (وأنت) وذلك لإرادة اللفت ، ((فإنه قد يظن أن مجيء هذه الصفات في آخر أوصاف الفرس ، أن شأنها في أوصاف الفرس أقل من شأن غيرها ، فلفت الشاعر إليها بكلمة ((وأنت)) . [3]

---

(1) القانصان : الصائدان ، والمربأة : مكان يربأ فيه ومقتفير أي متبع أثر الوحش .
ينظر الديوان ص 160.
(2) الروع : الفزع ، الخيفانة : الفرس السريعة الخفيفة ، كسا وجهها : أي ناصيتها منتشر : متفرق .
ينظر الديوان ص 163.
(3) الشعر الجاهلي ، دراسة في منازع الشعراء د / محمد أبو موسى ص 127.

وقد يضاف إلى معنى اللفت معنى آخر وهو أنه لو تطلب متطلب عيباً لم يجد فيه إلا كل ما يسره ، فإن أنت رحت تبحث - بعدما سمعت من صفات حسنه وعتقه - عن صفة معابة أو ذم , وجدته

يدفع عن نفسه كل عيب ، ويدرأ عنها كل منقصة ومعابة ، فإذا استدبرته فعل من يبحث عن عيب ، سد فرجه بضاف فويق الأرض مبرزاً صفة أخرى من صفات حسنه وجماله .

واستخدم الفعل الماضي (سدّ) ليقول : إذا استدبرته فعل كذا.

إذا طلبت فيه عيباً دفع عن نفسه ، ما تتطلبه فيه من عيب وكأنه شعر بأنه لن تسلم له هذه المحاسن دون طلاب ، فإذا حصل ما حصل ، رأيت من مكان يتوقع فيه النقص أكمل الكمال ، وهو هذا الذنب الضافي الذي لا تدوسه أقدامه ، فويق الأرض ولا يمسها وهذا وجه حسنه .

أما البيت الشبيه فإنه بدأه بقوله : (لها) وهذه الكلمة متناسقة مع سباق و لحاق بيت الدراسة ، حيث إن الأبيات التي ابتدأت بقوله (لها) في مقطع وصف الفرس تسعة أبيات غير ما عطف عليها ، من أصل ثمانية عشر بيتاً .

الأمر الذي يوحي بأنه كان يقصد قصداً إلى هذا الوصف المباشر للفرس - فرس الحرب - ولم يأتِ وصفه له من خلال رحلة صيد أو طراد سربٍ من الوحش , وبيت المطلع في المقطع واضح في هذا .

وهناك أمر آخر محتمل في أمر إفراغ المقطع لوصفها فقط دون التعرض لشيء آخر , وهو أنه قد شوهد وعلم من حسن فعلها وجودة بلائها في المعركة ما يشفي ويكفي , وإنما بقي أن يعلم من صفات أعضائها وحسن شياتها ما لم يعلم و ما لم ير.

وقال في بيت المعلقة (وأنت إذا استدبرته) .

وبالنظر إلى سياقها يتضح سبب اختيارها , وهو أنه ذكر في ثلاثة أبيات متتالية صفات جماله التي تستدعي النظر إليه من جهاته كلها , فأشار بقوله :

وَرُحنا وَراحَ الطَرفُ ينفضُ رَأسَهُ ... مَتى ما تَرَقَّ العَينُ فيهِ تَسَهَّلِ (1)

إلى النظر إليه جملة , والتملي منه دفعة واحدة .

ثم أشار بقوله :

كَأَنَّ دِماءَ الهادِياتِ بِنَحرِهِ ... عُصارَةُ حِنّاءٍ بِشَيبٍ مُرَجَّلِ

---

(1) الطرف: الفرس السريع أو كريم الطرفين , (متى ما ترقّ ...)أي حسن الأعلى والأسفل ,فالناظر يتملاه مصعداً ومصوباً إعجاباً به .
ينظر : الديوان ص23.

إلى النظر إلى الفرس من أمامه وفي نحره .

ثم أشار بقوله :

وَأَنتَ إِذا اِستَدبَرتَهُ سَدَّ فَرجَهُ   بِضافٍ فُوَيقَ الأَرضِ لَيسَ بِأَعزَلِ

إلى النظر إلى الفرس من خلفه. (1)

وكانت هذه الجوانب التي نظر إليه منها بعد الصيد , وقد سبق في القصيدة أن صور ما يكون منه إذا ركب واعتلي , فكأنه أحاط بكل الجهات التي يمكن أن يرى منها الفرس .

وفي بيت المعلقة يلمح أن قوله (ضافٍ) قد استتبع قوله (فويق الأرض) حتى لا يتبادر إلى الذهن من قوله (ضافٍ) أنه سابغ جداً.

فلربما توهم أنه لسبوغه قد طال حتى أمكن وطؤه , فقال : (فويق الأرض) لينفي هذا الوهم قبل وروده.

وختم بيت المعلقة بقوله : (ليس بأعزل) وذلك أنه كان في المعلقة يتحدث عن صفات فرس الصيد قوةً, وجمالاً, فكان يصفه بجميل الأوصاف وينفي عنه سيئها .

أضف إلى ذلك أن قصيدته المعلقة قد كثر فيها مثل هذه الطريقة في النفي , فلا غرابة أن يوجد في بيت المعلقة هذا التركيب, فهو منسول منها , وتمتد جذوره إليها , وهو متسق مع أبيات قصيدته التي هو منها , ولكان غريباً لو وجد في الأخرى .

وقد جاء في المعلقة ,مثل هذا النفي بـ(ليس) ,وهو قوله :(ليس بفاحش و لا بمعطل , وليس بأعزل).

وبـ(غير) جاء في قوله: (غير معجل , غير المحلل, غير مؤتل , غير مرسل)

أما في البيت الشبيه ,فهو في قصيدته إنما كان يعدد صفاتها, وصفات أعضائها , التي جعلتها فرس حرب قوية خاصة بعدما فعلت و فعلت في تلك المعركة, فلو نفى عنها عيباً كهذا لكان في غير محله ؛ لسببين :

أولاً: أنه قد علمت منها الأفعال والصفات الحسنة بل شوهدت عياناً , فليس حسنا أن ينفي عنها شيئا هو ليس فيها أصلاً , عقيب اختبارها وبلائها .

ثانياً:أن النفوس التي عرفت عنها أو سمعت بها , أكثر تشوقها , وغاية مرامها أن تعرف من حالها ما يحسن ذكره وما تسرّ معرفته.

---

(1) ينظر: الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء ص126.

وإنما الأولى أن يعدد صفاتها و صفات أعضائها التي تمكنت بها في المعركة من فعل ما فعلت .

وأخيراً فإنه في هذه القصيدة لم ينف عيباً في الفرس بمثل تركيب (ليس بأعزل) الذي ورد في المعلقة.

بل إن مثل هذا التركيب أو شبيهه ، لم يرد في القصيدة إلا مرة واحدة غير مقصود به وصف الفرس وإنما جاء به في وصف صخرة شبهت بها الفرس، وذلك هو قوله :

وَإن أَدبَـــرَت قَلـــتَ أَثفِيَّـــةَ مُلَملَمَـــةَ لَـــيسَ فيهـــا أَثَـــر [1]

أما عدم ذكره للذنب في بيت المعلقة وذكره إياه في البيت الآخر؛ فلأنه كان في المعلقة يصف أفعاله أكثر من وصفه أعضائه .

وعلى العكس في الأخرى فقد كان يصف أعضائه أكثر من وصفه أفعاله , وهنا لا تنس أنه في المعلقة إنما كان يصف فرس صيد وفي الأخرى إنما يصف فرس روع وحرب , فلا غرو أن تختلف طريقة الوصف في القصيدتين .

ولما كان في المعلقة يصف أفعاله لم يعدد أعضاءه واحداً بعد واحد حيث لا حاجة له في تعدادها ؛لأنّ الأفعال التي في رحلة الصيد لربما لم يرها أحد غيره ومن معه من أصحابه , فوصف تلك الأفعال لسامع لم يشاهد , لذلك لم يذكر الذنب في بيت الدراسة باسمه وإنما حذفه, والقارئ أو السامع سوف يدرك أن المراد بالضافي ذنبه .

أما الأخرى فلأنها فرس حرب فقد تولى تعداد أعضائها بنفسه ليبين مدى قوتها وصلابتها , وأبرز لها من صفاتها وصفات أعضائها ما لم يروه أو يشاهدوه , وأحجم عن ذكر فعلها ؛لأن هذا الفعل منها قد رآه و شاهده كثير ممن كان معه .

ثم أيضاً ليتسنى له وصف كل عضو منها ويشبهه بما يريد فعدّ : شعرها , وحافرها , وكعبها , وعجزها , وذنبها , ومتنها , وعنقها , وجبهتها , ومنخرها , وعينها , وجسمها , ثم وثبها , وعدوها .

---

(1) الأثفية : الصخرة المدورة المتجمعة .
والململة : المجتمعة ، وقالوا : المدورة الصلبة ، شبه استدارة مؤخرها بالأثفية الملساء التي ليس فيها أثر.
ينظر: الديوان ص166.

وأكثر هذه الموصوفات بل كلها متطلع إلى معرفتها , من قبل السامعين و الذين لم يشاهدوا الواقعة .
وأما تخصيصه الذيل بذيل العروس فعلاوة على أنه يكون طويلاً , فكذلك ؛ ((لأن العروس تجر ذيلها إما من الحياء وإما من الخيلاء)). [1]
والذي لا شك فيه أن السبب هنا هو (الخيلاء) فالفرس خيل , وما سميت الخيل خيلاً إلا لاختيالها ,فهو بهذا التخصيص واقع موقعه الذي ليس غيره أوقع منه فيه.
فمع تشبيهه ذنبها بذيل العروس , كذلك تلمح معنى الاختيال و التبختر بعد هذا الانجاز العظيم .

وقد اختلفت آراء العلماء في البيتين , وان كان قد حاز بيت المعلقة ثناءً لم يطاوله فيه شبيهه الآخر , الذي كان موقفه بين شد وجذب .
وخلاصة الأمر أن بيت المعلقة قد امتدح على لسان ابن المعتز كما نقل ذلك المرزباني في موشحه [2] , وكذلك امتدحه الآمدي حيث قال : ((الممدوح من الأذناب ما قرب من الأرض ولم يمسّها , كما قال امرؤ القيس : ((بضاف فويق الأرض ليس بأعزل)) [3]
وامتدحه ابن سنان الخفاجي أيضاً [4], ولربما طال الكلام بنا لو نزعنا إلى الاستقصاء.
أما البيت الآخر , فمن العلماء من لم يعبه بل واستحسنه ,حيث قال ابن قتيبة: ((ويستحب طول الذنب ولذلك قال امرؤ القيس :

لها ذنب مثل ذيل العروس   تسد به فرجها من دبر [5]

واستحسنه البطليوسي في شرحه للديوان . [6]
ومنهم من عابه من جهتين :
الأولى : أنه أطال ذنب الفرس بتشبيهه بذيل العروس حتى جاوز الحد, وإنما ((المحمود من ذنب الفرس أن يكون طويلاً ولا ينال الأرض)) [1]. أي أن يكون كما قال امرؤ القيس في بيت المعلقة .

---

(1) العمدة في صناعة الشعر ,لابن رشيق القيرواني, ج2 ص 6.
(2)الموشح للمرزباني, ص35
(3) الموازنة بين الطائيين,للآمدي, ج1 ص371 ..
(4) ينظر : سر الفصاحة ص249.
(5) أدب الكاتب ص94 , والمعاني الكبير ج1 ص149 .
(6) شرح الوزير البطليوسي ,ج1 ,ص60 .

ونقل المرزباني عن ابن المعتز في الموشح أنه عيب عليه ؛ لأن ((ذيل العروس مجرور , ولا يجب أن يكون ذنب الفرس طويلاً مجروراً, ولا قصيراً)). [2]
ومعنى هذا أنّ المستحب في الذيل أن يكون متوسطاً.
الثانية : أنه قال : (يسد به فرجها من دبر) ولا يكون الفرج إلا من دبر,وهذا يعني أن قوله (دبر) حشو يغني عنه ذكر ((الفرج)) [3].
ومن العلماء من ردّ ما عيب به هذا البيت, فقد قال الآمدي فيما يخص الجهة الأولى ((وما أرى العيب يلحق امرأ القيس في هذا , لأن العروس وإن كانت تسحب ذيلها , وكان ذنب الفرس إذا مس الأرض فهو عيب , فليس بمنكر أن يشبه الذنب به وإن لم يبلغ إلى أن يمس الأرض ,لأن الشيء إنما يشبه بالشيء إذا قاربه , أو دنا من معناه , فإذا شابهه في أكثر أحواله , فقد صحّ التشبيه ولاق به , لأن امرأ القيس لم يقصد طول الذنب أن يشبهه بطول ذيل العروس فقط , وإنما أراد السبوغ , والكثرة والكثافة , ألا تراه قال: (تسد به فرجها من دبر).
وقد يكون الذنب طويلاً يكاد يلمس الأرض، ولا يكون كثيفاً بل قد يكون رقيقاً نزر الشعر خفيفاً ، فلا يسد فرج الفرس، فلما قال: (تسد بها فرجها) علمنا أنه إنما أراد الكثافة والسبوغ مع الطول ، فإذا أشبه الذنب الطويل (ذيل العروس) من هذه الجهة ، وكان في الطول قريباً منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب,ولا أن يكون ذنب الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضاً أنه قصد إلى أن الفرس يسحبه على الأرض)). [4]
وكلام الآمدي واضح بيّن ، وقد نقلته على طوله ، ليفهم مراده.
كما أنني أفهم أن مقصده أن يقول : إن ذنب الفرس طويل، كما أن ذيل العروس طويل ،لا أن يقول : إن ذنب الفرس يجر ، كما أن ذيل العروس يجر .
والذي دلّ على هذا قوله في الشطر الثاني (تسد) وهذه الكلمة تنصرف دلالتها هنا إلى معنى : ملء فراغ معين بلا زيادة أو نقصان [5]، ولو كان مراده من التشبيه أنها لطول ذنبها تجره كما تجر العروس ذيلها لكان مناقضاً لقوله (تسد) والذي لا يفهم منه أبدا معنى الجرّ والسحب .

---

(1) سرّ الفصاحة,لابن سنان, ص249 .
(2) الموشح ص35 .
(3) خزانة الأدب للبغدادي ج9 ص 177 .
(4) الموازنة ج 1ص372.
(5) اللسان : سدد

إذاً فهناك تناقض بين معنى (الجر و السحب من جهة و معنى السّد من جهة أخرى) فقد أفاد الأول الزيادة في حين أن الثاني يفيد الكفاية ووجودها في البيت ينفي أن يكون مراده السحب أو الجر .

أما فيما يخص الجهة الثانية فقد رد ابن أبي الأصبع ضمناً على ما قيل بوجوده في أفصح الكلام ، كتاباً و سنة ، فقد قال تعالى : { فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ } [سورة النحل : 26] .

والسقف لا يكون إلا من فوق .

وفي السنة قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض ، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات وهي : ذو القعدة و ذو الحجة والمحرم و رجب الذي بين جمادى وشعبان) [1]ورجب لا يكون إلا كذالك . [2]

***

(1) تحرير التحبير ص 534 وما بعدها .

(2) نص الحديث كما يلي,قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض,السنة اثنا عشر شهراً,منها أربعة حرم ,ثلاثٌ متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ,ورجبُ مضر,الذي بين جمادى وشعبان).
الجامع الصحيح,للبخاري,ج 3,ص236.

وقال امرؤ القيس: (1)

فَلأيـاً بِـلأيٍ مـا حَمَلنـا وليـدنا   عَلـى ظَهـرِ مَحبـوكِ السَـراةِ مُحَنَّـب [2]

وهو يشبه قوله: (3)

نُزاوِلُـهُ حَتّـى حَمَلنـا غُلامَنـا   عَلـى ظَهـرِ سـاطٍ كَالصَـليفِ المُعَرَّق [4]

---

(1) الديوان ص50.

(2) اللأي:الجهد والمشقة.

والمحبوك: المحكم الخلق,أو ما كان فيه استواء مع ارتفاع.

والسراة : أعلى متن الفرس.

محنب: الحنب انحناء خفيف إما في الساقين ,أو في وظيفي الساقين ,أو هو بعد مابين الرجلين ويوصف صاحبه بالشدة.

ينظر اللسان :(لأي , حبك , سرا ,حنب).

(3) الديوان ص173.

(4) نزاوله : المزاولة المحاولة والمعالجة.

ساط : الساطي من الخيل البعيد الخطوة,وقيل الذي يركب رأسه في السير.

الصليف: الصليفان عودان يعرضان على الغبيط تشدّ بهما المحامل, وقد يراد به جانبا العنق أو عرضه.

المعرّق : قليل اللحم ويستحب من الفرس أن يكون معروق الخدّين لأنه من علامات العتق.

ينظر اللسان:(زول,سطا ,صلف,عرق).

أما البيت الأول فهو من قصيدته البائية التي مطلعها:

خَليلَيَّ مُرّا بي عَلى أمِّ جُندَبِ نُقَضِّ لُباناتِ الفُؤادِ المُعَذَّبِ (1)

والقصيدة من طواله , وعدد أبياتها خمسة وخمسون بيتاً,وقد بدأها بذكر أم جندب, وما كان بينهما من وصل ومودة ,ثم ذكر ارتحالها عنه , وما حصل من افتراق بينهما, حين سفح من دموعه ما سفح ,ثم بين أن السبيل لقطع عرى العشق ,والطريق للسلو عمن تحب ,لا يكون إلا بالبعد منه ,أو بالسفر عنه ,إمّا بغدو أو رواح,لذلك قال:

وَإِنَّكَ لَم تَقطَعِ لُبانَةَ عاشِقٍ بِمِثلِ غُدُوٍّ أَو رَواحٍ مُؤَوِّبِ (2)

ثم شرع في فصل يبين فيه أن مثل هذا السفر يكون على ناقة أدماء... ووصف منها أموراً في أربعة أبيات.

ومن الغدو الذي ذكر أنه يقطع به لبانة العاشق ذكر الفصل الذي منه بيت الدراسة,وهو فصل ابتدأه بالغدو ,ووصف فيه فرسه وصيده , وكان مجيئه عقب الأبيات التي وصف بها الناقة,وامتدّ هذا الفصل حتى شمل قريباً من ثلثي القصيدة ,وبدأه بقوله:

وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها وَماءُ النَدى يَجري عَلى كُلِّ مِذنَبِ (3)

وهذا البيت يمكن أن يجعل الرابط الوثيق الذي يربط هذا الفصل بجسم القصيدة السابق,لأنه ذكر كما سلف أن من سبل السلو عن المحبوب ,أن يفارق ويبتعد عنه بالسفر أو بالرحلة, إما بغدو أو رواح, وعقّب بذكر السفر على الناقة ,فكان من تمام ما بدأ به,ثم شرع في فصل وصف فيه الفرس والصيد وابتدأه بالغدوّ الذي ذكر أنه يقطع لبانة العاشق, وكل هذا كأن أساسه بيت قطع اللبانة.

أما البيت الشبيه فهو من قصيدته التي مطلعها:

ألا اِنعِم صَباحاً أَيُّها الرَبعُ وَاِنطِقِ وَحَدِّث حَديثَ الرَكبِ إِن شِئتَ وَاِصدُقِ (1)

---

(1) اللبانات:جمع لبانة وهي الحاجة.
الديوان ص41.

(2) المؤوب:من التأويب وهو أن يسير النهار كله حتى يثوب صاحبه مع الليل ,فينزل ويستريح.
الديوان ص44.

(3) المذنب:مسيل الماء إلى الروضة.
الديوان ص46.

فبعد أن تحدث عن أحبابه الذين رحلوا وبعد أنْ وصفهم ,عزى نفسه عندما فقدهم بأمور ,منها ركوبه ناقة جسرة ,ثم دخوله إلى بيت يفوح المسك في حجراته ,ثم غدوه إلى الصيد ,بهيكل شديد مشك الجنب.

وبيت الدراسة من فصل وصفه للفرس والصيد ,الذي ابتدأه بقوله:

وَقَد أَغتَدي قَبلَ العُطاسِ بِهَيكَلٍ شَديدِ مَشَكِّ الجَنبِ فَعمِ المُنَطَّقِ (2)

حيث بين أنهم بعثوا لهم ربيئاً,ينظر لهم الصيد ,فجاءهم بعد أن رآه ,ودلّهم على مكانه,فهبّوا إلى الفرس باللِّجام, وزاولوه حتى حملوا عليه الغلام فقال:

نُزاوِلُهُ حَتّى حَمَلنا غُلامَنا عَلى ظَهرِ ساطٍ كَالصَليفِ المُعَرَّقِ

ثم وصف غلامه وهو فوقه ,وكيف أدركهن , وما صاد منهن,ثم أنهى هذا الفصل بذكر رواحهم ورواح الفرس.

وأول ما يلحظ في بيت البائية أنه مبدوء بالفاء التي هي للتفريع,أو لمجرد الوصل بين كلامين , وعندما يطلع مطلع على سياق هذا البيت يعلم حسن موقع هذه الفاء, وحسن دلالتها , على المعنى المراد.

فبعد أن وصف فرسه ـ منذ مفتتح هذا الفصل في ما يقارب الأربعة عشر بيتاً ـ بأوصاف غاية في الدقة ,قوّةً وجمالاً,شرع في وصف الطراد والصيد ,وجعل بيتاً وسيطاً بين وصفه فرسه ووصفه الصيد,يجعل الانتقال بين الوصفين سلساً لا يشعر به,وذلك هو قوله:

فَيَوماً عَلى سِربٍ نَقِيٍّ جُلودُهُ وَيَوماً عَلى بَيدانَةٍ أُمِّ تَولَبِ (3)

حيث هيّأ هذا البيت للانتقالة من وصف الفرس إلى وصف الصيد ولحظته,وبه بين أن فرسه الذي قال فيه كذا وكذا من الصفات الجميلات ,لا ينفك هو وصاحبه من طراد الصيد ,وإن وجدته اليوم على بقر فهو غداً على حمر,ويحتمل أنه يريد أنه مرة هكذا ومرة هكذا,وليس مراده النص على اليوم تحديداً,ثم أتبعها بقوله:

فَبَينا نِعاجٌ يَرتَعينَ خَميلَةً كَمَشيِ العَذارى في المُلاءِ

---

(1) الديوان :ص168.

(2) قبل العطاس: أي قبل أن يقوم الناس فيسمع صوتٍ,أو عطاس,والهيكل: الفرس الضخم المرتفع,وشديد مشك الجنب:أي شديد مغرز الجنب في الصلب.فعم المنطّق: أي ممتلئ الجوف. الديوان ص172.

(3) فيوما على سرب:أي يطارد هذا الفرس يوما بقرة وحشية,ويوما على بيدانة :أي أتانا في البيد لا تقرب الناس فهو أذعر لها ,وأسرع لجريها,والتولب: الولد الصغير,ونقي جلوده:أي أبيض الجلود,وكذا بقر الوحش إلا سواداً في قوائمها وخدودها. ينظر الديوان ص49.

(1)

فعطف الظرف (بينا) بالفاء ,وكونه ظرف زمان فقد بين به لحظة رؤية النعاج ,والتي فاجأته أيضاً,ثم شبهها بالعذارى...,والذي يهم أن هذه الفاء قد بينت - وإلى حدٍّ كبير - مقدار المفاجأة التي صادفوها في تلك اللحظة,التي رأوا فيها هذا القطيع.

وقال بعده:

فَكـانَ تَنادينـا وَعَقـدَ عِـذارِهِ   وَقالَ صِحابي قَد شَأَونَكَ فَاطلُبِ (2)

وكان هذا البيت تصويراً للعجلة التي بلغوها بأدقِ معاني التصوير ,فقد بدأ بالفاء التي رتبت وعقبت وأفادت أن ما حصل بعدها كان مجيئه بعد رؤية النعاج مباشرة ,وأنه لا مهلة بين الحدثين.

ثم كلمة (تنادينا) والتي تدل بمعناها على الطلب والنداء,وبمبناها على التفاعل والتشارك,فبيّن أنهم طفقوا جميعاً ينادون بعضهم بعضاً,وهذه طبيعة الصيادين,فإذا ما رأوا طريدة أو صيداً فإنهم يتسابقون في الحث عليها والإخبار بها والإشارة إليها.

وليبين لك مقدار العجلة التي كانوا فيها فإنك تجده يعطف (عقد عذاره) على (التنادي) ليقول: كان تنادينا وعقد عذاره معاً(3).

أي أنني لم أتأخر في عقد العذار لأنني عقدته لحظة التنادي,وهذا أمر لافت في بيان السرعة والعجلة.

ثم يأتي قول أصحابه (قد شأونك فاطلب) والذي عطفه بالواو ليشرّكه في لحظة التنادي ,وعقد العذار,ويبين به أيضاً أن طرائده قد بعدت وأن أصواتهم لا تزال مرتفعة متوالية متعاقبة ,بمثل: اطلب,واركب , والحق. ثم يأتي قوله: فلأياً بلأيٍ...

وتأتي هذه الفاء ضمن سلسلة من الفاءات التي عطفت ورتبت وعقبت أفعال الصيد السابقة,منذ الرؤية,فالتنادي مع عقد العذار وقول الصحاب,فالطلب, فحمل الوليد على ظهر الفرس,والذي جاء في حاق موقعه ,مرتباً ومعقباً أحسن ما يكون الترتيب والتعقيب.

---

(1) النعاج :إناث بقر الوحش,والخميلة:رملة فيها شجر قد صار لها كالخمل,والملاء :الملاحف البيض,شبه النعاج في بياضهن وسكون مشيتهن بالعذارى الماشيات في الملاحف البيض,والمهدب:ذو الهدب,شبه شعر أذنابهن به.
ينظر الديوان ص50.

(2) فكان تنادينا :أي كان نداء بعضنا بعضاً بالخروج إلى مطاردة الوحش وعقد عذار الفرس معاً من العجلة,وشأونك :أي سبقنك.
ينظر الديوان ص:50.

(3) ينظر شرح الأعلم ص:142,وشرح البطليوسي:ص169.

ثم تأتي بقية الأبيات... ,والتي صور بها مجتمعةً مشهداً من أجمل وأروع مشاهد الطرد و الصيد ؛لاشتماله على رؤية الصيد, ثم تصويره لحال الرائين,ثم ابتعاد الصيد عنه,ثم محاولة إركاب الغلام على الفرس وقد فات الصيد,ثم تصوير عدو الفرس بعيد إركاب الغلام عليه ,وانطلاقه للصيد,ثم بيان فعله في الفرس ليستخرج منها كل سرعتها,ثم بيان إدراكه للصيد,وكأنها قصة مصورة لرحلة صيد ماتعة ,يجعلك تتابع أحداثها كما كانت ,وبما فيها من عجلة وجلبة وصياح....

ثم ترى دخول الفاء على المصدر المنصوب على الحالية[1],في قوله:(فلأياً بلأي) وهذا اللأي - بمعنى الجهد - كرره مرة أخرى ليعطيه مزيداً من التوكيد,أي جهداً بعد جهد,ثم تأتي (ما) الزائدة زيادة في توكيد ذلك الجهد ,وتلك المشقة,وللإشارة إلى أن ذلك الحمل لم يكن سهلاً ولا ميسوراً.

وفي البيت الشبيه تجد قوله :(نزاوله) ,وهذا الفعل المضارع بدئ بـ(نا) التي تدل على جماعة المتكلمين,مما يدل على أنه كان في رفقة , وهذا ما لا شك فيه,وأبيات المقطع الذي ورد فيه البيت تبين هذا وتوضحه,فقد قال في القصيدة مما جاء على هذا (بعثنا , فقمنا,نقد ,حملنا غلامنا,فصاد لنا, فقلنا ,فخبوا علينا,وظل صحابي, ورحنا, كأنا,نعالي,ورحنا ,وسطنا,غلامنا). [2]

والفعل المضارع (نزاوله) يدل على تجدد الفعل وحدوثه,وأن هذه المزاولة تتجدد وتحدث ولم تنته بعد,وهذه الصيغة التي أتى عليها الفعل المضارع تدل على المفاعلة , أي المشاركة والمجاذبة وأن هذه المزاولة والمحاولة من جهتهم يقابلها مدافعة وإباء من قبل هذا الفرس الجموح,فالمعالجة من الطرفين متبادلة واستمرت هذه المزاولة حتى ركب الغلام ؛لأن (حتى) لانتهاء الغاية, فدلت على انتهاء هذه المزاولة بركوب الغلام.

ثم يقترب البيتان من التطابق في قوله:(حملنا وليدنا) في البائية,وفي قوله:(حملنا غلامنا) في القافية.

وحمل الغلام أو الوليد كان هو المقصود من المزاولة ومن اللأي في كلا البيتين.

أما كلمة (وليدنا) في البائية فهي مرادفة عنده لكلمة (غلامنا) في القافية, والغلام أشمل معنًى من الوليد [3],وتجد صداه يتردد في أبيات القافية ,في حين أن الوليد مغمور في البائية ,فأنت تجد في القافية قوله بعده:

---

(1) ينظر:شرح الوزير البطليوسي,ص 169.

(2) الديوان ص 172-وما بعدها.

(3) ينظر:فقه اللغة وسر العربية ,لأبي منصور الثعالبي,ص88.

كَـأَنَّ غُلامـي إذ عَـلا حـالَ مَتنِـهِ عَلى ظَهرِ بازٍ في السَماءِ مُحَلِّقِ (1)

وقوله:

وَأدبَـرنَ كَـالجَزعِ المُفَصَّلِ بَينَـهُ بِجيـدِ الغُـلامِ ذي القَمـيصِ المُطَـوَّقِ (2)

وقوله:

وَظَـلَّ غُلامـي يَضـجَعُ الـرُمحَ حَـولَهُ لِكُـلِّ مَهـاةٍ أَو لِأَحقَـبَ سَـهوَقِ (3)

وقوله:

وَأَصـبَحَ زهلـولاً يُـزِلُّ غُلامَنـا كَقِدحِ النَضِـيِّ بِاليَدَينِ المُفَوَّقِ (4)

فكلمة (غلامنا) في بيت الدراسة واقعة موقعها ضمن بيئتها,وليست غريبة في تواجدها بجانب كلمات القصيدة, في حين أن كلمة (الوليد) جاءت مرة واحدة في البائية غير مثنية.

ثم الشطر الثاني من البيتين الشبيهين ,ويتفقان فيه في قوله (على ظهر) وهذا راجع إلى أن حمل الوليد أو الغلام لا بد أن يكون على ظهر,إما (على ظهر محبوك السراة محنب) كما في البائية,وإما (على ظهر ساط كالصليف المعرق) كما في القافية.

والذي يلحظ في الشطرين أنهما يدلان على أمرين مهمين,كان الشاعر شديد العناية بهما وهما:

الأول:ذكر ما يبين به قوة الفرس, وشدته.

الثاني:ذكر ما يبين به عتق الفرس, وكرم عرقه.

وذلك في الشطرين جميعاً؛لأن قوله في البائية (محبوك السراة) يدل على القوة والشدة التي تظهر في سراته وصهوته.

وقوله :(محنب) بمعنى :مقوس,(مما يمدح به الفرس) (5)؛لأنه (من خلقة الجياد) (1),وهذه دلالة على العتق وكرم العرق.

---

(1) حال الفرس:موضع الراكب منه,ينظر الديوان :ص173.

(2) الجزع الخرز,وأدبرن أي بقر الوحش,المطوق الذي عليه طوق.ينظر الديوان ص174.

(3) يضجع الرمح حوله:يعني قد لحقه؛فهو يطعنه كيف شاء,مهاة:أي بقرة وحشية,والأحقب:حمار الوحش,وإنما سمي الأحقب لبياض موضع حقيبته,والسهوق:الطويل. ينظر:السابق:ص175.

(4) الزهلول الخفيف,القدح :السهم,النضي :الذي لا نصل فيه,والمفوق:السهم الذي جعل له فوق. ينظر السابق:ص176.

(5) شرح الوزير البطليوسي ,ص169.

وقوله في القافية (ساطٍ) يدل على صفة القوة والشدة؛لأن ((الساطي الذي يسطو بنفسه,فلا يتوقى ما ركب, وما ضرب بحافره)) [2].

وقوله:(كالصليف المعرق) فيه تشبيه لظهر الفرس,بالصليف المبري الرقيق في الضمور,((وبذلك توصف العتاق)) [3]من الخيل.

وهذه دقّة متناهية عند الشاعر ,فهو يعرف ما هو حسن فرسه ,وعليه بنى بيانه.

ويلحظ في هذا البيت أنه شبه الفرس بالعود المبري من أعواد الرحل,دلالة على الضمور,وقبله جعله غصناً ناضراً لما فيه من حسن وصفاء لون,في قوله:

فَقُمنا بِأَشلاءِ اللِجامِ وَلَم نَقُد إِلى غُصنِ بانٍ ناضِرٍ لَم يُحَرَّقِ [4]

وبعدهما جعله سهماً برّاقاً أملساً لا نصل فيه,في قوله:

وَأَصبَحَ زَهلولاً يُزِلُّ غُلامَنا كَقِدحِ النَضِيّ بِاليَدَينِ المُفَوَّقِ [5]

فلِما هو فيه من نشاط ومرح أصبح يلقي الغلام ويسقطه,لما هو فيه من املاس ونعومة ,كأنه السهم البراق الأملس.

وإنما العجب في هذا كله أنه وجد في أعواد الأشجار هذه صفات كثيرة تنطبق على حالات فرسه المتعددة, وهذا هو تفسير قول ابن سلام في امرئ القيس حين قال :إنه شبه الخيل بالعصيّ (5),ولله درهما أما الشاعر فلإنتاجه المتميز, وأما الناقد فلهذا اللّمْح الذكي منه.

***

ومن المتشابه قوله: [6]

عَلى رَبَذٍ يَزدادُ عَفواً إِذا جَرى مِسَحٍّ حَثيثِ الرَكضِ وَالذَأَلانِ [7]

---

(1) شرح الأعلم ص 143.

(2) السابق ص 328.

(3) السابق نفسه.

(4) الديوان ص173,و شرح الأعلم ص327-328.

(5) الديوان ص176,وشرح الأعلم ص 333.

(5) طبقات فحول الشعراء,ج1,ص:55.

(6) الديوان ص 86.

(7) الربذ:خفة القوائم في المشي.

والعفو:الزيادة وهنا الجري على غير مشقة وتكلف (عن الديوان ص 91.)

والحثيث: المسرع.

وهو يشبه قوله: [1]

عَلى هَيكَلٍ يُعطيكَ قَبلَ سُؤالِهِ أَفانينَ جَريٍ غَيرَ كَزٍّ ولاوانِ [2]

والذألان:ضرب من السير يشبه مشي الذئب ، وقيل عدو متقارب وقيل مشي سريع خفيف في ميس وسرعة وبه سمي الذئب:ذؤالة.
ينظر اللسان : (ربذ، عفا، حث، ذأل.) .

(1) الديوان :ص 91.

(2) هيكل :وردت فيها معان متقاربة، وكل حيوان ضخم هيكل ، فيكون هنا الفرس الضخم .
أفانين: بمعنى الأنواع من الجري .
الكزّ: الذي لا ينبسط فهو منقبض ضيق .
الواني : من الونى وهو الضعف والفتور والكلال والإعياء.
ينظر اللسان : (هكل ، فنن ، كزّ ،ونى.)

البيت الأول من قصيدته التي مطلعها :

لِمَـن طَلَـلٌ أبصَـرتُهُ فَشَـجاني كَخَـطِّ زَبـورٍ فـي عَسـيبِ يَمـانِ (1)

ويظهر أن هذه القصيدة قيلت إبّان كربه ,وأيام خوضه حروب ثأره ، ومحاولاته استرداد ملك أبيه، ويدل على هذا كثرة ما ورد في القصيدة من صور وإشارات لها علاقة بأجواء الحرب والغارات ، من مثل قوله :

فَإِن أَمسِ مَكروباً فَيا رُبَّ بَهمَـةٍ كَشَفتُ إِذا ما اِسوَدَّ وَجهُ الجَبانِ (2)

حيث فُسّر هذا الأمر المبهم بأنه من إدارات الحرب. (3)

وقوله أيضاً:

وَإِن أَمسِ مَكروباً فَيا رُبَّ قَينَـةٍ مُنَعَّمَـــةٍ أَعمَلتُهـــا بِكِـــرانِ
لَها مِزهَرٌ يَعلو الخَميسَ بِصَوتِهِ أَجَـشُّ إِذا مــا حَرَّكَتــهُ اليَـدانِ (4)

ومعناه :أنه وإن أمسى هذا اليوم مكروباً فكم من مغنية قد أمرها أن تغني لجيشه فتضرب بعودها ومزهرها حتى يغلب صوتها صوت ضجيج الجيش وجلبته.
وفي هذا إشارة إلى جوّ المعركة وما فيها من طقوس,ولست أميل إلى قول البعض إن هذه القينة ((التي يثبت فعله فيها بقوله "أعملتها" تكاد تكون قريحة الشاعر وشعره)) (5) ؛ لأنه فهم مغرق في البعد والخيال,وليس عليه دليل ,وظني أن هذا العزف واصطحاب القيان إلى المعارك ,عادة قديمة عند العرب في المغازي

---

(1) الديوان ص 85

(2) قوله : فيا رب بهمة يقول :إن أصابني الدهر بمكروه فأمسيت مكروباً فيا ربّ أمر مبهم لا يهتدى له كشفت حقيقته،وبينت صوابه .
وقوله :(إذا ما اسودّ وجه الجبان):أي إذا أشكل عليه الأمر ولم يتجه له، فاغبرّ وجهه حيرةً وغمّاً ، كأنه يريد أن هذا الأمر المبهم من إدارة الحرب.
ينظر البيت وشرحه في الديوان ص 86 .

(3) ينظر شرح الأعلم ص 203 .

(4) القينة : الجارية الضاربة بالعود، المغنية، وهي الأمة أيضاً . والكران : العود الذي يضرب به ، والمزهر العود أيضاً.
والخميس : الجيش ، وقوله :يعلو الخميس بصوته : يعني أنه رفيع الصوت عند تحريك اليدين له،فصوته يعلو صوت هذا الجيش على كثرته وضجيجه ، والأجش من الأصوات الذي فيه بحة وكذلك صوت العود .
ينظر الديوان ص 86 .

(5) علاقة المطالع بالمقاصد ومواقعها في شعر الشعراء الأربعة الكبار,نداء الحارثي,رسالة دكتوراة ,مخطوط.ص 228.

والحروب,ودليلي فعل أبي جهل في قصة معركة بدر حين رفض العودة إلى مكة وقال:((والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر ونقيم ثلاثاً,ونشرب الخمر,وتضرب على رؤوسنا القيان ,فتهابنا العرب أبداً)). (1)

وقوله أيضا :

وَإن أَمسِ مَكروباً فَيا رُبَّ غارَةٍ   شَهِدتُ عَلى أَقَبَّ رِخوِ اللَبانِ (2)

ومعناه : أنه يعزي نفسه فيما أصابه من كرب بتذكر حروب وغارات قد شهدها على فرس كذا وكذا .

وأخلص من هذا إلى أن المعنى الذي تدور حوله القصيدة التي منها بيت الدراسة هو: أن الشاعر قد أمسى مكروباً لأمر من أمور الحرب، وقد بلغ منه الهمّ لهذا الأمر كل مبلغ، فراح يعزّي نفسه بتذكر نجاحات حربية وأعمال قيادية قد كانت فيما مضى، علّها أن تخفف عنه ما يجد .

بل إنه ليمكن القول إن الكربة التي عانى منها وذكرها في هذه القصيدة هي: هزيمته في إحدى المعارك أو الغارات الحربية التي كان يشنها للثأر , واسترداد الملك،بل إن الأبيات السابقة والتي افتتحها بذكر الكربة ،صريحة في ذكر إدارة الحرب وطقوس الحرب و شهوده الحرب ، مما يعضد هذا القول ويوجهه نحو الصواب .

وقد جزمت باحثة فاضلة بأن قصيدته هذه (لمن طلل أبصرته فشجاني) كانت رثاء لنفسه,قالت : ((فالقصيدتان - تعني "لمن طلل" و"قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان" - وإن تشابهتا بصفة عامة في المهيع والمقصد إلا أنك تجد فروقا دقيقة ...فهو وإن كان المقصد تقريباً واحداً ,إلا أن الشاعر ينحو به ناحية مختلفة مع هذه الأخيرة)) (3)ثم بينت هذا الاختلاف بين القصيدتين بأنه إن ((كانت الأولى رثاء لنفسه ,فالثانية رثاء لنفسه بين الأحياء)) (4).

---

(1) الفصول في اختصار سيرة الرسول,صلى الله عليه وسلم ,لابن كثير, تحقيق/محمد الخطراوي وآخر, ط الأولى ,دار القلم,بيروت 1399هـ,ج1 ص116.

(2) الأقبّ : الضامر البطن من الخيل، وقوله: (رخو اللبان) أي واسع جلدته، لين العطف ؛ وهو المستحب من الخيل.

ينظر الديوان ص 86.

(3) علاقة المطالع بالمقاصد ,/نداء الحارثي,ص235.

(4) السابق,ص 237.

وأنا أتفق معها تماماً في أن القصيدتين قد تشابهتا كثيراً ,وأنك تجد فروقاً دقيقة بينهما ,كبيتي الدراسة وما سيأتي بعدهما,إلا أنني لا أوافق على أنها كانت رثاء لنفسه- كما قالت -,بهذا المعنى المعروف للرثاء,وكونه قد سبق مالك بن الريب في رثاء النفس . [1]

وقد راجعت القصيدة مرات ومرات لأتبين هذا الرثاء فلم يظهر لي, إلا إن كان المراد بالرثاء التحسّر والأسى على ما أصابه في معاركه من هزائم فربما,وبينهما بون بعيد.

وكذلك لم يتبين لي الفرق بينهما,إذِ اتفقت الاثنتان في كونهما رثاء للنفس ,واختلفت إحداهما عن الأخرى بكونها رثاء للنفس بين الأحياء,؛لأنه إن صحّ هذا فماذا تكون الأولى!؟

(1) السابق ص 160.والحق أن مالك بن الريب مسبوق في هذا بعبد يغوث بن وقاص الحارثي,صاحب المفضلية ذات الرقم (30) في مفضليات الضبّي,ومالك بن الريب إنما يأتي تالياً له.
ينظر:المفضليات, ص155.

وبيت الدراسة وقع في مقطع عدّة أبيات أبياته ثلاثة أبيات هي قوله:

وإن أمس مكروباً فيا رب غارة ... شـهدت علـى أقـب رخـو اللبـان
على ربذ يزداد عفوا ....البيت

وَيَخـــدي عَلـــى صُـــمٍّ صِـــلابٍ مَلاط ... شَـــديداتِ عَقـــدٍ لَيِّنـــاتِ مَتـــانِ [1]

والبيت مرتبط بسابقه ارتباطاً وثيقاً،فأنت ترى أنه شهد الغارة على الأقب الربذ، وقوله :

(على ربذ)في مطلع بيت الدراسة مثل قوله(على أقب) التي تعلقت بـ (شهدت) في البيت الأول من المقطع .

ولشدّة هذا التعلّق فإنه لا ينبغي أن ينسى أنه صدر هذا المقطع ببيان كربته والذي سبق الحديث عنها وتمدّح إزاءها بذكر الغارة التي شهدها على هذا الحصان الأقب فقوله:

(على أقب رخو اللبان)وصف لما في فرسه من جمال مستحب لأنه من صفات عتقها و كرمها.[2]

أمّا قوله :(على ربذ يزداد عفوا......) فقد وصف ما في الفرس من خفة وسرعة، وهذه من صفات القوة التي يتمتع بها فرسه؛ ولأنه معني بإبراز صفات القوة في هذا المقطع ـ لما ذكرنا من قبل ـ ،فقد مطل الكلام في هذه الصفات فجاء البيت الثالث معضِّداً لهذه الصفات ومقوياً لها.

أمّا البيت الآخر فإنه من قصيدته التي مطلعها :

قِفـــا نَبـــكِ مِـــن ذِكـــرى حَبيـــبٍ وَعِرفـــانِ ... وَرَسـمٍ عَفَـت آياتُـهُ مُنـذُ أَزمـانِ[3]

والقصيدة قالها في أخرياته، ودليل ذلك أنه ذكر ما كان عليه من رحالة جابر, وهي الأعواد التي كان يحمل عليها امرؤ القيس عند مرضه، وهذا كان في آخر حياته،

---

(1) ويخدي: أي يسير سيراً سريعاً .
والصم : حوافره .
وملاطس: أي مكسرات للحجارة.
وشديدات عقد :يعني عقد الأرساغ مع لين المفاصل ورطوبتها
والمتان: الصلاب الشدائد.
ينظر: الديوان ص 87 .
(2) ينظر شرح الأعلم ص204، وشرح البطليوسي ص 231 .
(3) الديوان ص89.

ودليل آخر يلمح عند الموازنة بين هذه القصيدة والقصيدة السابقة التي منها البيت الشبيه،حيث يلحظ في هذه القصيدة التي تكاد أن تفارق فيها روحه من جسده أنه مهتم بالحديث عن نفسه وذكرياته وبطولاته ومآثره،أكثر من تلك ، ومعرضاً في هذه القصيدة عن ذكر النساء تمام الإعراض على خلاف السابقة حيث ألحّ على ذكرهن كثيراً، بل إنه ختم القصيدة بحديث عن النساء واللّذة عجيب, ،وهذا كله مناسب لمن يرى أن أبواباً من الدنيا لا تزال تراها عيناه،فهو في معمعان الحياة وفي فسحة من العيش وبحبوحة من الدنيا , يحرص على لذاتها ومسراتها،حتى وإن ضاقت عليه الأمور نوعاً ما.

وحين سكت عن كل هذه اللذات في القصيدة الأخرى علم من حاله أنه أصبح لا يرى في الدنيا شيئا يفرح قلب الحي , وكل ما تراه عيناه هو موت آت, وأبواب مغلقة وتراه في هذه الأخيرة يرى الأكفان وأعواد الرحالة والنعش ,وكفى بها من مشاهد .

وبالعودة إلى القصيدة ,فإنك تجدها تدور حول تذكر اللذات والحسنات التي كان يعيشها الشاعر أيام صحته ووفرة قوته, قبل أن يدركه الضعف وتغلبه سورة المرض ,فبعد أن ذكر ما وصل إليه من الضعف والفناء في قوله:

فَإمّـا تَرَينـي فـي رِحالَـةِ جـابِرٍ   عَلى حَرَجٍ كَالقَرِّ تَخفُقُ أَكفاني (1)

راح يعدد بعدها ذكرياته الحسنة عن بطولاته النادرة فقال:

(فَيـــا رُبَّ مَكـــروبٍ كَـــرَرتُ وَراءَهُ ...,وعــــان ...,وفتيــــان...,وخرق بعيد...,وغيث....,وخرق كجوف العير...,ومجرٍ...). (2)

وورد بيت الدراسة في مقطع من ثلاثة أبيات هي قوله:

وَغَيثٍ كَألوانِ الفَنا قَد هَبَطتُهُ   تَعاوَرَ فيهِ كُلُّ أَوطَفَ حَنّانِ (3)

---

(1) الرحالة هنا هي خشبات كان يحمل عليها امرؤ القيس وكان مريضاً , وهي الحرج, وجابر رجل من بني تغلب كان يحمل معه عمرو بن قميئة, والقر مركب من مراكب النساء كالهودج .

وقوله تخفق أكفاني :أي ثيابي, فصير ثيابه أكفاناً لمرضه, أو أن المراد أن تراه ميتاً محمولاً وأكفانه تضطرب لتحريك الريح لها. ينظر: الديوان ص 90.

(2) السابق , الصفحات 90 – 91-92- 93.

(3) الفنا:عنب الثعلب أو نبت يشبهه،وهبطته:نزلت فيه .

وتعاور:تداول وتعاقب،والأوطف سحاب دان من الأرض

والحنان الشديد الصوت الذي يسمع لصوته حنين كحنين الإبل.

على هيكل يعطيك ...البيت

كَتَيسِ الظِباءِ الأَعفَرِ اِنضَرَجَت لَــــــــــــهُ عُقابٌ تَدَلَّت مِن شَماريخَ ثَهلانِ[1]

وأوّل ما يلحظ في بيت الدراسة أنه ورد في مقطعٍ افتتحه بذكر الغيث، وأغلب الظن أنه إنما ذكر الغيث ليفتح باباً يصف به فرسه ولاسيّما أن ثلثي المقطع وصف للفرس وثلثه الأخر في ذكر هذا الغيث، مع ما في ذكر الغيث ونزوله فيه من ذكرى حسنة كان حريصاً عليها في موقف مثل هذا.

وهو مرتبط بما قبله ارتباطاً قوياً ومحكماً وذلك لأن قوله(على هيكل) في رأس البيت متعلق بقوله(هبطته) في البيت السابق وتقدير الكلام : هبطته على هيكل.[2]

وبالعودة إلى البيت الأول تجد كلمة (ربذٍ) والتي اختارها لدلالتهاعلى السرعة والخفة موافقة بذلك المعنى الذي كان يدور في مقطعها، فإن المقطع كان معنياً بوصف الغارة التي شهدها ,وسرعة الفرس وخفتها مما يطلب في الغارات والمعارك،فكان اختيار الكلمة موافقاً ومتوافقاً كما سبق.

بينما اختار في بيته الآخر المشابه كلمة (هيكل) لأنه نزل غيثاً وأرضاً ممرعة فلا حاجة له فيها بصفة السرعة في الخيل حينها, واستحسن أن يكون فرسه هيكلاً:أي عظيماً مشرفاً،على أنّ من معاني الهيكل((النبت الذي طال وعظم وبلغ وكذلك الشجر...)) [3]وهذا اختيارٌ موفق ودقيق للكلمة التي تواءمت مع ذكر الغيث والمرعى الذي نزل .

وبالعودة إلى البيت الأول فإنه يلحظ أنه أسند فعل الازدياد إلى الفرس،فكأنها تعطي الزيادة من سرعتها دون طلب ودون مشقة، بل إن هذا الأمر معهودٌ منه كلما جرى حيث يسح الجري كما يُسحّ الماء أو كمشي الذئب سرعة في سهولة .[4]

وكلمة (يزداد) تدل بمعناها على الزيادة والنماء وبصيغتها على التجدّد والحدوث،الأمر الذي يوحي بالكثرة والسهولة معاً .

ونظير (يزداد) في البيت الآخر قوله(يعطيك) حيث دل هذا الفعل بمضارعته على التجدّد في العطاء والإمداد غير المنقطع.

---

(1) الديوان ص 90 و ص 92

(2) ينظر: شرح البيطلوسي ص 241 .

(3) اللسان (هكل) .

(4) ينظر: المعاني الكبير جـ 1 ص 31 .

مردفاً هذا الفعل بـاعتراض حسن هو (قبل سؤاله)والذي استحسنه جماعـة من أهل العلم أيّما استحسان .
منهم ابن رشيق القيرواني الذي قال فيه: (ومن التتميم[1]الحسن قول امرئ القيس :

على هيكل يعطيك قبل سؤاله   أفانين جري غير كز ولا واني

فقوله (قبل سؤاله) تتميم حسن لقوله :(أفانين جري)). [2]
وقال أبو هلال العسكري في وصف (حُضْر الفرس) [3]:((وقد بالغ امرؤ القيس في قوله :
على هيكل...[البيت]
قوله:(قبل سؤاله) عجيب الموقع، وقوله:(أفانين جري)أعجب وأبلغ)). [4]

ومنهم قدامة وقد استشهد في باب الإشارة بالألفاظ القليلة إلى المعاني الكثيرة[5]ببيت امرئ القيس ثم قال:((فقد جمع بقوله:(أفانين جري)على ما لو عُدّ لكان كثيراً،وضمّ إلى ذلك أيضاً جميع أوصاف الجودة في هذا الفرس ،وهو قوله :(قبل سؤاله) أي يذهب في هذه الأفانين طوعاً من غير حثّ، وفي قوله: (غير كز ولاوان) ينفي عنه أن يكون معه الكزازة من قبل الجماح والمنازعة , والونى من قبل الاسترخاء والفترة.)) [6]
وهذا كلامٌ يُعلي به قدامة من شأن الاحتراس والتنكير الحاصلين في هذا البيت وهي شهادةٌ منه باستحقاقه التمييز والتقديم لما فيه من جودة وإتقان على ما سواه .

---

(1) قال ابن رشيق:ومعنى التتميم أن يحاول الشاعر معنىً فلا يدع شيئاً يتمّم به حسنه إلا أورده وأتى به إما مبالغة وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير.
العمدة :جـ 1 ص 385-386 .
(2) العمدة جـ 1 ص 388.
(3) بمعنى عدوه وجريه ,يقال:فرس محضير ومحضار.
ينظر: السان (حضر).
(4) ديوان المعاني ,لأبي هلال ,جـ 2 ص109
(5) عرفها قدامة بقوله :(أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها).
نقد الشعر ص 152 .
(6) نقد الشعر ص 153 وينظر أيضاً سر الفصاحة ص 205 وتحرير التحبير ص 203 .

فهذا استحسان منهم لهذا البيت وما امتاز به، ولولا أنّ مثل هذا الاعتراض أو التتميم كما يسميه ابن رشيق يرفع درجة بيت عن بيت لوجدوا بغيتهم في شبيهه البيت السابق ,فهو تصريح منهم بتمييزه .

وسبب كل هذا الاستحسان أن كلمة:

(يعطيك) تحتمل أن يكون هذا العطاء بعد طلب واستحثاث وقد لا يكون.

فقطع الشك باليقين واعترض بقوله(قبل سؤاله) فدلّ على أنّ هذا العطاء منه يكون قبل أن تسأله وتستحثّه, وكل هذا بيانٌ لكرمه وعتقه.

ثم جاء بمعمول (يعطي) الثاني وهو قوله :(أفانين جري) نكرةًَ تدلّ على العموم والشمول الذي اكتسب نوع تحديد بإضافته إلى الجري .

وهذا التنكير مُعجبٌ ورائق لما فيه من الإيجاز حيث يفتح الأفق أمام أنواع وأنواع من الجري، وذلك يظهر من جهتين:

الأولى :ما تدل عليه الكلمة من حيث معناها اللّغوي فإنها لغةً تدل على الأنواع والأضرب المختلفة .

الثانية :التنكير بدلالته على التنوع والشمول فتح الباب أيضاً لتعميق التنوّع والشمول في هذه الأفانين .

***

وقال امرؤ القيس : [1]

مِكَــرٍّ مِفَــرٍّ مُقبِــلٍ مُــدبِرٍ مَعــاً   كَتَــيسِ ظِبــاءِ الحُلّــبِ العــدوانِ [2]

وهو يشبه قوله : [3]

كَتَيسِ الظِباءِ الأعفَرِ اِنضَرَجَت لَهُ   عُقابٌ تَدَلّت مِن شَماريخَ ثَهلانِ [4]

(1) الديوان :ص 87 .

(2) كر: عطف ورجع يقال للرجل والفرس : كرّار ومكر وهو المقبل والفرّ: الروغان والهرب ,وهو المدبر، وقيل: (فرس مكر مفر) إذا كان طيّعاً) خفيفاً إذا كُرّ كرّ،وإذا أراد راكبه الفرار عليه فربه ,والتيس :الذكر من المعز والظباء،إذا بلغ السنة.
ينظر: (الأضداد ,لابن لأنباري,ص320).
العدوان : الشديد والكثير العدو.
ينظر: اللسان (كرر ،فرر،تيس،حلب،عدا) .

(3) الديوان ص 92 .

(4) الأعفر من الظباء الذي تعلو بياضه حُمره وقيل الذي في سراتة حُمره وأقرابُهُ بيض .
وانضرجت العقاب: أي انحطت وانقضّت من الجو كاسرةً أو انبرت له.
والشماريخ: رؤوس الجبال.
وثهلان: اسم جبل .
ينظر: اللسان (عفر،ضرج،شمرخ،ثهل) .

أما البيت الأول فإنه من قصيدته التي مطلعها :

لمن طلل أبصرته فشجاني[1]

ووقع البيت في مقطع عدة أبياته ثلاثة أبيات هي قوله:

وَغَيثٍ مِنَ الوَسمِيّ حُوٍّ تِلاعُهُ   تَبَطّنتُـــــهُ بِشـــــيظَمٍ صَـــــلِتانِ[2]

مكر مفر...البيت

إذا مـــا جَنَبنـــاهُ تَـــأَوَّدَ مَتنُـــهُ   كَعِــرقِ الرُخـــامى اِهتَـــزَّ فـــي الهَطَلانِ[3]

وأول ما يلفت في بيت الدراسة وجوده في مقطع من ستة أشطر كلها في وصف الفرس ما عدا شطر واحد تقريباً هو مطلع المقطع (وغيث...) وسبب إلفاته أنه يوهم بأن المقطع كله خالص في وصف الغيث, ثم ما تلبث أن تراه يترك الحديث عن هذا الغيث إلى الحديث عن فرسه الذي نزل به .

فهل من سرّ في هذا البيت؟

أو فرق يشكله هذا الأمر؟

وبالعودة إلى القصيدة للنظر في سباق البيت ولحاقه , يظهر قول الشاعر:

وَإِن أَمسِ مَكروباً فَيا رُبَّ غارَةٍ   شَـهِدتُ عَلـى أَقَـبِّ رَخـوِ اللَبـانِ[4]

---

(1) الديوان ص 85.

(2) الحوّة : لون يضرب إلى السواد,وتبطنته :أي سلكت بطنه وسرت فيه.

والشيظم: الطويل , والصلتان : القصير الشعر , وقيل من الانصلات وهو شدّة الذهاب.

ينظر الديوان ص87.

(3) تأوّد متنه :تثنى للينه وسباطته, والرخامى : نبت له عروق ناعمة تنبت على وجه الأرض, واهتزّ في الهطلان :أي تثنى واهتز لنعمته ولينه لكثرة المطر المغذي له.

ينظر : السابق ص 87.

(4) الديوان ص 86 .

هذا البيت الذي فتح به الحديث عن الفرس سواء أكان فرس الحرب والمعارك وشهود الغارة كما هو الحال في الوصف السابق ,أو فرسه عندما ينزل غيثاً قد اسود خضرة, كما هو الحال في قوله:

وَغَيثٍ مِنَ الوَسمِيِّ حُوٍّ تِلاعُهُ

وهذه الواو التي في مطلع المقطع هي واو(رب) المحذوفة , فكأن الشاعر قال :

فَإِن أُمسِ مَكروباً فَيا رُبَّ غارَةٍ ...ورب غيث...

ومن الممكن أن تكون هذه الواو عاطفة, فيكون الكلام على أنه عطف الغيث على الغارة , فيكون من قبيل عطف المفردات, فكأن الشاعر قال:

فَإِن أُمسِ مَكروباً فَيا رُبَّ غارَةٍ ...وغيث...

ومن الممكن أيضا أن تكون الواو عاطفة لمجموع ما بعدها على مجموع ما قبلها, فيكون الكلام هكذا:

فَإِن أُمسِ مَكروباً فَيا رُبَّ غارَةٍ ...
وَإِن أُمسِ مَكروباً فَيا رُبَّ غيث...

وهذه الاحتمالات وإن تقاربت إلا أن بعضها يفترق عن الآخر بما يشكل من فهم جديد أو مختلف ,يعطي معان ودلالات أخر,كلها في حدود الإمكان والقبول.

ولست أخفي أنني بقيت متحيّراً في هذا المقطع وسبب مجيئه , وكيف جاء؟
وسبب حيرتي أن القصيدة - كما هو معروف - قيلت في وقت حرب وهذا لا أشك فيه وقد مضى بيانه, وأن كربه التي ذكرها إنما عدد معها بطولات حربية ومفاخر قيادية وقتالية, وهي كل ما أورده بعد قوله: (فَإن أُمسِ مَكروباً) [1] , إلا قوله (وَغَيثٍ مِنَ الوَسمِيِّ حُوٍّ تِلاعُهُ ...) ؛ ((لأن محصول البيت أنه تمتع بالنظر إلى نبات الأرض في أحسن زيه)) [2] .
وهذا البيت مع أنه عطفه على ما سبق, إلا أنه يخرج عن أمور الحرب التي كان يعددها.
وما لا أشك فيه أن عنايته بذكر الغيث وما بعده كانت أقل من عنايته بما سبق, وذلك لأن العطف هنا جاء مغايراً تماما لكل ما سبق, بل إنه اكتفى بالواو فقط وهذا الاختلاف هنا كالاختلاف بين قولهم (أكرمت محمداً وعبد الله) وقولهم: (أكرمت محمداً وأكرمت عبد الله) وذلك لمزيد من العناية والاهتمام في الأخير , على عكس الأول.
وكأنه لما انتهى من شكوى الحرب وانتهى من فخره بما قدم , وأراد الحديث عن متعة من متعه الأخر, قال هذا المقطع الذي ذكره به المقطع السابق له, فعندما قال :

وَإن أَمسِ مَكروباً فَيا رُبَّ غارَةٍ شَهِدتُ عَلى أَقَبِّ رَخوِ اللَبانِ

فتمّم الحديث عن هذا الأقب رخو اللبان , وفتح له باب الحديث عن الشيظم الصلتان[3], فقال:

وَغَيثٍ مِنَ الوَسمِيِّ حُوٍّ تِلاعُهُ تَبَطَّنتُهُ بِشَيظَمٍ صَلِتانِ

ونخلص من هذا إلى أنه لم يكن المراد الحديث عن هذا الغيث بقدر الحديث عن الحصان الذي تبطن به هذا الغيث , بدلالات أهمها حديثه عن الحصان في خمسة أشطر من ستة كان أولها ما وصف به الغيث.
وهنا يمكن القول إنه لم يكن ذكر الغيث إلا مفتاحاً لباب الحديث عن حالة من حالات الشاعر مع فرسه أيام اللهو وزمن الارتباع.
هذا فيما يخص البيت الأول , أما البيت المشابه وهو قوله :

---

(1) الديوان ص 86.
(2) شرح البطليوسي ص 233.
(3) قال في فقه اللغة (إذا كان حسن الطول فهو شيظم) ص133.

كتيس الظباء الأعفر انضرجت عقاب تدلت من شماريخ ثهلانِ

فهو من قصيدته التي مطلعها :

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَعِرفانِ (1)

والبيت في مقطع أبياته ثلاثة أبيات كان هو ثالثها , وقبله قوله:

وَغَيثٍ كَألوانِ الفَنا قَد هَبَطتُهُ تَعاوَرُ فيهِ كُلُّ أَوطَفَ حَنّانِ (2)
عَلى هَيكَلٍ يُعطيكَ قَبلَ سُؤالِهِ أَفانينَ جَريٍ غَيرَ كَزٍّ وَلا وانِ (3)
كتيس الظباء...

ولا يخفى أن المقطع فيه تذكر للحظات حسنة كان الشاعر يودّها أيما ودّ, والمقطع فيه وصف للفرس وهو في متعة النزول في ما اخضر من نبات الأرض وقت الارتباع , ووصف فرسه بالضخامة وسرعة الجري على غير تكلف ومشقة, ثم شبهه بتيس الظباء الأعفر الذي انقضت عليه عقاب كاسرة , وكادت أن تفتك به.

وبالعودة إلى البيت الأول فإننا نجده يذكّر بقوله:

(مكر مفر مقبل مدبر معا) في المعلقة , والذي ذكره عندما كان في رحلة الصيد, ولكن ما حاجته للكر والفر والإقبال والإدبار في الغيث ومكان مرتبعه الذي كان فيه؟

فإن كان شطر المعلقة له ما يبرره من طراد الصيد, وكل ما ذكر , فما بال الغيث؟

والذي أظنه ظناً ,أنه إنما ذكر الكر والفر والإقبال والإدبار وليس في رحلة صيد ولا حرب تأثراً بجو القصيدة وأساس معناها الذي أراد.

فإذا كان الكر والفر يحسن ذكره وقت القتل والقتال ,أو الصيد والطراد, فهذا المقطع ليس ببعيد عن هذا لأنه مسكون بذكرى الكرب والهزيمة التي عاشها, فلا عجب أن يتخيل في فرسه فرس اللهو والارتباع أن يكر ويفر كفرس القتال والصيد.

أما البيت الآخر (كتيس الظباء...) فإن أول ما يلحظ فيه ارتباطه بالبيت السابق عليه ارتباط المشبه بالمشبه به في بيتين متواليين ومدار التشبيه بهذا الظبي الأعفر على (السرعة والارتياع والوجل) (4)وهذا القول ممكن وقريب.

---

(1) الديوان ص89.
(2) السابق ص 91.
(3) السابق ص 91.
(4) ينظر : شرح الأعلم ص 205, وشرح البطليوسي ص 241, والتشبيه عند امرئ القيس ,د/محمد شادي ص 125.

وقد يصعب إيجاد مسوغ مقبول يجعله يشبه حصاناً نزل به غيثاً ومرعى بظبي خائف فزع, على أن هذا يتناقض أيضاً مع طبيعة من ينزل في غيث أو مرعى, وما يكون عليه من هدوء وطمأنينة ,وما قالوه بحال المحارب وصاحب الغارة أشبه.
ولو وازنت بين صورتين في إحداهما:حصان جموح سبوح رأيته في غيث سيره فيه سير الخائف الفزع
والأخرى فيها حصان هادئ فإذا زاد فممراح رأيته في غيث سيره فيه أنواع من السير يعطيكها قبل أن تسأله،وخيرت بينها لاخترت الثانية لمطابقتها للحال.
ويمكن القول إنه إنما أراد تشبيه أنواع الجري التي يظهرها هذا الفرس (المشبه) بأنواع الجري التي تظهر من هذا الضبي (المشبه به) ولاسّيما إذا نظرت إلى معمول (يعطي) الثاني وهو قوله: (أفانين جري) أي أنواعاً من الجري .
وقد يستحضر هنا ما قيل من أنّ(العفر أضعف الظباء عدواً) (1)
وهنا قد يظهر إشكال ينتج عنه سؤال مؤدّاه:
لم ينص امرؤ القيس عل التشبيه بالظبي (الأعفر) مع علمه بضعف عدوه - إن صح- ؟
وهل له مراد آخر قد يُشف من سياق القصيدة ؟
وأغلب الظن أنه اختار الأعفر من الظباء مع علمه بأن هذه صفته لثلاثة أسباب:

الأول:أن أراد أن يبين تمهل حصانه في العدو قصداً, فذكر التيس الأعفر , ولو ذكر مثلاً (تيس الحلب) لأفاد عكس ما أراد وهو في بطن غيث قد هبطه.
الثاني :أنه أراد أن يفيد من هذه الصفة فيه عندما يصور انقضاض العقاب عليه، فإن الضعيف جزعه أشد ،وهلعه أكبر،عندما تلمّ به الملمات, ثم إنه قد يخرج هذا الضعيف عند الحاجة من أنواع العدو وفنونه مالا يُتوقع أن يخرج من مثله .
والأخير أنّ الضعيف يغلب على الظن أنه هالك عند مقابلة القوي، وهذا ما سعى لتصويره من طرف خفي, وكأنه يصور حالته هو عندما يرى أنه مدرك لا محالة من هذا الموت الذي انقضّ عليه, وهو سيتمكن منه بلا شك؛ لضعفه إزاءه،والقصيدة بعد ناطقةً بمثل هذا،خاصةً أنه صرّح في هذه القصيدة بما يعانيه من كرب الموت وفي القصيدة ثم شواهد أخرى زاخرةُ بالموت.

ثم لنا أن نطمئن إلى مقولة أن العفر أضعف الظباء عدواً لاقترابها من مراده خاصةً إذا عرفنا أنه ليس هناك من مانع عروضي يمنع الشاعر من القصد إلى ذكر

---

(1) ينظر اللسان مادة (عفر) .

نوع معروف بالسرعة وهو تيس الحُلّب ولو قال :(كتيس ظباء الحلب انضرجت له...) مثلاً ,لصح عروضاً ولكان في معناه حديث آخر.
أما قوله : (كتيس ظباء الحلّب الَ◌َ◌َعدوان) فإنه يبين و يفيد أنه معني بالسرعة , وهذا غريب !؛لأنه في مقطع مطلعه لا يوحي بالاحتياج إلى السرعة فليس في معركة ولا رحلة صيد,وإنما في رحلة لهو وارتباع في اخضرار من الأرض.
وأرى السبب أيضا ما فرضه عليه جو القصيدة , وما سكن في روحه من معناها الأساس كما تبين سابقاً.

واختيار التشبيه بـ(تيس الحلب) بسبب سرعته يؤيده ما ذكره الأصمعي من أن((أسرع الظباء تيس الحلب)) [1], ولفظة (تيس) تدل على الذكر من الظباء,وتطلق التيس على ما بلغ سنّه سنةً, [2]وهو مظنة القوة والجري الشديد والسرعة أيضاً , منضافاً إليها رعيه نبتة (الحلّب) وضمره عليها[3]ومتصفاً بكثرة وشدة العدو حيث وصفه بـ(العدوان) .
ثم إن هذا الشطر متفق مع الشطر السابق, فإن صفات الكر والفر والإقبال والإدبار في آن واحد صفات غريبة؛ لما فيها من القوة التي لا تسطاع بسهولة,ويقل بل يندر أن تجد مشبهاً به واحداً به كل هذه الصفات , ولذلك كان المشبه به هنا تيساً من الظباء التي بلغ سنها سنةً,وقد رعت الحلّب, وشهرت بعدوها,وتلحظ أنه قد تجمع في هذا التيس من صفات القوة ما حسّن التشبيه به.
وأخيراً فإن اختيار (تيس الحلب) والتشبيه به موافق للجو العام للقصيدة التي لا يزال يرى فيها نفسه قوياً , قادراً على معاودة الكر والفر والقتال , وليس ضعيفاً خائراً , قد تمكنت منه أدواؤه, فكان المشبه به موافقاً لجو القصيدة العام وحال الشاعر, فقوة (تيس الحلب) موافقة تماما لمقصده في قصيدته (لمن طلل أبصرته فشجاني).
وبالنسبة للشبيه الآخر فضعف (التيس الأعفر) وهلاكه فيها مناسب تما ماً لحاله في قصيدته (قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَعِرفانِ).

---

(1) اللسان (حلب).
(2) السابق :مادة (تيس), والأضداد لابن الأنباري ,ص320.
(3) ينظر : شرح الأعلم ص 205.

***

وقال امرؤ القيس: [1]

إِذا مـــا جَنَبنـــاهُ تَـــأَوَّدَ مَتنُـــهُ ... كَعِــرقِ الرُخــامى اِهتَــزَّ فـــي الوَطَلانِ [2]

وهو يشبه قوله: [3]

يُـدافِعُ أَعطـافَ المَطايـا بِرُكنِـهِ ... كَمــا مــالَ غُصــنٌ نــاعِمٌ بــين أَغصـان [4]

---

(1) الديوان ص 87 .

(2) جنب الفرس : إذا قاده إلى جنبه .
والتأود :التثني.
والمتن :الظهر وقيل جانباه.
والرخامى: نبت تأكله السائمة .
ينظر: اللسان (جنب،أود،رخم) .

(3) الديوان ص 92 .

(4) الأعطاف الجوانب.
والركن :جانبه الأقوى أو المنكب.
ينظر: اللسان (عطف ركن) .

البيت الأول من قصيدته التي مطلعها :

لمن طلل أبصرته فشجاني(1)

وورد في مقطع من ثلاثة أبيات كان هو ثالثها وابتدأه بقوله :

وغيث من الوسمي حو تلاعه . (2)

والبيت الآخر من قصيدته التي مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان . (3)

وورد في سياق تعداده لذكريات صالحة وهو محمول على النعش في آخر أيامه، والمقطع الذي ورد فيه مكون من بيتين الأول قوله :

وَخَرقٍ كَجَوفِ العيرِ قَفرٍ مَضَلّةٍ   قَطَعتُ بِسامٍ ساهِمِ الوَجهِ حُسّانِ (4)

وبيت الدراسة ثانيهما .

وهذه الواو التي في رأس المقطع الذي منه بيت الدراسة إما أن تكون (واو ربّ) المحذوفة وإما أن تكون عاطفة(للمفردات) وإما أن تكون عاطفة لمجموع ما بعدها على مجموع ما قبلها، والبيت الأول الذي تعود إليه أبيات القصيدة هو قوله :

فَيا رُبَّ مَكروبٍ كَرَرتُ وَراءَهُ   وَعانٍ فَكَكتُ الغُلَّ عَنهُ فَفَدّاني (5)

فإن كانت الواو واو ربّ فهي على نسق :

فيارب مكروبٍ ... ورب عان ... ورب خرق ...

وإن كانت عاطفةً للمفردات فهي على نسق:

فيارب مكروب ... وعانٍ ....خرقٍ...

وإن كانت عاطفة لمضمون كلام على كلام فهي على نسق:

فيا رب مكروب ... ويا رب عانٍ ....ويا رب خرقٍ...

---

(1) الديوان: ص 85 .

(2) السابق :ص87.

(3) الديوان: ص89 .

(4) الخرق: الأرض القفر ,جوف العير: الحمار الذي لا ينتفع بجوفه , وقيل غير ذلك ،وقفر مظله أي لا يهتدى بالسير فيه،والسامي الفرس المرتفع والساهم :قليل لحم الوجه أو المتغير الضامر,والحسان مبالغه في الوصف بالحسن.

ينظر: الديوان ص:92.

(5) كررت وراءه أي رجعت إليه وقد أحاط به العدو قاتلت عنه واستنقذته والعاني الأسير وفككت الغل عنه أي فديته بمالي فحل وثاقه وسرح وإن أسيري أطلقته وقوله ففداني أي قال لي: فدتك نفسي وفداك أبي وأمي .

ينظر الديوان:90.

والذي يمكن أن يكون أشبه بمراد الشاعر هو هذا الأخير والذي تتكرر فيه (يا رب) مع كل أمر ذكره ، وذلك لأن غرض الشاعر التحسر على ما فات وتذكر تلك الحسنات ،وهو ما عددها إلا لهذا,والعطف على إرادة معنى (التحسر والتذكر)إنما يكون واضحاً بهذا الطريق، وذلك بخلاف الطرق الأخرى فإنها وإن أدتك إلى ما أدى إليه هذا الأخير إلا أنها لم تحمّلك ما حملك إياه من معنى يتكرر مع كل أمر من الأمور التي ذكر, ولم تربطك تلك الطرق بمراده كمثل ما يفعل هذا الطريق.

وهذا فهم قد يصيب وقد يخطئ,وهو منظور فيه إلى كلام الإمام في ختام كتابه الدلائل,فإنه قال : ((إذا حدثت عن اسم مضاف,ثم أردت أن تذكر المضاف إليه ,فإن البلاغة تقتضي أن تذكره باسمه الظاهر ولا تضمره)) [1] , وعليه ,فإن ما ينتظر وصوله إلى النفس وتأثرها به يقتضي أن يكون حاضراً مع كل عطف فإن لم يعطف الشاعر بنفسه ,وجاء بأمر يتيح النظر أن تكون فيه عدة اجتهادات ,فإن الأولى أن يؤخذ منها ما يتوافق ويتواءم مع مراد الشاعر, وسياقة كلامه,وهذا الذي أردته ,فهو وإن عطف فقط , فقد أتاح لنا أن نفكر في نوع وتقدير العطف الأصلح لقوله وشعره.

ثم لنا أن نفهم من هذا العطف بالواو في جميع ما ذكر الشاعر في قصيدته دون أي تغيير منه في طريقة العطف،لنا أن نفهم أن جميع هذه العطوفات عنده بقدرٍ واحدٍ, ولا تفاوت في الأهمية بينها،وهذا بالتأكيد على خلاف ما جاء وما يفهم منه سياق البيت المشابه:(إذا ما جنبناه...) والذي سبق الحديث عنه.

وعلى كلَّ فإن هذا المقطع الذي يتكون من أربعة أشطر قد ابتدأه الشاعر بذكر (الخرق) وقطع الفيافي, والتمدّحُ بالشدة وحمل النفس على المشاق مما يحمده العربي, إلا أنني أزعم أنه إنما أراد أن يفتح بذكر هذه الأرض الواسعة التي قطعها باباً من الوصف يتوصل به إلى نعت حصانه وتبيان مميزاته ,وخاصةً إذا عرفنا أن نصيب وصف هذا الحصان ثلاثة أشطر من أربعة هي كل ما قاله في هذا المقطع , وبالعودة إلى البيت الأول فإنك تراه ابتدأه بقوله:(إذا ما جنبناه تأود متنه) ,وفيه إشارة إلى أن هذا الأمر حاصل مقطوع به ,ومتكرر الوقوع،فكلما كان هناك تجنيب كان منه تأود, وهذه فيه ميزة تدل على أنه معتاد ومعوَّد،معتاد على حصول هذا الأمر, ومطرد فعله له, الأمر الذي يوحي بنشاطه بل يقرره ويؤكده.

ومعود لصاحبه في أن هذا الأمر من شأنه وعادته، و(ما) في البيت زائدة لتوكيد هذا المعنى وتقريره .

---

(1) الدلائل,ص 555.

أما البيت الآخر فقد صدره بالفعل المضارع وهو قولة :(يدافع) وهو بمضارعته يدل على أن هذه المدافعة تتجدد وتحدث ,وهذا فيه معنى النشاط الدائم وعدم الفتور والانقطاع.
وبالعودة إلى البيت الأول فإنه يلحظ في الشطر الثاني منه أنه أفرغه للتشبيه بالنبت الجميل في حال هطول الغيث عليه قال: (كَعِرقِ الرُخامى اِهتَزَّ في الهَطَلانِ).
وفيه إشارة إلى جمال الفرس وحسن منظرها,الذي يمتع عين الناظر إليها كما يتمتع من ينظر إلى غيث يهطل على نبات فيكون منه اهتزاز ,واضطراب, وتثنٍ , يمتع عين رائيه ,وهذا الفرس يجنب ويتأود فيمتع عين رائيه كذلك.
وهذه المتعة التي استحسنها كأنها داخلة في عموم المتع واللذات التي أوصى في ختام قصيدته بالتمتع بها في الدنيا .
ووقع في ختام البيت الأول (الهطلان) وهي واقعة في ختام المقطع مذكرة ببدايته وهو قوله: (وغيث) وكأن فيه رداً للعجز على الصدر ولو على الأقل في المعنى وبهذا يلتقي طرفا المقطع بدءاً وختاماً .
وفي التشبيه يلاحظ أنه شبه بعرق الرخامى الذي اهتز في الهطلان وفيه إشارة إلى قوله: (وغيث من الوسمي حو تلاعه)فهذا النبت(عرق الرخامى) من جنس قوله: (وغيث من الوسمي حو تلاعه) فالغيث هنا مجاز من النبت والمرعى, وعلى كل فالبيت مرتبط كما ترى بمقطعه وسياقه الذي وجد فيه، واختياره للتشبيه بالنبات موفق, لتواشجه مع الغيث والمرعى .
كما لا يفوت في الختام أن يعرف الغرض من وصفه الفرس بهذا الذي قال: (إذا ما جنبناه تأود متنه) وسبب مجيئه هنا في ختام المقطع.
وذلك أنه بعد أن ذكر تبطنه لغيث من الوسمي بهذا الفرس راح يصور حالتين له وهو في هذا الغيث مع هذا الفرس :

الحالة الأولى :تثبت نشاط الفرس وميعته وهو مركوب أول ما هبط هذا المكان، حيث راح يكر ويفر ويقبل ويدبر وكأنه ظبي يكاد يطير مرحاً , ووفرة نشاط .
الحالة الثانية :تثبت نشاط الفرس وميعته وهو مقاد غير مركوب،وكان هذا في نهاية التبطّن ،والذي يُظن فيه أنه تعب بعد ما رُكب وكر وفر ؛لأن العرب تقود الجياد ,ولا تركبها ؛لئلا تتعب إذا أرادت أن توفر نشاطها.
فبين أنه حين نزل عنه وقاده لم يكن به ثمت تعب أو ونى،فهو لا يزال موفور النشاط ،يهتز كعرق الرخامى .
وعل كل فالوصف هنا متوجه لجماله فهو هنا مقاد فحسن وصفه بالحسن والجمال .

أمـا بيت(يـدافع أعطـاف المنايـا...) فهـو يخبـر أنـه قطـع أرضـاً واسـعة موحشـة خالية،بفرس سام ساهم حُسّان [1] وهو في طريقه إلى معركة من المعارك.

فالبيت فيه بيـان لصفتي (الجمال والقوة)فالجمال لأنـه يستحيل أن يركب ملك فرساً قبيحاً أو هجيناً،والقوة لأنه بصدد السير في أرض واسعةٍ شاقةٍ يضل فيها الخرّيت.

وفي الختام يلمح الري والامتلاء من الغصن والتي يقابلها القوة والعافية من الفرس .

وإذا نظرنا في بيت (يدافع أعطاف المطايا...) فإننا نجد أننا فيما يخص وصف الفرس في القصيدة أمام مقطعين .

ولا عجب أن يتحدث عن الفرس فارس وملك في موضعين من قصيدة واحدة،ولكل موضع عنده جمال وحسن ليس مثله غيره .

---

(1) نقل الثعالبي عن الأئمة قولهم:(أنه إذا أشبه بعض المرأة بعضاً في الحسن فهي حسانه.) فهل يحتمل أن امرأ القيس قد نقل هذه الكلمة إلى وصف الفرس ؟ربما.
ينظر: فقه اللغة وسر العربية ص 63 - 64 .

والمقطع الأول الذي وصف فيه الفرس هو قوله:

وَغَيـثٍ كَـألوانِ الفَنـا قَد هَبَطتُـهُ   تَعـاوَرُ فيــهِ كُـلُّ أَوطَـفَ حَنّــانِ (1)

ووصف في هذا المقطع الفرس في متعة النزول بما اخضرّ من نبات الأرض وقت الارتباع،فوصفه بالضخامة وسرعة الجري .

والمقطع الآخر وصف فيه الفرس التي يركبها وقت الحرب حين يقطع بالجيش أراضٍ واسعة, يضل فيها الهداة ,وتكلّ المطيّ, ولكنك ترى فرسه موفور النشاط بل إنه ليدافع جوانب وأعطاف المطايا بمنكبه حدةً وقوة ووفرة ونشاط.

ومناسبة المقطع الثاني للسابق تظهر من خلال أنه وصف لمركوبه في حالتين مهمتين عنده في حالة الأنس واللهو ووقت المتعة في المرتبع .

وحالة السفر وقطع الفيافي والقفار للحرب .

أمّا خاتمة بيت الدراسة وتشبيه فرسه فيه بالغصن الناعم يميل بين الأغصان،فإنني أفهم منها وبالقياس على البيت الشبيه،أنه لا يمكن أن يشبه الفرس وهو في حالة كتلك إلا بما شبه به (إما بعرق الرخامى وإما بغصن ناعم) وأنه ليس هناك مشبه به أليق منهما في وصف حالتي (تأود المتن)و(مدافعة المناكب) سواءٌ كان الحصان في غيث أو في أرض قفر,على الأقل عند امرئ القيس ,الذي يصرّ على التشبيه بمثل ما ذكر في البيتين الشبيهين .

والله أعلم ,,,

الخاتمة

الحمد لله الذي بمنّه تتم النعم وبعد :

فلا شك أن قارئ البحث الكريم قد ظهرت له عدة نتائج ,منها ماهو جزئي ومنها ما هو كلي,و أسأل الله أن ينفع بها ,إلا أن أهم ما يرى الباحث أن بحثه قد توصل إليه من نتائج في القسم الأول منه ما يلي :

(1) الديوان ص 91 .

- أن هذا البحث هو أول بحث في ميدانه ، أعني ميدان (متشابه المعاني في الشعر) والبحث يفتح الباب على مصراعيه أمام أبحاث أخرى في موضوع المتشابه عند شعراء آخرين ، آخذاً على عاتقه ثقل الدخول الأول ، وحاملا عبء التقدم والريادة ؛ولأن الرائد لا يكذب أهله فقد حاول الباحث أن يكون بحثه مؤصِّلاً لمن بعده ومرجعاً لا يستغنى عنه من سيدخل ميدان التشابه في الشعر , على أن هذا البحث هو استجابة للدعوات المتكررة للدخول إلى هذا الميدان ,وقد اقترح تعريفاً للمتشابه الإبداعي عند الشعراء يشمل اللفظ والمعنى .

- أن البحث أثبت أن الدقة في التقاط الفروق بين المتشابهات ثم محاولة تلمّس ما بينهما من نقاط الائتلاف أو الاختلاف أمر بالغ الأهمية في كل موازنة ، وثمرتها ما تتيحه من أفق واسع عند التحليل, وصولاً للدلالة التي يمكن الجزم بقطعيتها من خلال الأدلة التي تظهر عند النظر فيها, أو التي يمكن ترجيحها على غيرها عند انتفاء إمكانية الجزم .

- أن البحث تعامل مع السياقات المختلفة للأبيات مفيداً من كل سياق استطاع الوصول إليه بدءاً بسياق الدلالات الرحبة للألفاظ ثم سياق الشعر العربي الذي ورد في نفس الغرض ، ثم شعر الشاعر وما يتصل به ثم سياق غرضه ثم سياق القصيدة ثم سياق الفصل ثم سياق البيت نفسه ، والسياق الأخير أن يجعل البيت الشبيه سياقاً للشبيه الآخر ، وأثبت البحث أن أسلم طريقة في التعامل مع النص فيما يخص السياق أن ينظر إلى جميع سياقاته الممكنة حيث سيكشف كل سياق عن خبيء يفاد منه ، ولا سيما سياق المتشابه نفسه حينما يجعل كل شبيه سياقاً لشبيهه الآخر فيستعان بضوئه في كشف ما قد يكون بشبيهه من غموض .
- أنه أصّل وجود ظاهرة المتشابه في الإبداع العربي ؛ليدلل ويبرهن على أن هذه الظاهرة في وجودها ليست حكراً على امرئ القيس وحده كما قد يظن ظان ، وأثبت أن أي باحث متقن يستطيع أن يجدها عند غيره من الشعراء ,وضرب لذلك أمثلة جديرة بالبحث والدراسة ,كما عند النابغة الذبياني ,وعدي بن زيد العبادي, وعمر بن أبي ربيعة المغيري, وجرير بن عطية الشاعر الأموي .

- أنه أصّل وجود ظاهرة المتشابه عند علماء العرب علمياً ، وبين أنهم قد فطنوا لهذه الظاهرة وأشاروا إليها إشارات تدل على تنبههم لها ,وبين أن شراح شعر

امرئ القيس كانوا أسبق في الإشارة إلى هذه الظاهرة ,ودلل على ذلك بما لا يدع مجالا لشك بعدها ، بدءاً بإشارة المفضل الظبي,ومقولة الجاحظ , ورواية ابن المعتزّ, وحديث القاضي الجرجاني ,ثم إشارات الأعلم الشنتمري و الوزير البطليوسي ,وقوفاً عند نجم الدين الطوفي (ت 716هـ) الذي وضع كتاباً كاملاً في المتشابه بفرعيه اللفظي والمعنوي, وصولاً إلى العصر الحديث وإشارة الدكتور الطيب في المرشد إلى هذه الظاهرة, ثم البحوث العلمية الحديثة التي درست المتشابه اللفظي كما في بحث الدكتور دخيل الله الصحفي والدكتور محمد أبو نبوت وصولاً إلى كتاب الدكتور محمد أبو موسى (الشعر الجاهلي) وإشارته بل ودراسته لجزء من هذه الظاهرة .

- أنه بحث التشابه والتكرار والتصرف والاقتدار – فيما يخصّ علم البلاغة - وبين أن أول من أشار إلى تكرار المعاني هو ابن رشيق في عمدته (وأثبت أن يقصد بالمعاني الأغراض) وتتبع محاولة ابن الناظم التقليل من أهمية هذا السبق واعتراضه عليه ,وناقش كل ذلك, ثم تطرّق لمصطلحي ابن أبي الإصبع وحرر مقالته فيهما وبين ما بين هذه المصطلحات من فروق, وما تشكله مصطلحاتها من دلالات تختلف عن المتشابه وعلّل لكل ذلك .

- أن البحث نفى ما اتهم به نقد ونقاد العربية من عدم التفطن لنوع من أنواع السرقة سمي (بالسرقة الشخصية) (self plagiarism) قد فطن له قبل علماء العرب العلماء والنقاد الغربيون كما يقول هذا الزعم ورد الباحث على هذا الزعم بما توصل إليه من أدلة وبراهين أثبتت أن النقد العربي ونقاده كانوا أسبق في تحديد الظاهرة والبيان عنها.

- أن البحث أصّل ما أطلق عليه مسمى (التناص الذاتي) في الدرس النقدي الحديث ، واستطاع أن يبرهن على أن ما سمي بالتناص الذاتي (اللفظي والمضموني) هو ذاته (المتشابه اللفظي و المعنوي) وذكر من الأدلة و النصوص ما يدل على حقيقة ما تقدم,وطالب باستخدام المصطلح النقدي العربي ,و دلّل على أن تراثنا النقدي مليء بكل مفيد وطالب بالبحث المتعمق فيه , بكل إخلاص وتجرد ويقين .

أما القسم الثاني من الدراسة وهو القسم التطبيقي فقد ظهر فيه من النتائج :

- أن البحث أفاد من المتشابه في تصحيح بعض الآراء وتصويبها وكذلك أثبت بطلان بعضها الآخر ، ورجح بعض الأقوال خاصة ما كثرت فيه آراء العلماء واجتهاداتهم, معتمداً على أدلة ظهرت له من خلال البحث في الفروق والسياق ,ومن خلال النظر في المتشابه نفسه الذي كان أيضاً من الأدلة البينة التي اعتُمدت في هذا الشأن .

- إثبات وجود منزع شعري خاص بامرئ القيس عندما يدير القول في معنًى من المعاني ، والكشف عن مثل هذه المنازع يضع اليد على طريقة من طرائق صنعة الشاعر ومسلك من مسالكه في البيان ، وما كان ليتأتى الكشف عن هذا لولا انتهاج سبيل المقارنة والموازنة بين المتشابهات من خلال قول الرجل نفسه .

- استطاعت هذه الموازنة بين المتشابهات أن تكشف عما امتازت به بعض الأبيات عن مشابهاتها, من خلال تحليل إمكانات كل بيت وما أودع فيه قائله , ثم الموازنة الكاشفة بينه وبين شبيهه .

- أثبت البحث أنه يمكن الجزم بصحة نسبة بعض الأبيات إلى الشاعر لا من خلال سند الرواية فحسب ,ولكن من خلال مطابقتها لأشباهها من كلام الشاعر, إن في التراكيب النظمية, وإن في المعاني والصور البيانية مفيداً بذلك من منهج بعض علماء الحديث في هذا الشأن ، وفي المقابل فإنه يمكن أن توضع علامات استفهام كبيرة حول صحة بعض الروايات من خلال تلك الموازنات الكاشفة التي تبين أن بعض الروايات يصعب أن تنسب إلى امرئ القيس حيث لا يرى عليها وسمه ولا صنعته .

- تمكن البحث من تحديد زمن قول بعض القصائد على وجه التقريب بالنسبة لعمر الشاعر, اعتماداً على بعض السياقات التي كشفت عن هذا ، ولفت بهذا إلى أنه يمكن ترتيب بعض القصائد عند شعراء آخرين بمثل هذا النظر وبمثل هذا النوع من الأبحاث .

- وأخيراً فقد أسهم البحث في نقل نوع من الدرس البلاغي القرآني إلى حقل الدراسات الأدبية الإبداعية ، مفيداً من الأول في الدخول إلى الجانب الثاني ، رابطاً بين طرفين مهمين من علوم أمتنا ومحدثاً نوعاً من التكامل, سوف يكمل عندما تنصرف إليه جهود الباحثين ويقبل عليه الدارسون,كما ينبغي .

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)

سبحان ربك رب العزة عما يصفون,وسلام على المرسلين , والحمد لله رب العالمين.

- **ثبت المصادر والمراجع:**

أولاً/

- القرآن الكريم.
- الحديث النبوي الشريف.

ثانياً/:

- **المخطوطات:**
- التشبيه عند امرئ القيس,د/محمد شادي,رسالة ماجستير مخطوطة, مقدمة لجامعة الأزهر,كلية اللغة العربية بالمنصورة قسم البلاغة والنقد,1400هـ - 1980م .
- التوجيه البلاغي للمتشابه اللفظي عند الخطيب الإسكافي, عايض الحربي, رسالة ماجستير,مخطوطة,مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز ,قسم اللغة العربية,1428هـ.
- دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام, فهد الشتوي, رسالة ماجستير مخطوطة,مقدمة لجامعة أم القرى ,قسم الكتاب والسنة,1426هـ.
- علاقة المطالع بالمقاصد ومواقعها في شعر الشعراء الأربعة الكبار,د/ نداء الحارثي,رسالة دكتوراة مخطوطة,مقدمة لجامعة أم القرى ,قسم الدراسات العليا العربية,1430هـ.

ثالثاً:

- **المطبوعات**

أ/ الكتب:

- الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي د/محمد مريسي الحارثي,ط النادي الأدبي بمكة,1409هـ.
- أدب الكاتب لابن قتيبة ، ط 1425هـ -2004م, المكتبة العصرية، بيروت.
- الأزمنة والأمكنة, للمرزوقي,ط الأولى,مطبعة مجلس دائرة المعارف,الهند,1332هـ.
- أساس البلاغة,لجار الله محمود الزمخشري ط دار الفكر- بيروت
- استدراكات السعد على الخطيب في المطول,د/أحمد هنداوي هلال,ط الأولى ,مكتبة وهبة, 1422هـ,2001م.
- الأشباه والنظائر للخالديين,تحقيق السيد محمد يوسف,القاهرة 1958م.
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين,اختيار الأعلم الشنتمري , منشورات دار الآفاق الجديدة,ط الثانية 1401هـ ,بيروت.
- الأضداد ,لمحمد بن القاسم الأنباري,تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم,ط 1418هـ - 1998م,المكتبة العصرية بيروت.
- إعجاز القرآن ,للباقلاني,تحقيق د/محمود مزروعه,ط الأولى, دار كنوز المعرفة, ,جده 1427هـ.
- الإعجاز البلاغي,د/محمد أبو موسى,ط الثانية ,مكتبة وهبة,1418هـ.
- إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق/السيد احمد صقر,دار المعارف.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني,/شرح عبد أ .علي مهنا,ط دار الفكر للنشر والتوزيع,بيروت.
- البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم,د/شفيع السيد,ط الثانية دار الفكر العربي,1416هـ,1996م.
- بديع القرآن لابن أبي الإصبع،تحقيق/حفني محمد شرف.
- البديع في نقد الشعر,لأسامة بن منقذ تحقيق د/أحمد بدوي ود/حامد عبد المجيد, ط الحلبي 1380هـ.
- البرصان والعرجان والعميان والحولان,أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ,تحقيق/محمد الخولي,ط الثانية 140, هـ,1981م, مؤسسة الرسالة بيروت.

- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان, لتاج القراء محمود الكرماني,دراسة وتحقيق/عبد القادر أحمد عطا,ط دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز, للفيروزابادي, تحقيق/محمد النجار,ط المكتبة العلمية ,بيروت.
- بغية الإيضاح,عبد المتعال الصعيدي,ط مكتبة الآداب1417هـ.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري,د/محمد أبو موسى,ط الثانية 1408هـ,مكتبة وهبة.
- البيان والتبيين,للجاحظ, تحقيق/عبد السلام هارون,ط دار الفكر.
- تاج العروس من جواهر القاموس,للزبيدي,تحقيق/عبد الستار أحمد فراج,ط 1385هـ -1965م,الكويت.
- تاريخ آداب العرب،مصطفى صادق الرافعي،ط دار الكتاب العربي، بيروت،1425هـ
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة,شرح /السيد أحمد صقر- ط الأولى المكتبة العلمية – بيروت-1401هـ .
- تحرير التجبير لابن أبي الإصبع المصري،تحقيق- د/حفني شرف، القاهرة 1383هـ.
- التشبيهات لابن أبي عون .طبعة جامعة كمبردج.1950م.
- التعريفات للجرجاني,ط الأولى دار المعرفة,1428هـ.
- تقريب منهاج البلغاء,د/محمد أبو موسى,ط الأولى,1427هـ2006م,مكتبة وهبة.
- التكرير بين المثير والتأثير,د/عز الدين السيد، ط الأولى، عالم الكتب،1398هـ .
- التناص في الخطاب النقدي والبلاغي,عبد القادر بقشي,ط أفريقيا الشرق,2007م.
- التناص النظرية والممارسة,د/مصطفى بيومي,ط الأولى ,نادي الرياض الأدبي,1431هـ,1998م.
- التوقيف على مهمات التعريف،عبد الرءوف المناوي،تحقيق د/عبد الحميد صالح حمدان، ط الأولى،1410هـ عالم الكتب.

- الجامع الصحيح ، شرح وتحقيق /محب الدين الخطيب وآخران ،ط المطبعة السلفية ,ط الأولى ,سنة 1400هـ.
- الحيوان,للجاحظ,تحقيق/عبد السلام هارون,ط الثانية ,مصطفى البابي الحلبي,1384هـ.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب,لعبد القادر البغدادي, تحقيق/عبد السلام هارون,ط مكتبة الخانجي, القاهرة .
- دراسات بلاغية,د/بسيوني فيود,ط الثانية مؤسسة المختار للنشر والتوزيع,1426هـ.
- دراسات في فقه اللغة ,د/صبحي الصالح,ط دار العلم للملايين الطبعة السادسة عشرة,2004م,بيروت.
- دراسة في البلاغة والشعر,د/محمد أبو موسى,ط الأولى ,1411 هـ1991م-مكتبة وهبة.
- درة التنزيل وغرة التاويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ,للخطيب الإسكافي, منشورات دار الآفاق الجديدة ,ط الرابعة ,1401هـ,بيروت.
- دلائل الإعجاز,للإمام عبد القاهر الجرجاني,قراءة وتعليق/الأستاذ/محمود شاكر,ط الثالثة 1413هـ -1992م,مطبعة المدني بالقاهرة.
- دلالات التراكيب دراسة بلاغية د/محمد أبو موسى ط الثانية 1408هـ مكتبة وهبه.
- دلالة السياق ,ردة الله الطلحي,ط الأولى ,سلسلة رسائل جامعة أم القرى,1424هـ.
- ديوان امرئ القيس,تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم,الطبعة الرابعة,دار المعارف.
- ديوان المعاني الكبير,أبو هلال العسكري, ط عالم الكتب.
- ديوان النابغة الذبياني,تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم,ط الثالثة ,دار المعارف.
- ديوان زهير بن أبي سلمى ,صنعة ثعلب ,وتحقيق د/حنا نصر ,ط دار الكتاب العربي ,بيروت 1424هـ.
- ديوان علقمة بن عبدة ,شرح سعيد مكارم,ط دار صادر, الأولى1996م,بيروت.

- ديوان عنترة,تحقيق/ خليل شرف الدين,ط دار ومكتبة الهلال ,1997م.
- زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد،عبد المتعال الصعيدي،ط الأولى،المحمودية ، 1353هـ.
- السبع المعلقات,مقاربة سيمائية –أنتروبولوجية لنصوصها,د/عبد الملك مرتاض,منشورات اتحاد الكتاب العرب,1998م.
- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي,شرح /عبد المتعالي الصعيدي ,ط محمد صبيح القاهرة,1389هـ.
- السرقات الشعرية بين الآمدي والجرجاني في ضوء النقد الأدبي القديم والحديث, د/عبد اللطيف الحديدي,ط الأولى,1416هـ.
- سنن ابن ماجة ,تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي ,ط دار الفكر.
- السياق وتوجيه دلالة النص د/عيد بلبع,ط الأولى 1429هـ, بلنسية للنشر والتوزيع.
- شذا العرف في فن الصرف للحملاوي تحقيق- د/عبد الحميد هنداوي، ط الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت 1418هـ.
- شرح الأشعار الستة الجاهلية،للوزير أبي بكر عاصم البطليوسي، تحقيق/ناصف سليمان عواد ،سلسلة كتب التراث الجمهورية العراقية دار الحرية للطباعة والنشر,عام1979م.
- شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، تحقيق،غريد الشيخ،ط الأولى دار الكتب العلمية ،بيروت،1424هـ .
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري, تحقيق/ عبد السلام هارون, ط السادسة,دار المعارف.
- شرح القصائد العشر,للتبريزي,ط مؤسسة المعارف بيروت,1423هـ.
- شرح المعلقات السبع للزوزني تحقيق /محمد القاضي,ط المكتبة العصرية.
- شرح ديوان امرئ القيس ,للأعلم الشنتمري,ط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1394هـ.
- شرح ديوان جرير,شرح محمد إسماعيل الصاوي,مطبعة الصاوي.
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ,عبد أ.علي مهنا,ط دارالكتب العلمية ,الثانية 1412هـ,بيروت.
- الشعر الجاهلي إشكاليات وقراءات,د/جودت كساب,ط مكتبة الرشد ناشرون 1425هـ-2004م.

- الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء,د/محمد أبو موسى,ط الأولى مكتبة وهبة,1429هـ
- الشعر والشعراء,ابن قتيبة,تحقيق/أحمد محمد شاكر/ط دار الحديث ,القاهرة,1423هـ.
- الصاحبي،لابن فارس تحقيق/ السيد أحمد صقر،ط :عيسى البابي الحلبي،القاهرة.
- الصناعتين الكتابة والشعر,لأبي هلال العسكري,تحقيق/علي محمد البجاوي,ومحمد أبو الفضل إبراهيم,ط الأولى 1427هـ,2006م,المكتبة العصرية بيروت,1427هـ.
- طبقات الشعراء لابن المعتز ,تحقيق /عبد الستار فراج ,ط دار المعارف بمصر.
- طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحي،تحقيق/محمود محمد شاكر،ط دار المدني.
- الطوفي البغدادي وآرائه البلاغية والنقدية،/أمينه سليم،ط مكتبة وهبة،الأولى 1420هـ.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للسبكي,تحقيق د/خليل ابراهيم خليل ,ط الأولى 1422هـ,2001م, دار الكتب العلمية, بيروت.
- العصر الإسلامي,د/شوقي ضيف,ط دار المعارف,الثالثة عشرة.
- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي تحقيق د/عبد المجيد الترحيني ,ط الأولى,1417هـ - 1997م,دار الكتب العلمية,بيروت.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه،لابن رشيق القيروان،تحقيق/ محمد عبد القادر عطا،ط الأولى دار الكتب العلمية- بيروت 1422هـ.
- فتح الباري لابن حجر,تحقيق/عبد القادر شيبة الحمد,ط الأولى.
- الفروق اللغوية ،ط الثالثة دار الكتب العلمية ،بيروت.
- الفصول في اختصار سيرة الرسول,صلى الله عليه وسلم ,لابن كثير, تحقيق/محمد الخطراوي وآخر, ط الأولى ,دار القلم,بيروت 1399هـ.
- فقه اللغة وسر العربية,لأبي منصور الثعالبي,تحقيق د/فائز محمد ,ط الأولى ,1427هـ - 2006م ,دار الكتاب العربي ,بيروت.
- قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية ,د/علي العماري ,ط الأولى 1420هـ-1999م,مكتبة وهبة.

- الكامل في اللغة والأدب للمبرد ,ط مؤسسة المعارف ,بيروت 1423هـ.
- كشاف اصطلاحات الفنون,محمد علي التهانوي,ط: مكتبة لبنان ناشرون ,الأولى,1996م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ,لجار الله محمود الزمخشري, ط الثانية دار المعرفة _بيروت_ 1426هـ .
- لسان العرب لابن منظور، ط الرابعة دار صادر بيروت 2005م.
- متشابه القرآن للكسائي, تحقيق د/صبيح التميمي,منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي ,ط الأولى 1994م ,الجماهيرية العظمى ,طرابلس.
- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، د/صالح بن عبد الله الشثري رسالة دكتوراه, ط :مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, 1425هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبن الأثير، تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد - ط المكتبة العصرية،1420هـ .
- مجمع الأمثال ,لأبي الفضل النيسابوري,تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد,ط دار المعرفة بيروت .
- مدخل إلى كتابي عبد القاهر,د/محمد أبو موسى,ط وهبة,الأولى,1418هـ.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها,د/عبدالله الطيب,ط الكويت الأولى,1410هـ.
- مسائل الانتقاد ,لابن شرف القيرواني,تحقيق د/حسن ذكري حسن ,ط مكتبة الأزهر,1403هـ - 1983م.
- مشكلة السرقات في النقد العربي د/محمد مصطفى هدارة،ط الثالثة، المكتب الإسلامي 1401هـ.
- المصباح في المعاني والبيان والبديع،لبدر الدين بن مالك، ط الأولى دار الكتب العلمية، بيروت 1422هـ .
- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم,سعد الدين التفتازاني, تحقيق د/عبد الحميد هنداوي,ط الأولى 1422هـ-2001م, دار الكتب العلمية بيروت.
- المعاني الكبير في أبيات المعاني, لابن قتيبة,ط الأولى 1405هـ- 1974م ,دار الكتب العلمية بيروت.

- معجــم الأدبــاء ليــاقوت الحموي,تحقيــق د/إحســان عبــاس ,ط دار الغــرب الإسلامي,الأولى 1993م,بيروت.
- معجم البلاغة العربية ،د/بدوي طبانة ,ط الرابعة 1418هـ- 1997م,دار ابن حزم للطباعة والنشر ,بيروت.
- معجم الشعراء للمرزباني ,تحقيق/عبد الستار أحمد فراج,ط دار إحياء الكتب العربية سنة 1379هـ-1960م.
- معجم المصـطلحات البلاغيـة وتطورها،د/أحمـد مطلـوب,ط المجمـع العلمـي العراقي,1403هـ-1983م.
- معجـم مقـاييس اللغــة , لابـن فـارس ,تحقيـق /عبـد السـلام هـارون,ط دار الفكر,1399هـ.
- مغنـي اللبيـب عـن كتـب الأعاريـب ,لابـن هشـام الأنصـاري, تحقيـق/ مـازن المبارك ,محمد علي حمد الله ,ط الأولى, دار الفكر,1419هـ,1998م.
- مفتاح العلوم,السكاكي,ط الثانية دار الكتب العلمية,بيروت,1407هـ.
- المفضـليات,تحقيق/أحمد محمـد شـاكر,عبد السـلام هـارون ,ط دار المعـارف ,العاشرة ,1994م.
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف,لابن القيم الجوزية,تحقيق/عبدالرحمن يحي المعلمي,ط الأولى ,1416هـ ,دار العاصمة,الرياض.
- المنصف في نقد الشعر،لابن وكيع،تحقيق، د/محمد رضوان الداية, ط دارابن قتيبة ,دمشق.
- منهـاج البلغـاء وسـراج الأدباء,حـازم القرطاجني,تحقيق/محمـد الحبيـب بـن خوجة,ط الثالثة, 1986م ,دار الغرب الإسلامي,بيروت.
- موائد الحيس فـي فوائد امرئ القيس لنجم الدين الطوفي،تحقيق د/مصـطفى عليان،ط دار البشير ،الأولى 1414هـ.
- الموازنة بين شعر أبـي تمام والبحتري،للآمدي،تحقيق ،السيد أحمد صقر،ط الرابعة
- الموشح للمرزباني,ط السلفية ,القاهرة,1343هـ.
- نظرية المعنى ,د/مصطفى ناصف,ط الثانية,دار الأندلس,1401هـ.
- نقد الشعر لقدامـة بن جعفر تحقيق /كمـال مصطفى ط الثالثـة مكتبـة الخـانجي 1398هـ

- الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين – دراسة بلاغية في التراث العربي,سامي بن عبد العزيز العجلان,رسالة ماجستير مطبوعة,ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ,الأولى 1430هـ.
- الوساطة بين المتنبي وخصومة للقاضي الجرجاني، تحقيق /هاشم الشاذلي ,دار إحياء الكتب العربية.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان,لابن خلكان ,تحقيق د/إحسان عباس,ط دار صادر ,1397هـ ,بيروت.

ب/ المجلاّت والدوريات:

- إشكالية الاحتذاء في المعنى الشعري عند عبد القاهر الجرجاني) د/صالح الزهراني،مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة،العدد الخامس عشر السنة العاشرة 1417هـ.
- التراث بين الأصالة والمعاصرة) د/نور الهدى لوشن,مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها,ج15, عدد26,صفر1424هـ.
- التراكيب المتشابهة في شعر امرئ القيس د/ محمد أحمد أبو نبوت - مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة, جامعة الأزهر,العدد الرابع والعشرون.1426 .
- من التشابه اللفظي في شعر امرئ القيس – دلالاته وسياقاته د / دخيل الله الصحفي - مجلة كلية اللغة العربية ,جامعة الأزهر,إيتاي البارود,العدد العشرون,1425هـ.

فهرس الموضوعات